بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن



آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم

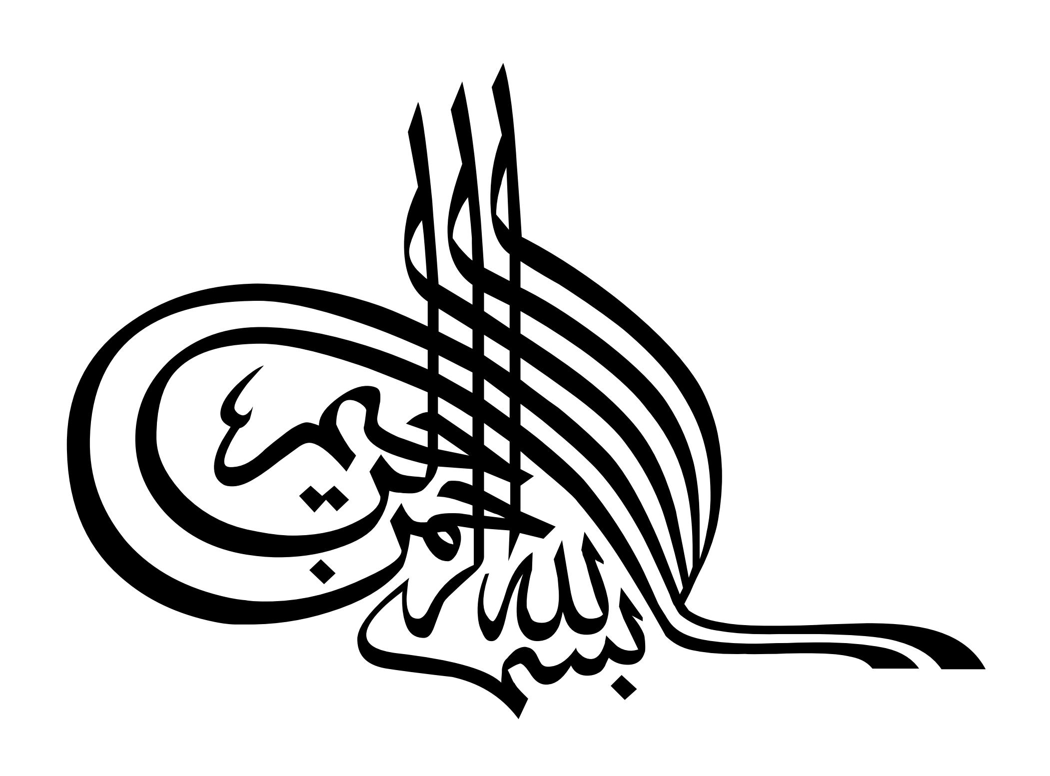
(دراسة موضوعية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة
نعيمة عبد الله البرش

إشـــراف الدكتـــور
رياض محمود قاسم

١٤٢٩هـــ - ٢٠٠٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَـلا تُبْـصِرُونَ** ﴾ (الذاريات آية٢١).

وقال تعالى : ﴿ **فَلا تُزَكّـوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَـمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ (النجم آية ٣٢) .

ويقول الرسول r : **(اللهم آت نفسي تقواهـا وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)**[١] .

(1) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح رقم ٤٨٩٩ .

إهــــــــداء

* إلى روح والدي الحبيب الذي فارقنا بجسده وبقيت تعاليمه تحدونا إلى ارتيــاد كل سلوك فاضل، فعليه رحمة الله .
* إلى والدتي الحبيبة أطال الله عمرها .
* إلى زوجي وأولادي الذين وفروا لي من جهدهم وتسامحهم ما مكنني من إتمام هذا البحث .
* إلى إخوتي وأخواتي الذين شجعوني على كتابة هذا البحث .
* إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع .
* إلى الذين يبحثون بصدق عن السعادة في الدنيا والآخرة .
* إلى الذين يحرصون على تزكية أنفسهم .
* إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا .

وأسأل الله أن يجدوا فيه ما يصل بهم إلى نفسٍ مطمئنة راضية مرضــية تقــع موضـــع الخطــاب الإلهي الذي صورته الآية القرآنية في قوله تعــالى : ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَــادْخُلِي فِــي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ (الفجر آية ٧-٩) .

شكر وتقدير

إن أقل ما يمليه الواجب كلمة شكر وتقدير لمن كان لهم الفضل في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فاعترافاً بالفضل لأهل الفضل، ومن باب قوله r : **(من لم يشكر الناس لا يشكر الله)** [1] أتقدم أولاً بالشكر الجزيل إلى الله – تعالى - الذي وفقني لإتمام هذا العمل، ثم أشكر الدكتور رياض محمود قاسم -حفظه الله تعالى– الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة،فله مني كل الاحترام والتقدير والإجلال، فكان النور الهادي لسفينة الأمان طيلة هذه الفترة جاد عليَّ بإرشاداته السديدة، ونصائحه المفيدة، فجزاه الله – تعالى - كل خير، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذيَّ الكريمين عضوي لجنة المناقشة.

فضيلة الدكتور: وليد محمد العامودي حفظه الله تعالى.

فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله تعالى.

حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة وأسجل شكري وتقديري لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من مشرفي مكتبات الجامعة الإسلامية، ومكتبة الصدِّيق في مدينة جباليا، والشكر موصول للزوج والأولاد الذين شاركوني في إنجاز هذا العمل، وسلسلة الخيرين الذين قدموا لي كل خير، فلهم مني كل شكر وتقدير وامتنان .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى القائمين على الجامعة الإسلامية وجهودهم المتواصلة للمحافظة على هذا الصرح العلمي الشامخ، كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كلية أصول الدين ممثلة بعميدها الدكتور نسيم ياسين ونائبه الدكتور رياض قاسم .

(1) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح رقم ١٩٥٤،ص٤٤٥.

ملخص الرسالة

(آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم)

شملت هذه الرسالة تمهيداً وأربعة فصول :

أما التمهيد : ويشمل :

بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفس، وربط هذه المعاني، ثم الخروج بمصطلح لآفات النفس يجمع بين اللغة والاصطلاح .

وأما الفصل الأول : أضواء على النفس الإنسانية : فقد تناولت الباحثة فيه مفهوم النفس، وأهمية معرفتها وحقيقتها، وعلاقتها بالروح والقلب والجسد في ضوء القرآن الكريم .

وتحدثت الباحثة في هذا الفصل عن أنواع النفس، وعناية علماء الإسلام بها، ثم تحدثت عن الإعجاز النفسي في القرآن، وأثر القرآن في الأمن النفسي .

وأما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه الباحثةُ صفات النفس الإنسانية وقضية جدالها وكسبها للخير والشر وجزائها .

وأما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه الباحثةُ أهم الآفات والأمراض التي قد تصيب النفس الإنسانية .

وأما الفصل الرابع : فقد تناولت الباحثة في هذا الفصل القاعدة النفسية في التغيير، وكيفية التغيير وحقيقته من خلال آيات القرآن الكريم .

الخاتمة : وقد ساقت الباحثة في خاتمتها أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها .

ABSTRACT
Self pestes as the Holy Quran portrays

This letter includes a preface and four chapters. The preface includes the linguistic and terminological to the self link these meanings and then getting out idiom of self pestes that combines language and terminology.

Chapter I: Focus on the human spirit:
The researcher has addressed the concept of self and the importance of its knowledge and reality and its relationship to the heart, soul and its body in the light of the Holy Quran.
The researcher also talks about kinds of self and how the Islamic Scientists care, Also, she talks about psychological miraculous in the Holy Quran and the effect of Quran on human safety.

Chapter II: The researcher talks about the characteristics of human self and how it does good or evil and its reward.

Chapter III: The researcher talks about the pestes and diseases that attack the people.

Chapter IV: The change from the Holy Quran inspiration: The researcher talks about the psychological rule in change and how we can change and what it is through the verses of the Holy Quran.

Conclusion: The researcher talked about the most important results and recommendations that she extracted.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النعمة المسداة والرحمة المهداة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه وسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم هو الشفاء التام من جميع الأدواء النفسية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، فما من مرض من أمراض الأبدان أو النفوس الإنسانية، إلا في القرآن شفاء منه، فيه الهداية والتوجيه والإرشاد والحكمة والموعظة الحسنة والصلاح والإصلاح للنفس البشرية، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً**﴾(الإسراء آية ٨٢). وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾(يونس آية ٥٧).

وترجع عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية إلى أن الإنسان ذاته هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح فإذا أريد له أن يصل إلى ما له وما عليه فلا بد أن يستكشف نفسه لتتضح له سائر جوانبها ونوازعها حتى يكون على بصيرة منها، وعلى مقدرة من ضبط وتقويم سلوكها.

فالنفس الإنسانية بالمعنى القرآني تحمل قوى الخير والشر لكن الإنسان إلى الخير أميل، فيمكن أن يتبع الإنسان الخير والحق والرشد، كما يمكن أن يقع في الباطل والغواية والإفساد.

وانطلاقاً من الإيمان الكبير بما للقرآن الكريم من الأثر العظيم على النفس البشرية، وتحقيق الهداية والرشاد لهذا الإنسان كان الدافع للخوض في النفس البشرية، ومحاولة دراستها في ضوء القرآن الكريم .

أسباب اختيار الموضوع :

١) تعلق موضوع البحث بالقرآن، وهو أشرف كتاب على وجه الأرض.
٢) كون النفس تعد من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة والبحث والاستقصاء.
٣) بيان أسرار ومعاني النفس الإنسانية وعناية القرآن بها .
٤) تسليط الضوء على طبيعة النفس الإنسانية وآفاتها وعلاجها من خلال آيات القرآن الكريم.

٥) الرغبة الإيمانية في التبحر في كتاب الله والمساهمة في دراسة موضوعاته دراسة تفسيرية موضوعية .

أهداف البحث :

١) التعرف على الآيات القرآنية التي تناولت الموضوع.
٢) التطبيق العملي للتفسير الموضوعي.
٣) بيان أهمية معرفة النفس الإنسانية وحقيقتها.
٤) دراسة النفس من المنظور الإسلامي الأصيل وإعطاء الصورة المشرقة لها.
٥) تقديم دراسة موضوعية شاملة عن النفس وآفاتها وعلاجها.
٦) المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية، وخدمة طلبة العلم بإضافة بحث جديد في التفسير الموضوعي.

الدراسات السابقة :

لا شك أن كتب القدماء والمحدثين تناولت الموضوع ولكن بعد البحث والاطلاع على ما كتب حول الموضوع في المكتبات والمواقع لم أعثر على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع كدراسة تفسيرية موضوعية مستقلة متخصصة ومحكمة ولكني وقفت على كتب عدة تحدثت عن مفهوم النفس بصفة عامة ونواح جزئية أخرى، أما هذا البحث فتناولت فيه موضوع آفات النفس الإنسانية كما يصورها القرآن، وكيفية علاجها وذلك في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكمة، وبعد مطالعة دليل الرسائل العلمية الذي أصدره مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية لم أجد أي رسالة علمية كتبت في هذا الموضوع، وقد أرسلوا لي كتابا مفاده أن الرسالة لم يكتب فيها من قبل.

منهج الباحثة :

١) جمعت كل ما يتعلق بالنفس من آيات ثم قمت بتقسيمها وتصنيفها حسب موضوعاتها.
٢) رجعت إلى أمهات المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ما أمكن.
٣) ركزت على جانب التفسير الموضوعي وربطت الموضوعات المتعلقة بالنفس مع بعضها بعضاً.
٤) قمت بالاستدلال بالآيات وعزوتها إلى سورها .

٥) تتبعت تفسير غالب هذه الآيات من كتب التفسير القديمة كتفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير الآلوسي، كما استعنت ببعض التفاسير الحديثة مثل تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير الكريم الرحمن للسعدي.

٦) قمت بالاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة التي تخدم البحث من كتب الصحاح والسنن وركزت على صحيح البخاري وصحيح مسلم.

٧) رجعت إلى المعاجم اللغوية من أجل الوقوف على معاني المفردات الغريبة.

٨) قمت بتوثيق المعلومات المتعلقة بالبحث من مصادرها الأصلية .

٩) قمت بالترجمة للأعلام غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في الرسالة.

١٠) أسندت كل قول من الأقوال المقتبسة إلى أصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وقمت بتوثيقها حسب الأصول.

١١) أفدت من كتب علم النفس القديمة والحديثة بما يتناسب ويتلاءم مع الدراسة.

١٢) قمت بربط النتائج والتوجيهات القرآنية بالواقع العملي في ضوء التغيير الدائم والمستمر في الحياة .

خطة البحث :

وقد شملت مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس .

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهج الباحثة، هيكلية البحث.

التمهيد

آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معنى آفات النفس لغة واصطلاحاً

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى الآفة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : معنى النفس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث : آفات النفس اصطلاحاً .

المبحث الثاني : لفظة النفس واستعمالاتها في السياق القرآني

ويشمل أربعة مطالب :

المطلب الأول : ورود النفس في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : النفس في الآيات المكية .

المطلب الثالث : النفس في الآيات المدنية .

المطلب الرابع : الحكمة من كثرة ورود لفظة النفس في القرآن .

الفصل الأول

النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : وجوه النفس في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم .

المطلب الثالث : علاقة النفس بالقلب والعقل والجسد والروح في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني : معالم النفس في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : أنواع النفس البشرية .

المطلب الثاني : النفس البشرية عند الفلاسفة .

المطلب الثالث : عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية .

المبحث الثالث : الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : آيات الله في الأنفس .

المطلب الثاني : أثر القرآن في الأمن النفسي .

المطلب الثالث : وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس .

المطلب الرابع : أثر سماع القرآن في النفس .

الفصل الثاني

صفات النفس الإنسانية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : كسب النفس للخير والشر وجدالها وجزاؤها

وفيه ثلاثة مطالب :

الفصل الثالث

آفات النفس وآثارها في القرآن الكريم

التمهيد

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية.

المبحث الثاني : لفظة النفس في السياق القرآني.

المبحث الأول

آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

آفات النفس لغة واصطلاحاً:

تعريف الآفة لغة: "عرض مفسد لما أصاب من شيء، والجمع آفات ، ويقال: آفة العلم النسيان" [(١)] "وإذا دخلت الآفة على قوم قيل قد إفُوا ويقال في اللغة، قد إيفُوا "[(٢)].

الآفة اصطلاحاً: العاهة.

(عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ t قَالَ كَانَ النَّاسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ r يَتَبَايَعُونَ الثِّمَارَ فَإِذَا جَذَّ النَّاسُ وَحَضَرَ تَقَاضِيهِمْ قَالَ الْمُبْتَاعُ إِنَّهُ أَصَابَ الثَّمَرَ الدُّمَانُ أَصَابَهُ مُرَاضٌ أَصَابَهُ قُشَام عَاهَاتٌ يَحْتَجُّونَ بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ e لَمَّا كَثُرَتْ عِنْدَهُ الْخُصُومَةُ فِي ذَلِكَ (فَإِمَّا لا[(٣)] فَلاَ تَتَبَايَعُوا حَتَّى يَبْدُوَ صَلاحُ الثَّمَرِ كَالْمَشُورَةِ يُشِيرُ بِهَا لِكَثْرَةِ خُصُومَتِهِمْ)[(٤)].

قال ابن حجر: " قوله (عاهات) جمع عاهة والعاهة العيب والآفة، والمراد هنا ما يصيب الثمر مما ذكر" .[(٥)]

النفس لغة : ورد لكلمة النفس في اللغة العربية كثير من المعاني، بعضها له صلة بموضوعنا وهو الحديث عن النفس الإنسانية التي تُكون الشخصية وتؤثر في سلوكها، وبعضها الآخر بعيد عن موضوعنا، وسوف نذكر هنا بعضاً من هذه المعاني.

أولاً : النفس بمعنى الروح يُقال: " خرجت نفس فلان أي روحه"[(٦)] ومنه قوله تعالى: ﴿**أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ** ﴾ (الأنعام آية ٩٣) .

ثانياً : النفس بمعنى "حقيقة الشيء وجملته" يُقال: قتل فلان نفسه أي ذاته وجملته، ومنه قوله تعالى:﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(آل عمران آية١٨٥)﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ**﴾

---

(١) العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى،ج٨،ص٤١٠.

(٢) الكليات، أبوالبقاء أيوب بن حسن موسى الحسيني الكفوشي، ص١٥٥ ، انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج١،ص٢٩

(٣) (أصلها إن شرطية وما زائدة فأدغمت) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٧،ص٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، ح رقم ٢١٩٣ ،ج٧، ص٤٥٢.

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ج٤، ص٣٩٤.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج ٢، ص٢٦٤،عمدة الحفاظ، أبو العباس شهاب الدين ص٥٨٧، لسان العرب ابن منظور _ مادة (نفس)_ ج٦، ص٢٨٨.

(آل عمران آية٢٨) أي ذاته المقدسة والنفس هنا بمعنى العقوبة، والنفس هنا بمعنى العقوبة [(١)]

ثالثاً : النفس "الحسد، والعين يقال أصابته نفس أي عين" . [(٢)]

رابعاً: "النفس بمعنى الدم، وإنما سمى الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه"[(٣)]

خامساً : النفس ما يكون به التمييز، والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتنهى عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفساً، وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى.[(٤)]

وجمع النفس أنفس، ونفوس، أما النَّفَس فهو خروج الهواء ودخوله من الأنف والفم وجمعه أنفاس، وهو كالغذاء للنفس لأن بانقطاعه بطلانها. [(٥)]

النفس اصطلاحاً : وقد وردت (النفس) في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، ومن هذه المعاني :

أولاً: النفس بمعنى الروح :

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾(البقرة آيــة٤٤) أي تتركون، ويقال خرجت نفسه، خرجت روحه، والدليل على أن النفس هي الروح قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا** ﴾ (الزمرآية٤٢) يريد الأرواح.[(٦)]

ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ** ﴾ (الأنعام آية٩٣) وذلك أن الكافر إذا حضرت وفاته تتفرق روحه في جسده فتخرجها الملائكة وتنتزعها بشدة ويقال لأصحابها أخرجوا أنفسكم أي أرواحكم، توبيخاً وزجراً.[(٧)]

ثانياً :النفس بمعنى الإنسان، أي الشخصية البشرية بكامل هيئتها .

وهى الإنسان بكامل دمه ولحمه وشخصيته، وهذا كثير وغالب في القرآن .

فمن ذلك الآيات التالية: قال الله تعالى مخاطباً الناس عامة وبني إسرائيل خاصة بأن يحذروا يوم الحساب ويعملوا صالحاً، وأن الإنسان يأتي ربه في ذلك اليوم فردا ولا تنفعه شفاعة الشافعين:

---

(١) انظر:عمدة الحفاظ، ص٥٨٧، والكليات ص١٥٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ج٥،ص٩٧ .

(٣) بصائر ذوي التمييز، ج٥، ص ٩٧ .

(٤) انظر: لسان العرب،ابن منظور، مادة (نفس)، ج٦،ص٢٨٣ .

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القران، الراغب الأصفهاني،ص٥٥٧.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،ج١ص٢٥٠.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص٢٣٤.

﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْمَاً لا تَجْزِى نَفْسٍ عَن نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾(البقرة آية ٤٨)، وقوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ اللّهِ كِتَاباً مُؤَجَلاً** ﴾(آل عمران آية ١٤٥).[١]

وقد شاع استعمال النفس في الإنسان خاصة حيث تطلق ويراد فيها : هذا المركَّب والجملة المشتملة على الجسم والروح .[٢]

ثالثاً : النفس بمعنى القوى المفكرة في الإنسان (العقل)

ومنه قوله تعالى: ﴿ **تَعْلَمُ مَاَ فِي نَفَسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ (المائدة آية ١١٦).

النفس تطلق على العقل وما به الإنسان، وهي الروح الإنساني، وتطلق على الذات والمعنى هنا: تعلم ما أعتقده، أي تعلم ما أعلمه؛ لأن النفس عقر العلوم والمعارف، وإضافة النفس إلى اسم الجلالة هنا بمعنى العلم الذي لا يطلع عليه غيره، أي: ولا تعلم ما أعلمه، أي : انفردت بعلمه.[٣]

رابعاً : النفس بمعنى قوى الخير والشر في الإنسان، لها صفات وخصائص كثيرة منها، القدرة على إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما .

قال تعالى: ﴿ **وَنَفسٍ وَمَا سوَاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا** ﴾(الشمس آية ٧-٨) وقال **U** :﴿ **وَهَدَيْنَاُه النَجْدَيْنِ**﴾(البلد آية ١٠) أي بينا له الطريقين، طريق الخير وطريق الشر.

وهناك إلى جانب الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، فمن استخدم هذه القوة في الخير وغلّبها على الشر.. فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وجناها وأضعفها فقد خاب ﴿ **قَدَ أَفْلَحَ مَن زَكَاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَاهَا**﴾ (الشمس آية٩ -١٠)[٤].

تعريف النفس عند العلماء المعاصرين :

أولاً: "النفس هي همزة الوصل بين الروح والجسد، إنها حركة المادة ودونها لا حياة في هذه المادة، ولا نقصد هنا بكلمة (لا حياة) الموت التام، بل نقصد فقط نقص الفعالية الحركية الهادفة والموجهة؛ إذ من دون النفس يبقى الجسد حياً، ولكن حياته غير منظمة، يختل معها عمله السلوكي والحركي والعقلي، أي يصبح مضطرباً نفسياً" .[١]

---

(١) انظر: علم نفس الدعوة، الدكتور محمد زين الهادي، ص٢٥.

(٢) الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور محمد حمدي زقزوق، ص ١٤٠٩.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٧،ص١١٥.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب،ج٦، ص٣٩١٧ .

(١) خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، وليد عبد الله زريق، ص١٩.

ثانياً: النفس هي جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة إدراكية أو حركية أو فكريـــة أو انفعالية أو أخلاقية سواء أكان ذلك على مستوى الواقع أو مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر، مكونين معاً وحدة متميزة نطلـــق عليهـــا لفظ(شخصية) تميـــز الفرد عن غيـــره من الناس، وتؤدى به إلى توافقه الخاص في حياته.[٢]

من خلال وقوف الباحثة على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (آفات - الـــنفس) تستطيع أن تعرف مصطلح آفات النفس كما يلي :

آفات النفس اصطلاحاً : هي الانحرافات السلوكية التي تعتري الشخصية السوية فيختل معهـــا تصورها، وفكرها، وعملها السلوكي والحركي والعقلي والاجتماعى وتنحرف بها بعيـــداً عـــن منهج الحياة المستقيمة الذي وضعه الله تعالى لعباده.

(٢) أصول علم النفس الحديث، الدكتور فرج عبد القادر طه ص١٢-١٣.

المبحث الثاني

لفظة النفس في السياق القرآني

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : ورود النفس في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : النفس في السور المكية .

المطلب الثالث : النفس في السور المدنية .

المطلب الرابع : الحكمة من كثرة ورود لفظة النفس في القرآن .

المطلب الأول

ورود النفس في القرآن الكريم

وردت لفظة النفس في القرآن الكريم، بكل مشتقاتها مكررة وبصيغ متفاوتة، مـــائتين وبضعاً وتسعين مرة في ثلاثٍ وستين سورة في القرآن، وأحياناً ترد لفظة النفس فـــي القـــرآن أكثر من مرة في آية واحدة ومنه قوله تعالى: ﴿**أَنَهُ مَن قَتَلَ نَفْسَا بِغَيْرِ نَفْـــسٍ أَوْ فَـــسَادٍ فِـــي الأرضِ فَكَأَنَمَا قَتَلَ النَاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة آية ٣٢) وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَأْتِى كُلُ نَفسٍ تُجَـــادِلُ عَنْ نَفَسِهَا**﴾ (النحل آية ١٦) [(1)].

"وقد وردت كلمـــة النفس في القـــرآن الكريم اثنتين وسبعين مرة، مفردة أو مـــضافة أو معرفة، أو منكرة، إضافة إلى ثلاثة مواضع وردت فيها النفس موصوفة بأوصاف معينـــة، يفهم منها مراتب أو درجات النفس، هي النفس الأمارة بالـــسوء، الـــنفس اللوامـــة، الـــنفس المطمئنة " [(2)] قال تعالى: ﴿ **يَا أَيَتُهَا النَفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِـــكِ رَاضِـــيَةً مَرْضِـــيَةً**﴾

(الفجر آية ٢٧) وقال تعالى: ﴿ **ولا أُقْسِمُ بِالْنَفْسِ الْلَوامَةِ**﴾(القيامة آية ٢)، وقال تعـــالى:﴿ **وَمَـــا أُبَرِئُ نَفَسِي إِنْ النَفْسَ لأمَارَةُ بِالسُوءِ** ﴾(يوسف آية ٥٣) وقـــد ذكرت لفظة الـــنفس بـــصيغة الجمع ومنة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا النَفَوسُ زُوجَتَ** ﴾ (التكوير آية ٧) وقوله تعالى: ﴿ **وَلَنَبَلُـــونَكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأنَفْسِ وَالثَمَرَاتِ** ﴾ (البقرة آية ١٥٥).

ترى الباحثة من خلال الوقوف على آيات القرآن الكريم التـــي ذكـــرت الـــنفس أن القرآن أطلق هذه اللفظة على شيء داخل الإنسان، وهـــذا الـــشيء يـــشتمل علـــى الـــصفات والخصائص التي تكونت منها ماهيته، وما الهيكل الجسدي إلا وعاء لها، فيه تـــستقر فتـــصبغ عليه النعوت والإشارات، بيد أن الجوهر هي النفس، فعندما يتوارد الكلام عن الإنسان أو عن ابن آدم، فإنما يرمي في ذلك كله- لو تمعنا مليا- إلى خصائص النفس وتحيزاتها .

قـــال تعالـــى :﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْســـي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّـــيَ...** ﴾ (يوسف آية ٥٣) وقال تعالى :﴿... **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر آيـــة ٩) وقال تعالى:﴿ **مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ (النســـاء آية ٧٩) وقـــال تعالـــى :﴿ **وَجَحَـــدُوا بِهَـــا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً...** ﴾ (سورة النمل آية

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،محمد فؤاد عبد الباقي ، مادة (ن،ف،س) ص٧١٠.

(2) الموسوعة العامة ، زقزوق، ص١٤٠٩.

١٤) وفي هذا إشارة إلى اتساع مدلولات لفظة النفس واشتمال معانيها على أحوال متنوعة تذكر الإنسان بنفسه وآفاتها، ومعرفة أسباب انحرافها، والعمل على إصلاحها وتربيتها .

المطلب الثاني

النفس في السور المكية

وردت لفظة النفس ومشتقاتها في مائة وبضع وستين آية من خلال ثلاث وأربعين سورة مكية، وفي هذا إشارة واضحة إلى عناية القرآن المكي بالبناء الداخلي للإنسان عبر توجيهه للعناية بجوهره، وتنقية نفسه، وإصلاح داخله، وتثبيت العقيدة في نفسه، ونهيه عن الرذائل والأخلاق السيئة، وقد كان هذا طبيعياً في كتاب مهمته الأولى هي التربية والتوجيه، كتاب يخاطب النفس ويوجهها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **فأَمَاَ مَنْ خَاَفَ مَقَامَ ربِهِ ونَهَىَ النَفْسَ عَنْ الهَوىْ** ﴾ (النازعات آية ٤٠) وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ جَاَهدَ فَإِنَمَا يُجَاهِدُ لنفَسِه إِنَ اَلله لَغَنِيً عَنِ العَاَلمِينَ** ﴾ (العنكبوت آية ٦)، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادَيِ الذَين أَسَرَفُواْ علَىْ أَنُفَسَهُم لا تَقَنَطُوا مِنْ رَحِمَةَ اللَّهِ** ﴾ (الزمر آية ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿... **وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...** ﴾ (لقمان آية ١٢)، وقوله تعالى : ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ (النجم آية ٣٢)

وترى الباحثة، من خلال وقوفها على الآيات المكية التي ذكرت لفظة النفس، أن نظرة القرآن تؤصل الإيمان الذي يجعل النفس البشرية مطمئنة تؤمن بما قدر الله وتستسلم لقضائه وتحتسب ذلك عنده أجراً مدخرا، فالآيات المكية التي ذكرت النفس تعمل على بناء العقيدة في النفوس وتزكيتها وتطهيرها، وربط القلوب بخالقها ومبدعها، إذن لا شك في أن قوة الوازع الديني هي محور الارتكاز ومركز الدائرة وحجر الزاوية الذي تبنى عليه سعادة الأمة وتشيد فوقه صروحها.

هكذا بدأ الرعيل الأول الذين رباهم رسول الله ﷺ تلك الجماعة التي اختارها الله لإنقاذ العالمين ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، فتحوا أقطار الدنيا ومكن لهم في الأرض .

المطلب الثالث

النفس في السور المدنية

وردت لفظة النفس ومشتقاتها في مائة وبضع وعشرين آية من خلال عشرين سورة مدنية ذكرت فيها النفس، ومن هنا نقف على السياسة الحكيمة التي سلكها القرآن في تربية النفس الإنسانية، هذه السياسة التي تقوم على التدرج في الأحكام والتكاليف، وعلى البدء

بالأولويات التي تتلاءم مع ما تقتضيه تلكم التربية الحكيمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ (البقرة آية ٥٤) ، وقوله تعالى : ﴿ **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ** ﴾ (النساء آية ١٣٥).

وترى الباحثة من خلال وقوفها على الآيات المدنية أنه، بعدما ثبتت العقيدة وصقلت النفوس وطرح السيئ من العادات، أن الناس في حاجة إلى ما ينظم شؤون حياتهم وعلاقاتهم في مناحي الحياة المتعددة فجاءت الآيات المدنية تسلط الضوء على ربط الإيمان بالأمن والطمأنينة والسكينة ، بعد أن كان الاضطراب والخوف والقلق طابعاً ملازماً لها، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(الرعد آية ٢٨) وقال تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ (الفتح آية ٤).

وهذا الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق، فلقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً وشعوراً بالتفاهة والضياع المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، لكن طريق الله لتحقيق سعادة الإنسان وسكينته تلزم بتغيير النفس ومحاسبتها ومراقبتها وتهذيبها وترويضها، حتى تسير في طريق الله تعالى وبذلك تستطيع النفس أن ترتقي وتسمو إلى أعلى، فلهذا أمرنا الله تعالى أن نجاهد ونسير في الطريق لنغير من هذه النفس بالتخلي عن صفاتها المذمومة والتحلي بالصفات المحمودة، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ (الرعد آية ١١).

المطلب الرابع

الحكمة من كثرة ورود لفظة النفس في القرآن الكريم

أولاً : النفس البشرية عالم رحب واسع، ولهذا السبب خص الله النفس بآيات كثيرة .

ثانياً : ولما كانت النفس ذات أبعاد متنوعة ومختلفة، فقد تحدث القرآن عنها وعن مدلولاتها، وخصها بالتفصيل والإسهاب لما لها من قوة ومكانة في الإنسان .

ثالثاً :هذه الآيات الواردة عن النفس بمثابة المعاني التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصائصها المختلفة وفى توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها.

رابعاً : من الممكن أن نسترشد بما ورد في القرآن من حقائق عن الإنسان وصفاته وأحواله النفسية في تكوين صورة صحيحة عن شخصية الإنسان وعن الدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه.

خامساً : نجد أن القرآن الكريم أعطى هذا الجانب عناية كبيرة لما له من أثـــر فـــي تـــوطين النفس البشرية على الرضا والاستسلام والترقب والعناية، وفق منطق عقدي، جعل له التوجيه الإسلامي قاعدة متينة يرتكز عليها وسنداً قوياً يدعمه ليشد بذلك جوانب النفس حتى لا تنحرف وتزيغ .

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم .

المبحث الثاني : معالم النفس في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : الإعجاز النفسي في القرآن الكريم .

المبحث الأول

مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معاني النفس في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم .

المطلب الثالث : علاقة النفس بالقلب والعقل والجسد والروح في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول

معاني النفس في القرآن الكريم

رغم أن كلمة (نفس) ومشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم بمعان عديدة ذكرت الباحثة شيئاً منها في التمهيد لهذه الرسالة [1]، إلا أن لهذه الكلمة في القرآن معنيين رئيسين تتفرع عنهما، سائر المعاني الأخرى :

المعنى الأول : النفس بمعنى الإنسان بجوانبه النفسية، والعقلية، والجسمية، والروحية، وهو المعنى الذي يقابل في القرآن الكريم ، الآفاق.

المعنى الثاني :النفس بمعنى الروح التي تسكن هذا الجسم وتوجهه فإذا فارقته حل به الموت [2].

وفيما يلي دلالات لفظة النفس في القرآن الكريم : [3]

أولاً : وردت لفظة النفس في الذكر الحكيم بمعنى أن الإنسان كائن حي أصله واحد _ سواسية الخلق _ يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب ثم يجازى عن عمله أخيراً الجزاء الأوفى، ويتضح هذا المعنى في الآيات الكريمة التالية : ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ (البقرة آية ٤٨) " أي لا يغني أحد عن أحد" [4] .

﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (المائدة آية ٤٥).

﴿ **لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (البقرة آية ٢٣٣).

ثانياً : النفس بمعنى الروح التي تدخل في جسم الإنسان، وهو جنين وتخرج إلى بارئها عندما ينتهي الأجل، ويتضح ذلك في الآيات الكريمة التالية :

﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾ (الفجر آية ٢٧).

﴿**أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾ (الأنعام آية ٩٣).

---

(1) انظر:التمهيد،ص١-٣.

(2) انظر: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ، محمد عز الدين توفيق، المقدمة،ص٥ .

(3) انظر: علم النفس التربوي في الإسلام، د/ شادية أحمد التل ص٢٩.

(4) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ١٣٩.

وفى حديثة عن المنافقين وأموالهم وثرواتهم، وكيف أن الله يريد أن يعذبهم بها في الدنيا بجمعها ورعايتها والنصب عليها، فتكون وبالاً عليهم في الدنيا، وكذا يعذبهم بها في الآخرة، ثم بعد كل هذا العناء عليها يموتون على الكفر، فلم يستفيدوا منها لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿**فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾(التوبة آية ٥٥). [١]

ثالثاً: النفس بمعنى أصل البشرية، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ (النساء آية ١) جاء في تفسير هذه الآية: "أن الأصوليين قد اتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين وهذا هو الأصح لوجوه، منها أنه – تعالى- علل الاتقاء بأنه خالق لهم من نفس واحدة، وهذه العلة عامة لجميع المكلفين وهي نفس آدم عليه السلام " [٢]

رابعاً:النفس بمعنى الذات الإلهية، ويتضح ذلك في قوله:﴿...**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**﴾(آل عمران آية ٢٨)." أي ذاته المقدسة " [٣] .

خامساً : النفس بمعنى شخص بعينه، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**﴾(الكهف آية ٦).

و"المقصود هنا شخص سيدنا محمد يخاطبه الله –تعالى- مسلياً له في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه " [٤] .

﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ (يوسف آية ٣٢).

والمقصود هنا شخص يوسف عليه السلام .

﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**﴾ (القصص آية ٣٣)

والمقصود هنا الرجل الذي قتله موسى عليه السلام في أرض مصر" يعني ذلك القبطي " [٥].

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن،السعدي، ص٣٥٤ .

(2) التفسير الكبير، الرازي ، ج٩،ص١٥٨.

(3) فتح القدير، الشوكاني ، ج١، ص ٤٩٤.

(4) تفسير القرآن العظيم، ج٣ ، ص ١٥٦

(5) المرجع السابق ، ج٣،ص٦٢٢.

سادساً : النفس بمعنى نية الإنسان وجوهره الداخلي، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ **مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ (النساء آية ٧٩) .

﴿ **رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾ (الإسراء آية ٢٥) "هو الرجل تكون عنده المبادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به، فقال: ربكم أعلم ما في نفوسكم إن تكونوا صالحين .." [١]

﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾(الرعد آية ١١).

سابعاً : النفس بمعنى القبيلة والجنس، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(التوبة آية ١٢٨) أي منكم وبلغتكم .

﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ (الروم آية ٢١) أي خلق لكم من جنسكم إناثاً يكنَّ لكم أزواجاً، ويعنى بذلك حواء، خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر . [٢]

ثامناً : النفس بصيغة الجمع لتفيد تبادل الفعل، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة آية ٥٤).

أي ليقتل بعضكم بعضاً.

﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾ (النور آية ٦١)، أي ليسلم بعضكم على بعض .

تاسعاً: كما وردت اللفظة بمعنى العقل، والقلب، والفؤاد، بما يتوافق مع مصطلح العرب عن النفس بمعنى العقل، وحيث وصف العرب ذم العقل بالسفه الذي هو من الجهل، حيث يكون الجهل بخلاف الحلم، وهو العقل، كقوله تعالى :﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾ (البقرة آية ١٣٠).

عاشراً: كما وردت بما يدل على فعل القلب من الحسرة وشدة الحزن ﴿ **فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾(فاطر آية ٨) أي "إنها مصدر التأثر والحزن والشعور" [٣] "فلا تهلك نفسك حزناً على الضالين وحسرة عليهم، فليس عليك إلا البلاغ،

---

(1) تفسير القرآن العظيم،ج٣ ، ص ١٠٢ .

(2) انظر: المرجع السابق، ج٣ ، ص ٦٨٢.

(3) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر،عبد المجيد أحمد منصور وآخرون، ص ٥٤ .

وليس عليك من هداهم من شيء " [١]

حادي عشر: أيضاً وردت النفس بمعنى الغرض أو الهوى أو الحاجة والرغبة في الشيء [٢] ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (يوسف آية ٥٣) أي: إن النفس لأمارة بالسوء ربما احتالت على العقل وعلى الضمير، مستغلة شيئاً من تهاونهما، فحققت أغراضها عن طريق تقديم مبررات مغلوطة لأفعالها، ومن ثم قد يصنع الإنسان عملاً يحسب أنه لا ضير منه في حين تكون نفسه الأمارة بالسوء قد أنفذت غرضها من خلاله " فإنها مركب الشيطان ومنها يدخل على الإنسان " [٣].

﴿ **وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**﴾ (يوسف آية٦٨) أي: بمعنى الحاجة فإنهم" لما ذهبوا ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم، وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة وقضاء لما في خاطره " [٤]، وقال تعالى:﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(المائدة آية ٣٠)" أي لم يزل يعزم نفسه ويحزمها حتى طوعت له قتل أخيه الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه، فقتله فأصبح من الخاسرين دنياه وآخرته " [٥] .

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن لمفهوم النفس معنيين رئيسيين في القرآن الكريم، معنى عام يتعلق بالإنسان ككل متكامل من جسم وروح، ومعنى خاص يتعلق بالجزء كالروح.

"هذا ومن الجدير ذكره أن مفهوم (النفس) ورد في السنة النبوية بالمعنى العام الشمولي أيضاً، ويتضح ذلك في قول النبي r : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [٦] كما ورد بالمعنى الخاص في قوله r : (ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره، قالوا : بلى، قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه) [٧]" [٨].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٥٢.

(2) انظر:علم نفس الدعوة محمد زين الهادي ، ص ٢٦.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٢٣.

(4) المرجع السابق، ص٤٢٥.

(5) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥.

(6) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،ح رقم ١٣،ص١٧.

(7) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب شخوص بصر الميت يتبع نفسه،ح رقم ٢٠١٦،ص٤١٩.

(8) علم النفس التربوي، ص ٣٢.

ومن هنا نعلم أن النفس في القرآن الكريم أطلقت على شيء في داخل كيان الإنسان جامع لكثير من الصفات، والخصائص الإنسانية، التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني .

ولئن كان هذا الشيء وحقيقته غير معلوم على وجه التحديد لدى الناس، إلا أن كثيراً من صفاته وخصائصه، وآثاره الظاهرة في السلوك مدركة معلومة، موصولة بالشعور الظاهر لدى الإنسان السليم.

فالنفوس البشرية كلها قد خلقت من نفس واحدة، هي نفس الإنسان الأول(آدم)، ثم اشتق الخالق من هذه النفس الواحدة نفس زوجها، ثم بث منهما عن طريق التناسل كل السلالات البشرية المتكاثرة حتى قيام الساعة، وهذا يدل على أن أسس وخصائص النفوس ومكوناتها وعناصرها تشترك في أصول واحدة، فالنفوس هي التي تمنح الحياة وهى التي تموت، وتذوق الموت وهى التي تقتل، وهى التي يتوفاها الله، كل هذه المفاهيم دلت عليها نصوص القرآن الكريم كما ذكر آنفاً .

المطلب الثاني

معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم

نستدل من المخلوق على الخالق، ونستدل من عظمة المخلوق على قدرة مبدعه، وعندما يصبح لنا هذا الاستدلال يكون إيماننا بعظمة الخالق، وتسليمنا بعظمة قدرته المبدعة، وقد خلق الله- سبحانه - هذا الكون بما فيه من سماء وأرض، وخلق الإنسان، وخلق له هذه النفس، وقديماً تركزت كل فلسفة الحكيم الإغريقى سقراط حول قضية واحدة عدها قضية القضايا ولخصها في عبارة واحدة صغيرة الحجم كبيرة المعنى، وهى اعرف نفسك وهى عبارة موجهة لكل إنسان، لأن نفس الإنسان أولى الأشياء بالمعرفة.

وهذا الحكيم لم تكن دعوته صادرة عن عقيدة دينية سماوية، ومع ذلك فقد رتب على هذه المعرفة قيماَ أخلاقية سلوكية للإنسان، إذ رأى أن هذه المعرفة تفضي بالإنسان إلى سلوك طريق الفضيلة، وهذا الطريق من شأنه أن يحقق للإنسان رضاءه عن نفسه وسعادته، ومن ثم كانت هذه المعرفة لازمة لكل إنسان، من حيث هي المعبر إلى السعادة .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الإنسان إلى التأمل في الملكوت للاستدلال بذلك على الخالق المبدع سبحانه وتعالى، والقرآن يدعونا كذلك إلى التأمل في أنفسنا في قوله تعالى: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ (الذاريات آية ٢١) وقال (وفي أنفسكم) ولم يقل(إلى أنفسكم)، والفرق بينهما هو الفرق بين من ينظر إلى السطوح ويتغلغل في الأعماق .

ومن أجل هذا يدعونا القرآن الكريم إلى أن نبصر في أنفسنا بعد أن نبهنا إلى ما في الأرض من آيات.

فالنفس، وإن كانت أقرب الأشياء إلينا، فهي في الغالب أبعد الأشياء عن تفكيرنا وتأملنا، فقليل من الناس هم أولئك الذين يتأملون في أنفسهم بالمعنى القرآني .

وليست هذه المقابلة بين العالم المشهود وعالم النفس الإنسانية مجرد صدفة، إنها على العكس تلفتنا لفتاً قوياً إلى أن عالم النفس حين نتأمله يكشف لنا عن نفس الأدلة والبراهين التي تتكشف لنا في العالم الأكبر وذلك أن الإنسان، ذلك الجرم الضئيل قد تمثلت فيه كل مقومات العالم الأكبر، فإذا أدرك الإنسان نفسه، أدرك العالم من حوله، ومن فوقه ومن تحته، ويجد نفسه دليلاً على الموجد المبدع سبحانه، ودليلاً على قدرته المعجزة، ودليلاً على تدبيره الحكيم، وعلى هذا فإن الدعوة التي يدعونا فيها القرآن الكريم إلى أن نتأمل في نفوسنا هي دعوة إلى تلمس الأدلة من أقرب الأشياء إلينا . (١)

وقد يبدو للوهلة الأولى أن دعوة الحكيم الإغريقي (اعرف نفسك) ، ودعوة القرآن الكريم : ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ (الذاريات آية ٢١) تسيران في مسار واحد، وتستهدفان غاية واحدة، لكن الأمر في الحقيقة غير ذلك، فالخلاف بين الدعوتين كبير وجوهري وان بدتا في الظاهر متوافقتين.

لقد رأينا الحكيم القديم يستهدف من دعوته تلك غاية سلوكية أخلاقية، حين رأى أن معرفة الإنسان نفسه تهيئ له سلوك طريق الفضيلة، وأن سلوك الإنسان طريق الفضيلة يحقق له السعادة في دنياه فالغاية المرجوة من هذه المعرفة إذن تتوقف عند الحد الأخلاقي العملي، وحين يكون تحقيق الإنسان السعادة لنفسه هو الغاية الأخيرة من هذه المعرفة تصبح هذه المعرفة نفسها هي معيار هذه السعادة، وهو عندئذ معيار مرن، ومتغير، ومتفاوت .

أما الدعوة القرآنية فإنها تستهدف حقاً سعادة الإنسان في الدنيا، ولكنها تتجاوز ذلك إلى سعادته في الآخرة .

ذلك أن المعرفة بالنفس التي تدعو إليها الآية الكريمة ليست هي المعرفة المؤدية إلى السلوك أو الدافعة إليه، بل هي المعرفة المؤكدة لإيمان الإنسان ويقينه بوجود الخالق المبدع سبحانه .

إنها إذن الطريق إلى معرفة الله تعالى من خلال أعز مبدعاته عنده، وحين تتحقق للإنسان هذه المعرفة يقوى الإيمان لديه، ويثبت اليقين، وعند ذلك فإنه يتحرى أوامر الله

---

(1) انظر نصوص قرءانية في النفس الإنسانية ، د. عز الدين إسماعيل ، ص١١٨-١١٩.

تعالى ونواهيه، فيعمل في حياته بما أمر الله به، وينتهي عما نهى عنه، فيحقق لنفسه السعادة في الدنيا، وهو في الوقت نفسه يكسب رضا الله تعالى عنه، والثواب الجزيل لديه، وإنه بذلك يحقق لنفسه سعادة الدارين، فمن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه عمل ما يرضيه، ومن أرضى ربه حظي بالسعادة في الدنيا والآخرة .

وهكذا تجاوز معرفة الإنسان نفسه- كما يدعو إليها القرآن الكريم - حدود الهدف الأخلاقي العملي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى .

فمعرفة الله إذن هي معيار السعادة وليست معرفة النفس- كما هو الشأن عند حكيم الإغريق القديم- هي هذا المعيار .

وهذا هو الفرق الجوهري بين فكر الفيلسوف المحدد بالغايات النفعية المادية، والمعتقد الديني الذي يجعل الغاية النفعية مترتبة على الغاية الاعتقادية، ولما كان للعقيدة الدينية صفة التكامل والثبات كانت هي المعيار الضابط لسلوك الإنسان الذي لا تؤثر فيه التغيرات العرضية [1] .

وإذا تعرف الإنسان على خالقه وفاطره، وعمل بأوامره وانتهى عما نهى عنه، فإن ذلك الإنسان هو الجدير بأن يكون خليفة الله في أرضه .

فالنفس الإنسانية فقيرة بذاتها، قوية وعزيزة بالله سبحانه وتعالى، فمعرفة النفس تؤدى إلى معرفة الله (سبحانه وتعالى) وتحمل صاحبها على أداء الأمانة وتحقيق الرسالة التي من أجلها خلق، ولأجلها يحيا في هذه الحياة الدنيا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، فيحظى بعطائه ورضاه وبذلك يستحق أن يكون خليفة الله في الأرض، قال تعالى :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾(الذاريات آية٥٦).

ولقد حث القرآن على التفكير في النفس وفي عجيب خلقه ودقة تكوينه، قال تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ (الروم آية ٨) والمعنى:" أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل الله ولقائه في أنفسهم، فإن فيها آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي، قد نفخ فيه الروح، إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا يُنهون ولا يُؤمرون ولا يُثابون ولا يُعاقبون" [2]، وقد قيل في هذا المعنى : أعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك[3] .

---

(1) انظر نصوص قرءا نية في النفس الإنسانية، ص ١٢١ .

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٩٩ .

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٢٠.

فالسعادة هي معرفة الحقيقة، ولا يكون ذلك إلا من خلال معرفة الإنسان لذاته : ماهيتها، رغباتها، ومصيرها، ولا سبيل لمعرفة الذات معرفة صحيحة إلا من خلال هدي القرآن الكريم، والحديث، والسيرة النبوية الشريفة .

وما يعتقده أكثر الناس من أن السعادة تتأتى من المأكل والمشرب والتمتع بمتاع الدنيا من شهوات جنسية وبنين ومال وجاه، إن هي في الحقيقة إلا لذات آنية ، مصحوبة غالباً بالألم، تعطي القليل القليل مما نسميه بالسعادة المزيفة .

فالسعادة الحقيقية هي إحساس داخلي شبه دائم بالرضا والطمأنينة لا يمنحها إلا البارئ لمن تبع هداه فقط، إنها إحساس شخصي ذاتي داخلي بالسكينة، لا يعرفه إلا من ذاقه، أو كما يقول بعض العارفين بنعمة الإيمان: من ذاق عرف، ولو ذاق الملوك نعمة السعادة الحقيقية التي يمنحها الإيمان بالله لقاتلونا عليها [(١)] .

فحينما يدرك الإنسان نفسه وما حوله، فإنه يعرف بذلك أين مكانه الحقيقي، وأين مكانته في هذا الوجود، يقدر حينئذٍ معنى المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية.

من أبواب المعرفة:

- "الباب الأول : باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله تعالى ورسوله r .
- الباب الثاني : باب التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها، وقدرته ولطفه، وإحسانه وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه .

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها وكمالها، وتفرده بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيهاً في أوامره ونواهيه، فقيهاً في قضائه وقدره، فقيهاً في أسمائه وصفاته، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري، وذلك قوله تعالى :﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ (الحديد آية٢١)" [(٢)].

من أقوال العلماء في معرفة النفس :

أولاً : قال قتادة -رحمه الله- :"من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خُلق ولينت مفاصله للعبادة". [(٣)]

---

(1) من علم النفس القرآني، د عدنان الشريف .

(2) الفوائد، الإمام ابن قيم الجوزية ، ص ٢١٣ .

(3) تفسير القرآن العظيم، ج ٤ ، ص ٣٤١.

ثانياً : وقال الغزالي [١]- رحمه الله - :"فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة، وأقرب شيء إليك نفسك، وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى، ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عُشر عشيره، وأنت غافل عنه، فيا من هو غافل عن نفسه، وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك، وقد أمرك الله التدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال : ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ (الذاريات آية ٢١) " . [٢]

ثالثاً : وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: " لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه، ودعاه خالقه، وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء، إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر في نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين." (٣)

رابعاً: وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه اللهً- : " توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركوز في الفطرة، وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كانت نطفة ثم صارت النطفة في قرار مكين، وانقطع عنها تدبير الأبوين، وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق ، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدروا " [٤].

خامساً : وقال سيد قطب -رحمه الله- في تفسير آية:﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ وهذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض، ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسراره الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين ، آية عجيبة في تكوينه الجسماني : في أسرار هذا الجسد،عجيبة في تكوينه الروحي : في أسرار هذه النفس وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه " [٥].

وهكذا فهم الأوائل أنفسهم من خلال معرفتهم لهذا الكتاب وآيات النفس المنبثة خلالها، وكان ذلك ثمرة التجربة والمعاناة والمعايشة والتطبيق، ومن هنا اطمأنت نفوسهم، وعزت كرامتهم، فلم يتمكنوا من السيطرة على نفوسهم فحسب، بل عمَّ تأثيرهم سائر الأرجاء، ودانت لهم نفوس كثيرة ما كان لها أن تدين إلا لهذا السلطان الآسر الذي صنعته تعاليم

---

(1) الغزالي، الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف، برع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وألف كتاب الأحياء وغيره الكثير، وكان مولده سنة خمسين وأربع مئة.انظر: سير أعلام النبلاء ج١٨ ، ص ٣٢٢.

(2) إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ج ٤ ، ص ٤٣٥ .

(3) التبيان في أقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، ص ١٨٨ .

(4) العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ، ص ١٦٤ .

(5) في ظلال القرآن، ج ٦ ، ص ٣٣٧٩ .

السماء، وتوالـــت الأجيـــال التابعة المنتفعة بهذا التراث الجليل، وآيات الــنفس مبثوثـــة فـــي القرآن الكريم .

ومن هذه الآيات قول الله تعالى :

﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾ (الشمس آية ٧)

﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ** ﴾ (النساء آية ١٢٨)

﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر آية٩).

والإنسان اليوم أحوج ما يكون إلى من يعاونه في فهم نفـسه، ومعرفـــة إمكانياتـــه، وقدراته، وتوجيهها الوجهة الصحيحة ليكون أقدر على مواجهة مشاكل الحضارة المعاصـــرة، حيث تعقدت الحياة أكثر، وازدادت الأعباء الملقاة على كاهله، وارتفعت مـــستويات طموحـــه لتصل إلى ما هو أبعد من كرته الأرضية، وازدادت معارفه المادية زيادة مذهلة ، وتراجعــت بالمقابل معارفه الروحية والأخلاقية،حتى بات يتشكك في قيمه وما تآلف عليه آباؤه وأجـــداده، وفقد بالتالي نقطة ارتكازه واهتزت لدرجة فقد معها اتزانه، حتى صـــارت مظـــاهر التـــوتر والضيق والقلق هي سمات هذا العصر.

المطلب الثالث

علاقة النفس بالقلب والعقل والجسد والروح في ضوء القرآن الكريم

اعتنى كثير من العلماء بالبحث عن النفس، وعلاقتها بالروح والقلب والجسد، إلا أن أغلب تلك البحوث لم تسفر بشكل واضح عن التفسير المنطقي لتلك العلاقـــة وخاصـــة بـــين النفس والروح، فيجعلونها في معنى واحد تارة ومعنى مختلف تارة أخـــرى، ولعـــل المتتبـــع للمنهج الرباني، يجد ما يكشف الحقيقة وينير الطريق حول ذلك، فإن الله عز وجل هـــو مـــن خلق النفس، ونفخ الروح، وكون القلب وخلق الإنسان في أحسن تقويم، فلا هدى إلا هداه، ولا علم إلا علمه، قال تعالى: ﴿ **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾(العلق آية ٥) "فإنه تعالى أخرجـــه مـــن بطن أمه لا يعلم شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد ويسر له أسباب العلم، فعلمه القـــرآن، وعلمه الحكمة، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها علـــى جزاء ولا شكور" [١] .

قال تعالى:﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك آية ١٤)، فمن خلق الخلـــق وأتقنه وأحسنه كيف لا يعلمه وهو اللطيف الخبير.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ، ص١٠٣١ .

ولكي نستطيع فهم العلاقة بين النفس والروح والقلب والجسد ومحاولة رفع الغموض واللبس بين هذه المفاهيم، كان لا بد من توضيح المفاهيم المتعلقة بالنفس .

وبما أن الباحثة قد تعرضت سابقاً لمفهوم النفس في القرآن الكريم، ستتطرق إلى المفاهيم الأخرى بصورة مختصرة.

أولاً : مفهوم القلب:

القلب هو جوهر الإنسان فصلاحه يعنى صلاح الإنسان ، قال رسول الله r :(إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [(1)] والله سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب عند الحساب لا إلى الصور والأجساد ، قال رسول الله r (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم) [(٢)].

وقد وردت كلمة قلب ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعان مختلفة لعل أبرزها التالية :

١- القلب محل الفطرة السليمة، كما في قوله تعالى:﴿**إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الشعراء آية ٨٩).

٢-القلب محل العواطف والانفعال، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...**﴾ (البقرة أيه ٧٤)٠

٣-القلب محل الإيمان والهداية، والفهم ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ (الحجرات آية ٧) ، ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ (التغابن آية ١١) ، ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ (النحل آية ١٠٦).

٤- القلب محل المعصية ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿**وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة آية ٢٨٣) .

وبالرجوع إلى معاني النفس الإنسانية ومدلولاتها، كما وردت في القرآن الكريم، وبمقارنتها بمعاني القلب الواردة أعلاه، يمكن القول بأن مفهوم النفس ورد بمعنى عام شامل للإنسان بكليته؛ جسمه وروحه، كما ورد بمعنى خاص (الروح)، أما القلب فورد بمعان خاصة فقط . [(٣)]

ومن هنا ترى الباحثة أن مفهوم النفس بمعناها العام أشمل وأوسع من مفهوم القلب، وبمعناها الخاص ترادفه، فالقلب والنفس محل الفطرة .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ح رقم٥٢،ص٢٦.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه ح رقم ٦٤٣٧،ص١٢٧٠.

(3) انظر: علم النفس التربوي، ،ص٤٨-٤٩.

ثانياً : العقل:

العقل من مكونات النفس، ولقد وردت مشتقات كلمة عقل في القرآن الكـريم بمعنـى فعل من أفعال القلوب، كما في قوله تعالى : ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج آية ٤٦) كما يشير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ (الأعراف آية ١٧٩) إلى أن القلوب هـي التـي تفقـه [١]، وعليه يمكن القول بأن للقلب جانبين؛ جانب وجداني وجانب عقلي، ويوضـح المـاوردي [٢] علاقة العقل بالقلب بقوله :" العقل نور في القلب يفرق بين الحق والباطل، ويستـشهد بقولـه تعالى : ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾، ويـرى أن هـذه الآية الكريمة تشير إلى أن العقل علم، وأن العقل محله القلب كما يرى أن صحة المرء تكون باكتمال عقله، مسترشداً بقوله r :(إن الأحمق يسيء بحمقه أعظم من فجـور الفـاجر) [٣]، وللعقل جانبان جانب فطري بالطبع أي ذكاء غريزي، وجانب مكتسب أي ذكاء بالخبرة " [٤].

ومما سبق يمكن القول بأن مفهوم القلب أعم من العقل، فالعقل نور في القلب وفعـل من أفعاله .

ثالثا : الجسد:

الجسد هو البناء الذي يجسد في الفرد الجانب المادي المحسوس والملمـوس، حيـث أبان القرآن الكريم لفظة الجسد أو الجسم بما يدل على أن الجسد لا يتعادل فـي قيمتـه مـع النفس ويتوافق مع هذا أن الجسد يصبح رمادا بعد الفناء، في حين أن النفس تخلد حتى يـوم الحساب، ولذلك هناك فرق بين النفس والجسد والدليل على ذلك، قوله تعـالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(آل عمران آية ١٨٥) " يدل على أن النفوس لا تموت بموت البدن، لأنـه جعـل النفس ذائقة الموت، والذائق لا بد وأن يكون باقياً حال حصول الذوق، والمعنى أن كل نفس

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٣١٩.

(2) الماوردي، الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيـب البـصري، الـشافعي، صاحب التصانيف، مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة، وقد بلغ ستاً وثمـانين سـنة، وولـي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، وله تفسير القرآن سماه : (النكت) و(أدب الدنيا والدين) و(الأحكـام السلطانية) و(قانون الوزارة وسياسة) انظر: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ، ص ٦٤.

(3) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ح رقم ٧٠٤٨ ، ج١ ، ص ٢٨٩.

(4) أدب الدنيا والدين للماوردي ، ص٤ .

ذائقـــة مـــوت البدن، وهـــذا يـــدل على أن النفس غير البدن، وعلى أن الـــنفس لا تمـــوت بموت البدن"[1].

ومن ناحية الاضطرابات والأمراض النفسية تبين وجود تزاوج بين الجسم والـــنفس، حيث ثبت في الدراسات المعاصرة أن الأمراض النفسية، التي يترتب عليها أمراض جـــسمية مثل قرحة المعدة والذبحة الصدرية وأمراض الحساسية توضح أن المتاعـــب النفـــسية تـــؤثر بالضرورة على الحالة الصحية والنفسية للفرد وهذا كله يؤكد الصلة والرابطة بـــين الجـــسم والنفس. [2]

وليس أدل على علاقة الوضع النفسي بالجسدي من قول الله عزوجل﴿ **سِيمَاهُمْ فِـــي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ (الفتح آية ٢٩) "أي : قد أثرت العبادة- من كثرتها وحـــسنها- فـــي وجوههم حتى استنارت، فلما استنارت بالصلاة بواطنهم استنارت بـــالجلال ظـــواهرهم"، [3] ويقول أيضا:﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْـــوَدَّتْ وُجُـــوهُهُمْ أَكْفَـــرْتُم بَعْـــدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ (آل عمران آية ١٠٦) وقال أيضا: ﴿ **وَأَمَّـــا الَّـــذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (آل عمران آيـــة ١٠٧)"يخبـــر الله تعـــالى بتفاوت الخلق يوم القيامة في السعادة والشقاوة،وأنه تبيض وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وامتثلوا أمره، وتسود وجوه أهل الشقاوة الذين كذبوا رسله وعصوا أمره." [4]

فرق القرآن الكريم بين النفس والبدن في قوله تعالى: ﴿**فاليوم ننجيك ببـــدنك لتكـــون لمن خلفك آية ...**﴾ (يونس آية٩٢) مخاطباً فرعون الذي لحق بسيدنا موســـى عليـــه الـــسلام فأغرقه المولى في البحر نجد أن نفس الفرعون قد ماتت مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**كُـــلُّ نَفْـــسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(آل عمران آية ١٨٥) أما بدن الفرعون قد قضت حكمة المولى أن تبقيه منذ ثلاثة آلاف سنة ونيف إلى يومنا هذا، ليكون بدن الفرعون آية وبرهاناً مادياً محسوساً قاطعاً للـــذين يأتون بعـــد الفرعـــون ،على صـــدق التنزيل ، فبدن (أي مومياء) الفرعـــون الـــذي لحـــق بموسى عليه السلام موجود حتى اليوم في متحف القاهرة بمصر [5].

بناءً على ما سبق يمكن القول بأن علاقة النفس بالبدن إنمـــا هـــي علاقـــة التـــدبير والتصـــرف فإذا ما التـــوى عودهـــا بان ذلك منها في تصرفات الفـــرد ولاح فـــي ملامـــح سلوكه بوضوح .

---

(1) التفسير الكبير، ج٩ ص١٢٥ .

(2) انظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وعلم النفس المعاصر،ص٦٠.

(3) تيسير الكريم الرحمن،ص٨٨٦.

(4) المرجع السابق، ص١٣٠.

(5) من علم النفس القرآني، ص٤٠ .

ومن خلال ذلك يمكن القول إن الجسد وعاء النفس فهو بمثابة المسرح للعمليات الناتجة عن التفاعل بين الجسد والنفس .

رابعا: الروح :

وردت كلمة روح ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، والروح كما هو معلوم هي الشطر الغيبي من الإنسان، وهى سر من أسرار الله سبحانه وتعالى ولا نعرف عنها سوى القليل، قال تعالى: ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً**﴾ (الإسراء آية ٢٥) .

وقد وردت لفظة روح في القرآن ومشتقاتها بمعان مختلفة ولعل أبرزها :

١- الروح بمعنى جبريل عليه السلام، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ (الشعراء آيه١٩٣-١٩٤).

٢- الروح بمعنى الوحي(القرآن)، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ** ... ﴾ (الشورى أية ٥٢).

٣- الروح بمعنى التأييد والنصر، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿**أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾ (المجادلة آيه٢٢).

٤- الروح بمعنى رسول من الله تعالى، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ (النساء آية ١٧١)، وقد أضيفت إلى الله على سبيل التشريف.

صفات الروح:

*وللروح صفات منها: أنها تنفخ في الجسد كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (الحجر آية ٢٩)، يقول القرطبي معلقاً على الآية: "النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً..." [(١)] .

*والروح تخرج كما في قوله تعالى: ﴿**أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ** ...﴾ (الأنعام آية٩٣) .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن،ج١٠،ص١٧.

* والروح تمسك وترسل كما في قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الزمر آية ٤٢).

* والروح تصعد وترجع وتقبض فهي جوهر مستقل عن البدن . [(١)]

ومن خلال ما سبق ندرك أن أوسع الألفاظ ورودا في الذكر الحكيم هي النفس التي تدل على كيان الإنسان بصفته كائناً حياً، ولا يختص بالدلالة على التفكير أو الفهم ، ويلي ذلك لفظة القلب التي تدل على العنصر الواعي والعاطفي في الإنسان .

والروح تمثل حقيقة مجردة ذات أصل إلهي، وتتصل بالإنسان على نحو خاص يميزه عن سائر المخلوقات، والعقل في الذكر الحكيم يمثل حقيقة فعل العقل الذي يدل على الفهم والتفكير.

فندرك من خلال ذلك، أن كتاب الله الذي نزل بالحق وضح النظرة الشاملة المتكاملة للنفس الإنسانية والتي تتشكل من النفس والقلب والروح والعقل.

والمكونات الإنسانية في القرآن الكريم تؤكد الترابط الكلي المركب من الجسد والروح من جانب، والعقل والقلب من جانب آخر.

وفق ما سبق يتبين أن العلاقة بين الجسم والروح علاقة دائبة طالما أن الجسم حيٌّ، وحيث يحدث الضعف والإرهاق والتراخي في جهد الإنسان يحدث مثل ذلك في حالته المعنوية، وهذا يسبب خللاً في طاقته العقلية والحيوية، فالعلاقة متبادلة التأثير بينهما .

آراء العلماء في الفرق بين النفس والروح :

أما أقوال العلماء في الفرق بين النفس والروح، فقد تباينت واختلفت: فمنهم من جعلهما شيئا واحدا، ومنهم من فرق بينهما، ويمكن تلخيص بعض الآراء كالآتي:

في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي...**﴾(الزمر آية ٤٢) .

- قال ابن عباس- رضي الله عنهما – "إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس : التي بها العقل والتمييز، والروح : هي التي بها النفس والتحريك ، فيتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها حين النوم والأظهر أنهما شيء واحد". (٢) وهو الذي دلت

(1) انظر:علم النفس التربوي، ص٥٥.

(2) الجامع لأحكام القرآن ،ج١٥، ص١٧٠، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة الزحيلي ج ٢٤ ، ص ٢٢-٢٣ .

عليه الآثار الصحاح، ومن ذلك قول النبي r : عن أبى هريرة t قال : (إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها) [(1)]، وقال بلال في حديث الوادي : (أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بنفسك)[(2)]، وقال رسول الله e مقابلاً له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي: (يأيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا في حين غير هذا [(3)]). [(4)]

- وقال الرازي :" النفس الإنسانية : عبارة عن جوهر مشرق روحاني، إذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه في جميع الأعضاء، وهو الحياة، ففي وقت الموت : ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وباطنه، وذلك هو الموت، وأما في وقت النوم فإنه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع تام كامل، والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه ." [(5)]

- وقال ابن عاشور -رحمه الله تعالى- عند تفسير قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ (النحل آية ١١١) :"إن النفس الثانية ما به الشخص، فالاختلاف بينهما بالاعتبار ... وذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح فيسمونها النفس، أي الذات، وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير أنا، ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه ويسمونها نفساً أيضاً ومنه أخذ علماء المنطق اسم النفس الناطقة " [(6)].

- أما أبو حامد الغزالي-رحمه الله تعالى- يرى أن الروح تعني النفس والقلب بما يدل على أنه يريد بهما معنى واحداً، فيقول: "إن الروح بمعنى النفس الناطقة أو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو أحد معاني القلب، والنفس بهذا المعنى هي : حقيقة الإنسان وذاته، وهي تطابق معنى الروح والقلب في ذلك.

---

(1) صحيح مسلم،كتاب الجنة وصفة نعيمها،باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه،ج٤، ح رقم٧١١٥،ص١٤٠٦.

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها، ح رقم ٤٣٩،ص٧٥.

(3) موطأ مالك ، كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة،ح رقم ٢٦،ص٢١.

(4) الجامع لأحكام القرآن، ج١٥ ص١٧٠.

(5) التفسير الكبير،ج٢٦،ص٢٨٤.

(6) التحرير والتنوير، ج١٤- ص٣٠٢ .

وأحياناً يفرق بينهما فيفهم من خلال حديثه عنهما،أنه جعل الروح في تجويف القلــب، وجعل النفس قوة الغضب والشهوة في الإنسان، وقال: هذا استعمال أهل التصوف لها ". [١]

_ وقال ابن منظور، ومعه كثير من اللغويين: "أن الروح والنفس شــيء واحــد، والــروح، والنفس، يذكر ويؤنث". [٢]

- أما د.عدنان الشريف من المعاصرين فقد ذكر أن الروح والنفس أشياء مختلفة عن بعضها، فذكر أن النفس هي الدم، وجزم بذلك وأن الروح مكانها في القلب، وأن النفس التي هي الدم تنقل الروح إلى كل خلية من خلايا البدن، فتبعث فيها الحياة، ويقول: إن الروح هــي العقــل المفكر، وآلته الدماغ الإنساني، ويدافع بأن النفس ليست الروح، لأن النفس عنــده هــي الــدم فقط، والروح عنصر حيوي مفكر، وعن طريقه تكون كل الانفعالات والتفــاعلات الحيويــة والدماغية في الإنسان ... والظواهر النفسية وما يتبعها من انعكاسات عضوية [٣].

وهكذا يتبين أن المفسرين قد اختلفوا في التفريق بين النفس والروح، فــالنفس أحيانــاً تطلق على الروح وأحيانا مقابل الروح، وذلك أن النفس والروح من أمور الغيب بالرغم من وجودهما فينا، وكل أمر غيبي لا يقع تحت حسنا وإدراكنا المباشر، لا يمكن الفــصل فيــه إلا من خلال القرآن والسنة النبوية، ومن خلال الفهم على ضوء النصوص الشرعية التي تملــك زمام الغيب نستطيع أن ندرك بعضا من ذلك .

والناظر إلى تلك النصوص يجد أن ثمة علاقة وثيقة حميمة بين الروح والنفس، ويجد الحديث عنهما في تلازم وتناغم .

وبالعــودة إلى معنى النفس ومدلولاتها كما وردت في القــرآن وبمقارنتهــا بمعــاني الروح الواردة سابقاً يمكن القول بأن النفس بمعناها العام أعم وأشمل من الــروح، وبمعناهــا الخاص ترادفه .

ويتضح من خلال ذلك أن الروح لا تدل على التكوين الجسمي أي الجــسدي وحــده، ولا على الجسد والروح بمعنى الإنسان وفعاليته ونشاطه، كما هو الأمر بالنسبة للنفس وفــي هذا مايدل على تمييز الروح عن النفس في القرآن الكريم ليس هذا فحــسب، بــل إن الــذكر الحكيم يدعو إلى الانتباه بأن إدراكنا بطبيعة الروح قاصر فهي من أسرار الغيب.

---

(1) إحياء علوم الدين، ج٣،ص٤.

(2) لسان العرب،-مادة –نفس-ج٦،ص٢٨٢.

(3) انظر : من علم النفس القرآنى، ص٤٠ ، ٤١.

المبحث الثاني
معالم النفس في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أنواع النفس البشرية.

المطلب الثاني : النفس البشرية عند الفلاسفة .

المطلب الثالث : عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية.

المطلب الأول

أنواع النفس

النفس الإنسانية هي نفس واحدة مصداقاً لقوله تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ (النساء آية١)، وقوله تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ (الأنعام آية ٩٨). " التحقيق أنها نفس واحدة " [١] ولكن النفس تتوارد عليها أحوال، أحياناً تهبط وأحياناً تعلو، وأحياناً تقوى، وأحياناً تضعف، وأحياناً تسود وتقود. فالثبات الدائم ليس هو السمة الغالبة على النفس الإنسانية، ولكن لها أحوال.

وقد وقع الاختلاف بين الباحثين في حصر عدد هذه الأحوال التي وصف بها القرآن الكريم النفس الإنسانية، فمنهم من أوصلها إلى سبعة: أمارة، ولوامة، ومطمئنة، وزكية، وحوازية - أي تستحوذ على الإنسان فتدمغه إلى تكرار أنماط سلوكية وسواسية - ظالمية، مجاهدة، ومنهم من أوصلها إلى اثنتي عشرة حالة: النفس المطمئنة، واللوامة، والزكية، والمجادلة، والملهمة، والأمارة، والمهتدية، والمجاهدة، والشاكرة، والصالحة، والشحيحة، والخيرة.

والظاهر أنه بهذه الطريقة يمكن أن تصل هذه الأنواع إلى أكثر من ذلك، إلى الحد الذي اعتبرت فيه كل صفة من صفات النفس نوعاً من أنواع النفس الإنسانية، لذلك ظهرت الحاجة إلى التمييز بين المستويات الأصلية التي تحدد أنواع النفس، والمستويات الفرعية التي تلحق بها، والمعيار لمعرفة المستويات الأصلية أنها لا تندمج في غيرها، وأنها تصف الحالة العامة للنفس بحيث تندرج تحتها جزيئات السلوك، وأنها تكون مذكورة في آية من آيات القرآن الكريم [٢].

فورود كلمة نفس، أو مشتقاتها في أية قرآ نية كريمة لا يكفي بالضرورة لاشتقاق نوع من أنواع النفس، فالنفس تسمى باعتبار كل حالة باسم.

وواضح أن وصف النفس بهذه الأوصاف لا يعني نفوساً متعددة بل هي أحوال تعتري كل نفس على تفاوت في غلبة حال منها أو آخر، واستقرار النفس على حال من تلك الأحوال لا يلغي طروء الأحوال الأخرى، ويشتق لها الاسم من الحالة الغالبة عليها في لحظة من اللحظات، أو فترة من الفترات، فيقال نفس أمارة، أو لوامة، أو مطمئنة.

---

(1) الروح ، ص٢٦٦ .

(2) انظر: علم النفس التربوي، ص٣٦-٣٧.

ومن الجدير بالذكر أن أحوال النفس تتسم بالاستقرار النسبي، الأمـــر الـــذي يـــسمح بتزكيتها وارتدادها من جهة أخرى، فالإيمان يزيد وينقص، وقد يصبح الإنسان مؤمناً ويمـــسي كافراً، فالنفس الإنسانية تتأثر بالتربية وظروف البيئة.

وبعد استعراض أحوال النفس في القرآن الكريم، رأت الباحثة أن تـــستعرض أكثـــر الأحوال وروداً في القرآن الكريم: وهي السوية التي فطر عليها الإنسان، والأمارة، واللوامـــة، والمطمئنة.

أولاً: النفس السوية(الملهمة):

قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (الشمس آية ٧-٨) فـــي هذه الآية صفتان للنفس: سوية وملهمه، ومعنى سوية " إنْ حملنا النفس على الجسد فتـــسويتها: تعديل أعضائها على ما يشهد به علم التشريح، وإنْ حملناها على القـــوة المـــدبرة فتـــسويتها: إعطاؤها القوى الكثيرة كالقوة السامعة، والباصرة، والمخيلة، والمفكرة، والمـــذكرة علـــى مـــا يشهد علم النفس " [١] .

وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: (ونفس ومـــا ســـواها) أي" خلقهـــا الله ســـوية مستقيمة على الفطرة القويمة" [٢] .

والصفة الثانية(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا): " بين لها ما ينبغي أن تأتي أو تـــذر مـــن خير أو شر، أو طاعة أو معصية" [٣] .

والإلهام :" أن يوقع في قلبه، وإذا أوقع الله في قلب عبده شيئاً ألزمه ذلـــك الـــشيء " [٤]. وحاصل كلام المفسرين في الإلهام المذكور في الآية: أنه إلهـــام الفطـــرة، أو بيـــان الوحي (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)عرفها ذلك بالفطرة، وبين لها ذلك بالوحي، فالنفس الإنـــسانية في أول أحوالها نفس سوية، تلهم طريق الفجور، وطريق التقوى، فتميز بينهما بهداية الفطرة، وهداية الرسالة.

ثانياً: النفس الأمارة بالسوء:

تخلق النفس الإنسانية سويةً على الفطرة وملهمة من الله سبحانه وتعالى، ثـــم تطـــرأ عليها وساوس الشيطان، فتتحول من السواء الذي خلقت عليه وتأمر صاحبها بالسوء.

---

(1) التفسير الكبير، ج٣١،ص١٩١ .

(2) تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٧٥٣.

(3) جامع البيان ،ج٣٠ ،ص٢١٠ .

(4) فتح القدير، ج٥ ،ص٦٤٥.

والأمر من النفس نوعان:

النوع الأول: الأمر بالخير إذا بقيت على أصل الفطرة .

والثاني: الأمر بالسوء إذا انحرفت عن سواء الفطرة، وقد وصف القرآن النفس الأمارة بالسوء في قوله تعالى عن أول قتل وقع في الأرض:﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (المائدة آية٣٠)، وقال تعالى:﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ** ﴾(يوسف آية٥٣) " إن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك" [١] ولا ينجو من الوقوع في حبائلها، والاستجابة لرغباتها إلا من ثاب إلى عقله، واستمع إلى ضميره، وتسمى أيضاً النفس الشهوانية.

وقال تعالى على لسان يعقوب لما أخبره بنوه أن الذئب أكل يوسف﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾ (يوسف آية ٨٣) فهذه الآيات نسبت الأفعال السيئة للنفس، فهي الأمارة، والمسولة، والمطوعة، وفي مواضع أخرى من كتاب الله نجد نفس الأفعال منسوبة للشيطان مثل قوله تعالى عن موسى لما دفع المصري فكان في تلك الدفعة أجله: ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ﴾ (القصص آية ١٥).

فالشيطان قرين النفس الأمارة بالسوء؛ فهو الذي يوسوس للنفس، وهي التي تستجيب، وتنفذا، ولذلك كان من دعاء الرسول **r** (أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه) [٢].

فعندما تتحالف النفس مع الشيطان، وتقف في صفه تصبح مثله مصدراً للشر، وأما أصلها فأمارة مأمورة إن ائتمرت بأمر الله أمرت بالحق والخير، وإن ائتمرت بأمر الشيطان أمرت بالباطل والسوء.

ثالثاً: النفس اللوامة:

هي النفس التي أقسم الله تعالى بها في قوله:﴿**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ (القيامة آية ٢).

اختلف أهل التأويل في قوله(اللوامة) فقال بعضهم معناها: النفس التي تلوم على فوات الخير وفعل الشر.

وقال آخرون: بل اللوامة التي تلوم على ما فات وتندم.

---

(1) فتح القدير،ج٣،ص٤٩.

(2) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات، ح رقم ٣٥٢٩، ص٨٠١.

وقال آخرون: اللوامة:الفاجرة.

وقيل: إنها المذمومة (١) ، وذكر الزمخشري أن"النفس اللوامة هي النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيامة على تقصيرها في التقوى، أو التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه، وإن الكافر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

وقيل: هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة، وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل: هي نفس آدم التي لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة" (٢).

وهذه الأقوال التي ذكرت وإن اختلفت ألفاظها إلا أن المعاني متقاربة، فالمؤمن يلوم نفسه التي توقعه في الذنب، وهذا اللوم من الإيمان،أما الشقي، فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها على فواته .

فكل واحد يلوم نفسه، براً كان أو فاجراً؛ فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهواها.

وكل هذه الأقوال حق، ولا تنافي بينها، فإن النفس موصوفة بها كلها، وباعتباره سميت لوامة.

***وجه المناسبة بين القسم بالقيامة والنفس اللوامة:**

ذكر العلماء عدة أوجه في المناسبة بين القسم بالقيامة والنفس اللوامة:

الوجه الأول:أن أحوال القيامة عجيبة جداً، والمقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال النفوس، أي سعادتها وشقاوتها، فقد حصل بين القيامة والنفوس اللوامة هذه المناسبة الشديدة.

الوجه الثاني: القسم وقع بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث أنها أبداً تستحقر فعلها وجدها واجتهادها في طاعة الله. (٣)

الوجه الثالث: يوم القيامة هو يوم الحساب والنفس هي ذلك الجانب الذي يناقشه الحساب.

الوجه الرابع: النفس اللوامة هي حساب النفس في الدنيا، ويوم القيامة هو حساب النفس في الآخرة. (٤)

---

(1) انظر: جامع البيان ، ج٢٩ ،ص ١٧٤- ١٧٥.

(2) الكشاف،ج٤ ،ص١٩٠.

(3) انظر: التفسير الكبير،ج ٣٠،ص٢١٦.

(4) انظر:خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ،ص٣٣.

*لطيفة:

(اللوّامة) صيغة مبالغة على وزن الفعّالة مما يدل على أن عملية اللوم عملية مستمرة مع الإنسان، " وتنبه عن التكرار والإعادة". [1]

فهذه النفس لا تزال تلوم صاحبها باستمرار، والإنسان الذي ما يفتأ يلوم نفسه إنسان فيه صلاح؛ لأن لوم النفس علامة على أن الإنسان غير راضٍ عنها، وعندئذٍ يكون اللوم عاصماً للنفس من الإقدام على أفعال السوء التي أغرتها بها النفس الأمارة بالسوء.

ويتبين من خلال ذلك التقابل الواضح بين النفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء، فهما يقفان على طرفي نقيض، طرف يجذب الإنسان إلى حضيض الخسة، وآخر يقف له بالمرصاد، يسجل عليه أخطاءه، ويؤنبه على أفعال السوء التي يرتكبها، سواء بالفعل أو بالنية المبيتة. ولأن هذا الجانب من النفس هو الجانب النظيف الشريف الرادع للنفس الأمارة بالسوء، فقد أقسم الله تعالى به.

ومن خلال ذلك يتبين أن النفس اللوامة قسمان، وذلك بحسب من تحل به:

١- نفس المؤمن اللوامة: وهي النفس التي أقسم بها في قوله تعالى:﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ*وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ وهي التي قصدها الحسن البصري في قوله: إن المؤمن لا تراه إلا لائماً لنفسه، وهي النفس التي تلوم ذاتها على التقصير والتفريط في جنب الله تعالى وتأمل التعويض فتقول:﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ**﴾(الزمر آية ٥٥).

٢- نفس الكافر اللوامة: هذه نفس ظالمة يلومها الله تعالى ويلومها الناس وتلومها الملائكة حتى أنها تلوم ذاتها، ولومها لذاتها يكون في:

*حالة مذنب أقر بذنبه واعترف بخطيئته فلام نفسه لأنه أتاها، ولكن كان ذلك في وقت لا ينفع معه الندم، وفي مثل هذا يقول الله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً**﴾ (النبأ آية ٤٠) [2].

رابعاً: النفس المطمئنة:

وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾ (الفجر آية ٢٧).

---

(1) التفسير الكبير،ج٣٠،ص٢١٦.

(2) انظر: خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ص ٣٣- ٣٤ .

فالمطمئنة هي التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا والآخرة، فصدقت بذلك، وقد اختلف أهل التأويل في المطمئنة؛ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :المصدقة وقال قتادة- **t** -: المطمئنة إلى ما قال الله، والمصدقة بما قال، وقال آخرون: المصدقة الموقنة بأن الله ربها، والمسلمة لأمره فيما هو فاعل بها. [١] ويقول سيد قطب- رحمه الله-: "المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة في السراء والضراء، المطمئنة فلا ترتاب، المطمئنة فلا تحزن والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعيب..." [٢]

والاطمئنان هو الاستقرار والثبات، واليقين بالحق، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿**وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ (البقرة آية٢٦٠)، ولا يحصل هذا الاطمئنان إلا بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد آية ٢٨)، والطمأنينة هي المعرفة الحقة بالله تعالى، فثبت أن من آثر معرفة الله لشيء غير الله فهو غير مطمئن، وليست نفسه نفساً مطمئنة، وكل من كان غير ذلك كان أُنسه لله، وشوقه إلى الله وبقاؤه بالله، وكلامه مع الله، فلا جرم أن يخاطب عند مفارقة الدنيا بقوله:﴿**يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾ [٣](الفجر آية٢٧).

والحديث عن النفس المطمئنة ورد في سياق آيات كريمة عن تجلي عظمة الله سبحانه وتعالى، وقد برزت الجحيم حقيقة ماثلة للعيان، هنالك يتذكر الإنسان كل ما اقترف من ذنوب، ولكن ماذا ينفعه التذكر،إنه يتمنى لو كان في حياته قد عمل لهذا اليوم ما يجنبه عذاب الجحيم، أي رعب وأي هلع يستولي عليه وقد رأى المصير الأليم، "فلما وصف حال من اطمأن إلى الدنيا، وصف حال من اطمئن إلى معرفته وعبوديته، فقال: (**يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**)" [٤] ، تقف نفوس المؤمنين مطمئنة بما وعدها الله به في الآخرة، في رفقة عباده الصالحين، ولا تعاني من هذا القلق النفسي وتلك الحيرة والضياع التي تشكو منها المجتمعات الغربية، وهي ضريبة الشرود عن منهج الله، قال تعالى:﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ (طه آية ١٢٤) فالمسلم بين هذه الجموع الشقية يجد هذه الطمأنينة.

وبما أن الحياة قد تعقدت في وقتنا الحاضر، وجلبت المدنيات المعاصرة العديد من نمارق الحياة، وزخارفها، وأصبح الإنسان يلهث في طلب المزيد من متاع الدنيا، ناسياً أنه

---

(1) انظر: جامع البيان ،ج٣٠ص١٩٠.

(2) في ظلال القرآن، ج٦،ص٣٩٠٧.

(3) انظر: التفسير الكبير ،ج ٣١،ص١٧٦ .

(4) المرجع السابق،ج٣١،ص١٧٦.

مفارقها، لذلك يصعب وجود هذا النمط من البشر، فالنفوس المطمئنة هي نفوس قليلة جداً، فأكثر النفوس أمارة بالسوء، وقليل منها النفس اللوامة، وأقل منها النفس المطمئنة، نسأل الله أن يرزقنا إياها.

وأنواع النفس الإنسانية على الهيئة التي وردت لا يعني بأي حال ترتيبها أو تسلسل حركتها وتقلبها، وكل ما يمكن الجزم به النوع الأول الذي تخلق عليه النفس الإنسانية_الحالة السوية الملهمة_ ثم تتقلب إلى حال أو أحوال أخرى.

وأنواع النفس تتفاوت في نياتها، وأفعالها، ولكنها نفس واحده تكون أمارة تارة، ولوامة أخرى، ومطمئنة ثالثة.

المطلب الثاني

النفس عند الفلاسفة

احتلت النفس البشرية مكانة مهمة في فلسفة القدماء، فلقد استحوذ التفكير في موضوع النفس ذلك المخلوق المهيب على فلاسفة الرومان واليونان والمسلمين، وحتى لا يثقل البحث في الحديث عن موقف الفلاسفة من النفس، ويتحول الموضوع إلى بحث عقلي جاف يتنافى مع ما هدفت إليه الباحثة وهو بيان آفات النفس وكيفية علاجها، لذلك رأت الباحثة أن تشير إلى هذا الموضوع بإيجاز.

والواقع أن الفلاسفة توغلوا في الحديث عن النفس، لكنه حديث قائم على منهج خاطئ لأنهم تصوروا أنهم يستطيعون بالبحث العقلي أن يصلوا إلى حقيقة النفس، فخاضوا وتشعبت أراؤهم، وكثرت تخبطاتهم في المتاهات العقلية النظرية، أما القرآن الكريم فإنه يقرر أن حقيقة النفس غيب اختص الله بعلمه، فقال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا**﴾(الإسراء آية ٨٥) فالمطلوب هو دراسة أحوالها وكيفية تهذيبها وعلاج ضعفها.

وأول ما يعرض له الفلاسفة إثبات وجود النفس بالبراهين العقلية، ورد الإمام الراغب الأصفهاني على الفلاسفة بقوله : "إن وجود النفس في الإنسان لا يحتاج إلى دليل لوضوح أمره، فالنفس هي تحصيل الحياة، والحركة، والحس، والعلم، والرأي، والتمييز." [١]

***طبيعة النفس:**

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص٢٠.

أما الحديث عن طبيعة النفس، فإنهم اختلفوا في ذلك، فمنهم من قال بماديتها، ومنهم من قال بروحانيتها، والقائلون بالمادية انقسموا، فمنهم من قال إنها جسم، أو الجسم الإنساني نفسه، أو عرض من أعراضه ، أو إنه جسم لطيف.

أما أنصار روحانية النفس فقد قالوا: إن النفس ليست جسماً، ولا عرضاً لجسم، ولا يجوز عليها الحركة، والسكون، واللون، والطعم، فسقراط يرى أن النفس " ذات روحية قائمة بذاتها، وأنها هي جوهر الإنسان الحقيقي، وأن البدن ليس إلا أداة لها، وأن في الموت خلاصها وتحريرها" [١].

ولا يبعد تصور أفلاطون للنفس عن هذا، فهو يرى أن " النفس هي العنصر الجوهري في الإنسان وأنها ذات مستقلة، فلا يدخل البدن في تعريفها ولا يعد جزءً من ماهيتها، وحقيقتها، وحينئذٍ فهي المبدأ الذي تفيض منه الحياة على الجسم، وهي التي تحركه، وتدبره، وتعنى بأمره" [٢].

فأفلاطون يتفق مع أستاذه سقراط في تصور النفس جوهراً روحياً، وأن هذا الجوهر يضيق بالجسم المادي الذي يحل فيه، ولكنه أيضاً هو الذي يمنحه الحياة، ويتخذ منه أداة لحركته، وهكذا ينحو هذان الحكيمان في فهمها للنفس منحىً روحيا.

أما أرسطو فيبدو أنه في نظرته للنفس كان متأثراً بفلسفته الطبيعية في العلاقة بين مادة الشيء وصورته، فقد كان ينظر إلى الإنسان بوصفه جوهراً واحداً تتحد فيه المادة والصورة، أما المادة فهي الجسد، وأما الصورة فهي النفس، فقال: " كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجر أو الرخام إلا بتحطيم التمثال نفسه، كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن إلا بالقضاء على هذا الأخير" [٣] .

وواضح من هذا أن أرسطو لا يتمثل النفس بمعزل عن الجسم، بل هي متلبسة به ولا وجود لها إلا فيه.

هذان هما التصوران الأساسيان للنفس عند الثلاثة الكبار من فلاسفة الإغريق.

وتظن الباحثة أن هذين التصورين قد تمثلا بصفة عامة، وأحيانا مع شيء من التحوير لدى فلاسفة المسلمين أنفسهم حين تعرضوا للحديث عن النفس .

---

(1) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام،محمود قاسم،ص٢٣.

(2) المرجع السابق ص٣٢،٣٣.

(3) المرجع نفسه، ص٦٨.

ومما يفيض فيه الفلاسفة بحثاً ومناقشة: الحديث عن وحدة النفس، فقد اختلفت آراؤهم حول كون النفس واحدة أو منقسمة، فمنهم من قال إنها واحدة وإن ما يبدو لنا من اختلاف وتجزئة فيها إنما يعود إلى تنوع قواها، وليس إلى تعدد النفوس وتجزئتها، ومن هؤلاء أرسطو فهو يرى أن حلول شيء واحد في أجسام مختلفة يؤدي لسلوكيات مختلفة لهذا الشيء، ومنهم من قال بانقسام النفس في الكيان الواحد إلى أجزاء متعددة، فيرى أفلاطون أن في النفس ثلاث قوى تتصارع فيما بينها على تسيير الشخصية التي حلت بها، والقوة التي تكون لها الغلبة هي التي تسمى باسمها وهذه القوى هي: النفس العاقلة، والغضبية، والشهوانية، فالانسجام في عمل النفس بقواها المختلفة، ففي الحالة الطبيعية تخضع النفس الشهوانية للغضبية، وتخضع الغضبية للعاقلة، وبذلك يكون الوئام والانسجام في عمل النفس.

ويقول أفلاطون: إن تجزؤ النفس يكون من خلال الأعراض لا من خلال الفعل وعلى ذلك، فإن الاختلاف يحصل لحلولها في أبدان مختلفة، والتجزئة تكون بالقوة لا بالفعل [1].

والغريب أن الفلاسفة يختلفون في أصل النفس هل هي قديمة أو حادثة، فقد قال بعضهم بأزلية النفس وقِدمها، وهم فلاسفة اليونان وبخاصة أفلاطون الذي ادعى أن النفس كانت في المثل والأفلاك ثم هبطت فحلت في أبدان البشر. وقال بعضهم بحدوثها، وهم أكثر فلاسفة الإسلام، ومن قبلهم أرسطو الذي قال: إن النفس صورة الجسد وهي بالتالي حادثة معه.

ولا شك أن النفس حادثة، ولا يجوز أبداً القول بقدمها؛ لأن هذا يعارض صريح آيات القرآن، فقد قال تعالى:﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** ﴾ (مريم آية٩)، وقال تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ (الإنسان آية١).

كما إن القول بقدم النفس يعني أنها غير مخلوقة، وهذا شرك بالله تعالى الذي خلق كل شيء، وكل ما في الوجود مخلوق بأمره قال تعالى:﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ (الزمر آية٦٢).

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن الفلاسفة لن يصلوا إلى معرفة حقيقة النفس مهما بحثوا وبخاصة أنهم قد أعياهم البحث منذ آلاف السنين، فلم يظفروا إلا باضطراب يزيد النفس غموضاً، والعلم الحديث ما دام بعيدا عن المنهج لن تكون نتائجه صحيحة.

ومن خلال ذلك تجد أيضاً كيف اضطرب الفلاسفة وتخبطوا في المتاهات العقلية بحثاً عن حقيقة النفس وجوهرها، فلم يظفروا إلا بما يزيدها غموضاً.

---

(1) انظر: خواطر الإنسان بين علم النفس والقرآن، ص٢٢-٢٣.

المطلب الثالث

عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية

لقد فهم علماء المسلمين النفس البشرية من خلال فهمهم لآيات الله، فقد وجد العلماء في الكتاب الكريم إشارات كثيرة تتصل بموضوع النفس، وضرورة حراستها، وإيقافها عند حدود الشرع، ومن خلال إقتدائهم بالرسول r الذي يعتبر أعظم معالج نفسي فقد عالج أمراضاً نفسية يعجز الأطباء، في العصور القديمة والحديثة، على إيجاد علاج لها، وكانت هذه الإشارات منطلقا انطلقوا منه، ولقد كان للعلماء المسلمين عناية بالطب النفسي، وأفردوا لهذا العلم الكثير من أبحاثهم، واشتملت العديد من مؤلفاتهم على الإفاضة في ذكر المصطلحات النفسية والروحية.

*طبيعة النفس:

تبدو عند فلاسفة المسلمين النظرة الروحية لطبيعة النفس، فيشير الإمام الغزالي إلى أن للنفس معنيين يتعلق أحدهما بالصفات النفسية المذمومة المضادة للقوى العقلية، ويراد به المعنى الجامع لقوة الغضب، والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال غالب على أهل التصوف، فيما يتعلق الآخر بحقيقة الإنسان وذاته.

فإن نفس كل شيء حقيقته، أي جوهره. ويضيف: " إن أول ما يخلق عند الطفل هي النفس الشهوانية التي يشترك فيها مع الكائنات الحية الأخرى من نبات وحيوان، ثم تخلق له النفس الغضبية التي يشترك فيها مع الحيوان فقط، وأخيرا تخلق النفس العاقلة التي تنفرد عن الكائنات الحية الأخرى، ويكون التطابق على أساس مقابلة النفس الشهوانية مع النبات، والغضبية مع الحيوان، والعاقلة مع الإنسان" (١) .

ونقل نزار العاني قول ابن مسكويه من كتابه السعادة، أن" النفس ناسوتية، وهي الأصل في الإنسان، فإن تمت تزكيتها بالذكر، والفكر، والرياضة صارت روحاً ترتقي إلى أن تكون سراً من أسراره سبحانه وتعالى، وقد تميل النفس إلى الطبيعة الجسدية، فتجذب القلب إلى الأسفل، وتأمره بإشباع الشهوات، وبالأخلاق السيئة، وقد تتنور وتتيقظ من الغفلة، وتعمل على إصلاح حالها، متقلبة بين حالتي الربوبية والخلقية، فإن صدر عنها فعل شيء تداركها النور التنبيهي الإلهي، في ضوء فطرتها المجبولة عليها، فتلوم نفسها وتتوب إلى خالقها، وقد تتخلق بالأخلاق الحميدة وتترفع عن الأخلاق الذميمة فيتنور قلبها بالإيمان، وتواظب على فعل الطاعات". (٢)

---

(1) إحياء علوم الدين، ج٣ ، ص١٥ .

(2) الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، نزار العاني ص٢٨ .

أما ابن باجه الأندلسي[1] فيرى في كتابه "النفس" أنها "موهبة إلهية بها تبصر النفس الناطقة نفسها كما أنها ترى بقوة العين ضوء الشمس". [٢] ويقرر ذلك ابن سينا فيقول:" فالنفس إذن جوهر لأنها صورة" [٣] .

"كما يضع فلاسفة المسلمين النفس الناطقة من النفس الإنسانية على رأس الملكات الإنسانية، بل ويسندون إليها رئاسة سائر قوى النفس، والرقابة عليها ويوقنون كذلك بقدرة هذه النفس على إدراك الحقيقة المطلقة بصورة يقينية" [٤] .

ويتبين من خلال ذلك أن فلاسفة المسلمين ينظرون إلى طبيعة النفس نظرة روحية، ويوافقون أرسطو والأفلاطونية بأنها من طبيعة عالم المثل وليست من قبيل العالم المادي، وأنها صورة.

ومن خلال ذلك يتبين بأن الفلاسفة المسلمين تأثروا بصورة أو بأخرى بالفلسفة اليونانية، في نظرتهم إلى ماهية النفس.

***وحدة النفس الإنسانية:**

ذهب الفلاسفة المسلمون إلى القول بوحدة النفس، فقال ابن رشد" إن جوهر النفس وحقيقتها نشاط وإدراك عقلي، أي أنها عقل فعال". [٥]

وينظر فلاسفة الإسلام إلى أن لكل جسم نفسه الخاصة، وأنه من المستحيل أن يحتوي الجسم الواحد على أكثر من نفس واحدة، وأن للنفس قوى منبثة في جميع أنحاء البدن وتنقسم هذه القوى لديه إلى قسمين رئيسين،أحدهما موكل بالعمل، والآخر موكل بالإدراك [٦].

***النفس لا تعدم وهي باقية:**

ذهب بعض فلاسفة المسلمين إلى أن النفس قديمة على مذهب أفلاطون لأن البارئ تعالى عنده علة وجودها، والمعلول عنده لا ينعدم، فالنفس لا تنعدم .

وذهبت طائفة من محققيهم أن النفس محدثة وهو مذهب ابن سينا١ ولكن اتفق الكل على أنها لا تنعدم ، وبذلك أخبرت الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى:﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ**

---

(1) ابن باجه الأندلسي:فيلسوف الأندلس،محمد بن يحى بن الصائغ الشاعر كان يضرب به المثل في الذكاء، مات بفاس سنة٥٣٣هـ.انظر: سير أعلام النبلاء،ج٢٠،ص٩٤.

(2) الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، ص٢٤ .

(3)نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة،الكتاب الثاني، طبيعة المعرفة، د راجح الكردي، ص١٥٣.

(4) المرجع السابق، ص١٥٤.

(5) في النفس والعقل، ص١١٤ - ١١٥ .

(6) انظر: طبيعة المعرفة،الكتاب الثاني ، ص١٥٤-١٥٥.

اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾(المائدة آية١١٩) وقال تعالى:﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(آل عمران آية ١٦٩)، وقال سبحانه في نفس الكافر:﴿ **لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى**﴾(الأعلى آية١٣) و(طه آية٧٤) وقال تعالى في أهل الجنة:﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾(الدخان آية٥٦) .

وتخصص موسوعات الفلسفة الإسلامية كالشفاء لابن سينا وغيره مقالات مطولة لدراسة النفس دراسة مفصلة من حيث تعريفها، وتقسيمها إلى نفس نباتية، وحيوانية، وناطقة، ومن حيث قواها الظاهرة، والباطنة، ووحدتها، وكثرتها، وقدمها وحدوثها إلى آخر هذه الأبحاث التي تأثروا فيها بفلسفة أرسطو أو أفلاطون تأثراً واضحاً، وربما انفرد الفلاسفة المسلمون باستعمال خاص في قولهم بوجود "نفس" للنبات، فلم يعهد في الاستعمال العربي إطلاق "النفس" بمعنى القوى المحركة على النبات أو الجماد، وقد ذهب هؤلاء ومعهم الإمام الغزالي وبعض الأشاعرة إلى أن النفس ليست جسماً ولا عرضاً حلا في جسم، وإنما هي جوهر مجرد قائم بذاته غير متحيز، وتعلقه بالبدن تعلق تحريك وتدبير فقط.

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أن النفس "جسم لطيف " يسري في البدن سريان الماء في العود الأخضر، ويرى الإمام النووي أن هذا المذهب هو الأصح عند علماء الحديث، وذهب البعض الآخر إلى أن النفس تحل في البدن كما يحل العرض في الجوهر.

ويذهب أبو البقاء [٢] في كلياته إلى أن القول بتجرد النفوس لا يتنافى مع شيء من قواعد الإسلام [٣] .

([1]) ابن سينا:العلامة الشهيد الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ولد في صفر سنة٣٠٧ومات في رمضان ٤٢٨.انظر:سير أعلام النبلاء ج١٧ ،ص٥٣١.

(2) أبو البقاء، هو الشيخ الإمام النحوي محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، صاحب التصانيف، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، حاز قصب السبق في العربية، وكان ثقة، متديناً، حسن الأخلاق، من تصانيفه : (تفسير القرآن) وكتاب (إعراب القرآن)، وكتب أخرى كثيرة، توفي العلامة أبو البقاء في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وست مئة، وكان ذا حظ من دين وتعبد وأوراد،انظر: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٩٣.

(3) انظر: الموسوعة الإسلامية العامة، ص١٤٠٩-١٤١٠.

المبحث الثالث

الإعجاز النفسي في القرآن

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : آيات الله في الأنفس.

المطلب الثاني :أثر القرآن في الأمن النفسي.

المطلب الثالث : وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس

المطلب الرابع: أثر سماع القرآن في النفس.

المطلب الأول

آيات الله في الأنفس

إن القرآن الكريم كتاب هداية، أنزله الله تعالى على محمد r وللناس كافـــة يخاطـــب فيه عقل الإنسان، ووجدانه، ويعلمه عقيدة التوحيد، ويزكيه بالعبادات، ويهديه إلـــى مـــا فيـــه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية، ويرشده إلى الطريق الأمثـــل لتحقيـــق ذاتـــه، ونمو شخصيته. وارتقاء نفسه إلى مدارج الكمال الإنساني حتى يـــستطيع أن يحقـــق لنفـــسه السعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (الجاثية آية ٢٠)، **وقال تعالى**: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَـــا فِـــي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس أية ٥٧)، ووجه القرآن الكريم نظر كل إنسان إلـــى نفسه قال تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ كما وجه نظره إلى ما حولـــه، فمـــرة يـــأمره بذلك مباشرة، مثل قوله تعالى:﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ**﴾(الذاريات آيه ٢٠)، ومرة يوجـــه نظره عن طريق القسم بهذه النفس تنبيهاً إلى ما فيها من آيات مثل قوله تعالى:﴿**وَنَفْسٍ وَمَـــا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾(الشمس آيه٧-٨) ومثل قوله تعـــالى: ﴿**لا أُقْـــسِمُ بِيَـــوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ (القيامة أيه ١-٢) وسواء كان توجيه النظر إلى آيـــات الله في النفس بهذا الأسلوب أو ذاك، فإن الغاية هي أن يتبين الإنسان الحق الذي قام عليه وجوده، ووجود السموات والأرض .

قال تعالى :﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُـــمْ أَنَّـــهُ الْحَـــقُّ**﴾ (فصلت آيـــة٥٣) غير أن هذه الغاية البعيدة للنظـــر فـــي آيات الأفاق وفي الأنفس- الاعتبار- لا تمنع من غاية أخرى قريبة؛ هي الانتفاع بتلك الآيات وتسخيرها، بـــل إن الخلافـــة فـــي الأرض انتفاع واعتبار، كما قال عز وجل:﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـــافِعُ وَمِنْهَـــا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾ (النحل آية ٥-٦)، فـــذكر ســـبحانه غايتيـــن لخلـــق الأنعـــام: المنفعة والجمال، كما قال تعالى:﴿**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِـــي تُـــورُونَ* أَأَنتُمْ أَنشَـــأْتُمْ شَجَرَتَهَـــا أَمْ نَحْـــنُ المنشـــئون* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَـــذْكِرَةً وَمَتَاعـــاً لِّلْمُقْـــوِينَ**﴾ (الواقعة آية ٧١-٧٣)، فذكر سبحانه غايتين لخلق الشجر، وخلق النار المتولدة منها بـــالاحتراق وهما: التذكرة والمتاع.

والتفكر في النفس الذي أمر به القرآن الكريم، يعني التفكير فيها بالمعنى العام الـــذي يقابل الآفاق، ويشمل الإنسان بجوانبه الجسمية، والروحية، وهو متضمن للمعنى الخاص.

وقد ذكرت بعض الآيات القرآنية نماذج من آيات الله في الأنفس، ونبهت على مواضع العبرة فيها وهي على ثلاثة أنواع:

١- نوع يرشد إلى نظر عمودي، يتأمل الإنسان من خلاله أطوار خلقه، ومراحل حياته مثل قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سُلالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أنشأنه خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾(المؤمنون آية ١٢-١٦).

٢- نوع يرشد إلى نظر أفقي يتفكر الإنسان من خلاله فيما أودعه الله من آيات في أعضاء جسمه وملكات نفسه، مثل قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ**﴾ (البلد آية٨-٩) وقوله تعالى:﴿**الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (الرحمن١-٤).

٣- ونوع يرشد إلى نظر مقارن يقف الإنسان من خلاله على آيات الله في الأنفس والمجتمع، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين آية انتشار الناس في الأرض، وآية الأسرة، وآية اللغة، وآية الحرف، والمهن، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾(الروم آية٢٠-٢٣).

وقد جاءت السنة الكريمة مساندة لدعوة القرآن الكريم في التفكر في النفس، والنظر في آيات القرآن وأمثاله والاعتبار بها، وتحذر من الانحراف عن المنهج الذي يأمر بالتفكر في الخلق لا في الخالق، قال **r** :(يأتي شيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)[١] [٢]

وجاء في سورة فصلت قوله تعالى:﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾(فصلت آية٥٣).

فكانت هذه الآية توجيهاً لأنظار غفلت عن قدرة الله تعالى، ولعقول ضلت الطريق الأقوم، فبعد أن وصفت الآيات السابقة ما عليه الإنسان من استمرار في طلب الخير، ومن

(1) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده،ح رقم ٣٢٧٦، ص.٦٨٦

(2) انظر :التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية،ص٦٦-٦٧.

يأس وقنوط إذا مسه الشر، ومن كبرياء وجحود وإعراض إذا بدل الله ضره رحمة، وبعد أن أشُير إلى أن القرآن حق، وأنه من عند الله تعالى، وأن الضالين حقاً هم من لم ينظروا فيؤمنوا عن دليل، أو يجحدوا عن برهان، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ (فصلت آية٥٢).

"بعد كل ذلك توعدهم بأنه سيريهم آياته في الآفاق، فيشهدوا انتصار الدعوة المحمدية بعدد قليل من المسلمين، يتغلبون على دول ذات عدة وعدد، وحين يرون هذه العجائب في نشر الدعوة على أيدي فئة قليلة، يدركون مدى ما تصنع قوة الإيمان، ويتبين لهم أن دين الإسلام حق، وأن القرآن حق، وأن الثبات والاستقامة هما صفة الحق، والصدق، والاضطراب، والتزلزل صفة الفرية والزور، وأن للباطل ريحاً، تخفق ثم تسكن " (١)

ولئن كان أكثر العلماء حملوا (آيات الآفاق والأنفس) على ما يتصل بالدعوة، والقرآن، والإيمان بالله، فإن الآية مطلقة، وهي تنبيه للغافلين على النظر في ملكوت الله وعلى البحث في آفاق النفس، فإنهم سيرون من آيات الله – تعالى- ما ينتفي معه الشك، فيما جاء به الرسول r من الدين الحق، والكتاب العربي المبين، وما وعد به من البعث للحساب والجزاء، "وينظر الإنسان، فيرى البشر قد كشفوا كثيراً منذ ذلك الحين، فقد تفتحت لهم الآفاق، وتفتحت لهم مغاليق النفوس في القدر الذي شاءه الله تعالى...وعرفوا عن النفس البشرية شيئاً لا يبلغ ما عرفوه عن الجسم؛ لأن العناية كانت متجهة بشدة إلى مادة هذا الإنسان، وآلية جسمه أكثر مما كانت متجهة إلى عقله وروحه، ولكن أشياء قد عرفت تشير إلى فتوح ستجيء...وما يزال الإنسان في الطريق! ووعد الله ما يزال قائما" (٢) .

ثم نزل آية قوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾(الذاريات آية ٢١) فكان أدل على التنبيه، بل على التعنيف، وقد سبقها قوله تعالى : ﴿**وَفِي الأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ**﴾(الذاريات آية ٢٠)، وجاء بعدها : ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ (الذاريات آية ٢٢).

ففي الأرض آيات للموقنين، وفي الأنفس آيات، ولكنها ليست آيات للكسالى عن النظر، الغافلين عن عجائب صنع الله، ولا لمرضى القلوب، ضعاف الأفهام، بل هي آيات واضحات للذين ينظرون، فيمعنون النظر، ويقبلون على تعرف ما أودع الخالق في عالميهم الظاهر والباطن، بوجدان صادق، ونفوس راغبة، في الوصول إلى أقصى درجات اليقين .

---

(1) الكشاف،ج٦،ص٤٥٨.

(2) في ظلال القرآن،ج٥،ص٣١٣١.

فما من ناظر في ظواهر النفوس من اختلاف الألسن والألوان، ومن دقائق التركيب في الخلقة، وعجائب اللطف في الحواس، ووظائفها التي لا يكاد التأمل فيها ينتهي إلى غاية، إلا لاح له غايات أخرى، وربما أشار الناظر إلى روائع منها، وإن كانت لا تعد شيئاً بجانب ما فيها من جلال.

ولعل النظر في كل أولئك أيسر على الدارس، وأهون على المتأمل من النظر فيما ركب في النفوس من عجائب الفطر، وما ركز من مخيلة، وحافظة، وذاكرة، وما تزخر من عواطف وانفعالات [١].

والنفس الإنسانية على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت لدراستها لا تزال مجهلاً لدى السالكين، مهما أوتوا من معرفة، وبصر، وقوة .

بل إن علم وظائف الأعضاء وهو يعتمد على التجارب الحسية لا يزال يكشف في النفس كل يوم جديد.

يقول سيد قطب - رحمه الله -عن عجائب النفس : "والعجائب في النفس الإنسانية لا يحصرها كتاب، فالمعلوم المكشوف منها يحتاج تفصيله إلى مجلدات، والمجهول منها أكثر من المعلوم، والقرآن لا يحصيها، ولا يحصرها، ولكنه يلمس القلب هذه اللمسة، ليستيقظ لهذا المتحف المعروض للأبصار والبصائر، وليقضي رحلته على هذا الكوكب في ملاحظة وتدبر، وفي متاع رفيع يتأمل هذا المخلوق العجيب الكامن في ذات نفسه، وهو عنه غافل مشغول.

فإن القرآن يمثل هذه اللمسة، يخلق الإنسان خلقاً جديداً، بحس جديد، ويمتعه بحياة جديدة، ويهبه متاعاً لا نظير له." [٢]

يقول الله تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾(الروم آية ٨).

وفي هذه الآية دعوة صريحة إلى التأمل، والتفكر وإطالة النظر في ثنايا النفس، وهذا التفكر سيهديهم حتماً أن ينتفعوا بما علموا إلى أن الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، أنه خلقهما بالحق، فلم يخلقهما باطلاً، ولا عبثاً، بل خلقهما لغرض صحيح، وحكمة بالغة، وأن لهذه المخلوقات أجلاً معلوماً تنتهي إليه، كما تنتهي نفوسهم إلى وقت معلوم، و"أن الكثرة من الناس لا يتفكرون في أنفسهم فيبقون في ظلام الجهل بما أودع الله

(1) انظر: القرآن والطبائع النفسية، ص١٤،١٥.

(2) في ظلال القرآن،ج٦،ص٣٣٧٩.

تعالى مما يدل على عظيم حكمته، وكامل قدرته، ويظلون بعيدين عن اليقين بالله، وبالبعث ..." [١].

يتضح من خلال ذلك جلياً أن الغرض من الدعوة للتفكر في النفس إنما هو الوصول إلى الحقيقة الكبرى، وهي خلق الله لهذا العالم، وعلى هذه الحقيقة تترتب حقائق أخرى يتحتم الإيمان بها، ومنها لقاء الله الذي لا ريب فيه.

فائدة:

ربط آية الذاريات وآية فصلت بحرف العطف في قوله تعالى:(وفي أنفسكم...) يبين الدلائل المؤكدة لوجود الله تعالى قائمة في النفس البشرية وحدها بما يعادل قيامها في الكون كله بكل آفاقه، وفي الأرض كلها، وبجميع أطرافها، وليس أدل على وجود قوة الله في النفس البشرية من قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ (طه آية٤٦)، وقوله تعالى:﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾(الحديد آية ٤).

لهذا دعا القرآن الكريم للتفكير في خلق الإنسان، ومن هو الخالق، فقال ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ (الطور آية ٣٥)، الجواب مستحيل أن يكون خلق الإنسان من دون قوة خالقة، بل من فعل قوة عظيمة مدبرة، مبدعة خلقته، وتلك القوة هي الله، إذ لا يوجد حتى الآن من ادعى أنه الخالق، أما الله – تعالى- فقد أكد أنه الخالق في مواضع كثيرة سواء من خلال وجود الإنسان بشكل عام، أو من خلال النفس فيه كأعظم قوة تسيِّر هذا الإنسان . [٢]

ومن فوائد التفكر في النفس:

" زيادة الإيمان: فالتفكر في آيات الله، وفي الكون، وفي النفس﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ (الروم آية ٨)، وفيما خلق الله، هذه الميادين في التفكر، مهمة جدا للإنسان المسلم، وهذا التفكر رأس المال، وينتج بضاعة عظيمة جداً، فالثمرة الخاصة للتفكر العلم، وإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب، تغيرت أعمال الجوارح.

فالعلم تابع للفكر، والفكر هو المبدأ، ينتج علماً، والعلم ينتج حالة في القلب من الخشية، والإحساس بالتقصير في حق الله، والرغبة والجد ينتجها العلم، فيؤدي هذا إلى زيادة أعمال الجوارح بالعمل، فيصلح الإنسان، ويعلو شأنه، ويتحسن حاله، وهذا من نتيجة التفكر". [٣]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن،ص٦٩٩.

(2) انظر: خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن،ص٤٨.

(3) سلسلة أعمال القلوب،الشيخ محمد صالح المنجد،ص١٨٦.

المطلب الثاني

أثر القرآن على الأمن النفسي

الحياة كنوز ونفائس، وأعظمها الإيمان بالله، وطريقها منارة القرآن الكريم، فالإيمـــان إشعاعه الأمان، والأمان يبعث الأمل، والأمل يثمر السكينة، والسكينة نبع للسعادة، والــسعادة حصادها أمن وهدوء نفسي، فلا سعادة بلا سكينة نفس، ولا سكينة نفس بغير إيمـــان القلـــب، فإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس الإنسانية البشرية والقلب الإنساني، فإن الإيمان بـــالله، وبالدار الآخرة هو دواؤها وغذاؤها، وضياؤها.

والقرآن الكريم النبع الفياض الذي لا ينضب هو نور هذا الإيمان، والــسلوك الأمثـــل الذي يجب على الإنسان أن يسلكه ويقتدي به.

" وتتحقق للمؤمن سكينة النفس وأمنها وطمأنينتها لأن إيمانها الــصادق بـــالله يمـــده بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته، وحمايته، لأن المؤمن دائم التوجه إلى الله – تعـــالى- في عبادته وفي كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، ولذلك فهو يـــشعر أن الله تعالى معه دائماً، وهو في عونه دائماً، وأن شعور المؤمن بأن الله - تعالى- في عونه يكفي بأن يبث في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة" [(١)] .

الإيمان مصدر الأمان :

بَين القرآن الكريم ما يُحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المـــؤمن فـــي قولـــه تعالـــى: ﴿**الَّذِيـــنَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُـــواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـــئِكَ لَهُمُ الأَمْـــنُ وَهُـــم مُّهْتَـــدُونَ**﴾ (الأنعام آية ٨٢)، ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِـــنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّـــهِ تَطْمَـــئِنُّ الْقُلُـــوبُ**﴾ (الرعد آية ٢٨)، ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَـــةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِـــن بِاللَّـــهِ يَهْـــدِ قَلْبَـــــهُ**﴾ (التغابن آية ١١) فعند حدوث المصيبة يبين الله- تعالى- مدى تحمل المؤمن لهذه الكارثة و" أن كل من آمن أنها من عند الله فرضي بذلك، وسلم لأمره هدى الله قلبه، فاطمأن، ولم ينـــزعج عند المصائب كما يجري ممن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجـــب الصبر فيحصل له بذلك الثواب العاجل مع ما يدخره له يوم الجزاء من الأجر العظيم" [(٢)] .

ويتبين من خلال ذلك أن القرآن الكريم يربط كل عامل من عوامل الدنيا- التي تجعل الإنسان قلقاً بشأنها- بقوة العقيدة، وسلامة الإيمان، ونقاوته، وبذلك تخـــف الوطـــأة وتهـــون المصيبـــة، فهـــو يخاطب النفس بما يطمئنها، ويريحها، ويهدئ ثائرتهـــا، ولا يمـــر القـــارئ

---

(1) القرآن وعلم النفس،د.محمد عثمان نجاتي، ص ٢٤٢.

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٦٤.

لكتاب الله بآية إلا ويلمس فيها سراً عجيباً، وعلاجاً مريحاً، يزيل عن النفس كابوس القلق والاضطراب.

وهناك نماذج كثيرة في القرآن الكريم تبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، منها قصة إبراهيم u عندما دعا إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التي دعا إلى نبذها، فقال الله – تعالى - على لسان إبراهيم- u - متعجباً!: ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ؟**﴾ (الأنعام آية ٨١) وقد عقب الله – تعالى - على ذلك حاكما بين الفريقين فقال:﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾(الأنعام آية ٨٢) وقد فسر النبي r الظلم في هذه الآية بالشرك، روى البخاري في صحيحة عن عبدالله قال:(لما نزلت ﴿**ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾، قال أصحابه : وأينا لم يظلم ؟ فنزلت ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (لقمان آية ١٣))[1] فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالي يكون الجحود بالله أو الشك فيه أو الشرك به أعظم أسباب الخوف، والاضطراب، والرعب، وصدق الله إذ قال:﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً**﴾(آل عمران آية١٥١) [2] .

ويتبين من خلال ذلك أن الإيمان هو مصدر الأمان، فالناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

الإيمان وأثره الجلي في طمأنينة النفس:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد آية ٢٨) "ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها للذين لم يعرفوها، لأنها لا تُنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها، ويندي بها ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجه ليس مفرداً بلا أنيس فكل ما حوله صديق،إذ كل ما حوله من صنع الله، وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله، وليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. ح رقم٤٦٢٩،ص٩٧١.

(2) انظر: الإيمان والحياة ، ص١٥٨ .

هــو حولــه فــي الكــون؛ لأنه انفصــم من العروة الوثقى التي تربطه بما حولــه فــي الله خالق الكون"[١] .

وهذا هو الأمن النفسي الذي لا يكــون إلا بتذكر عظمة الخالق سبحانه، واستــصغار ما دونه، فلا إله إلا الله: كلمة صغيرة في حروفها، سهلة في نطقهــا، لكنهــا عظيمــة فــي مدلولها، كبيرة في معناها، عميقة في تأثيرهــا، فهي مطمئنة للــنفس، مهدئــة للأعــصاب، ومسكنة للجيشان.

وقد جعل القرآن الكريم وهدي الرسول r محور هذا الأمن، الإيمــان الــذي مقــره القلب، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها، كالأمن الصحي، والأمن النفسي، والأمن الغذائي، والأمن الاقتصادي، والأمن الأخلاقي، وغيرها...أو ما يتعلق بــالمجتمع وترابطــه كالأمن فــي الأوطــان، والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات وغيرهــا، أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله، ونقمته بامتثــال أمــره، وطاعــة رســوله r واتخاذ طريق المتقين مسلكاً لكي تنقذ النفس لكسب رضا الله، واستجلاب رحمته، والأمن من عذابه في نار جهنم وغيرها.

وكل هذه الأنواع من الأمن مطالب ملحة تسعى إليها البشرية في كل عصر، وفي كل مكان، وكل مَن حمل راية الزعامة في كل مجتمع وبيئة يدعو إليها، ويؤصل هذا المدلول مــا روي عن الرسول r : (نعمتان مجحودتان -وفي رواية- مغبون فيهما كثير مــن النــاس- الصحة في الأبدان، والفراغ [٢]) [٣] .

و"قد أشار كثير من المفكرين الغربيين في العصر الحديث إلــى أن أزمــة الإنــسان المعاصر إنما ترجع أساساً إلى افتقار الإنسان إلى الدين والقيم الروحية، "فقد أشــار المــؤرخ أرنو لد توينبي A Toynbee إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث؛ إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي، وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعــانون منــه هو الرجوع إلى الدين.

وهكذا ترى أن للإيمان تأثيراً عظيماً في نفس الإنسان فهو يزيد مــن ثقتــه بنفــسه، ويزيد قدرته على الصبر، وتحمل مشاق الحياة، ويبث الأمن والطمأنينة في الــنفس، ويبعــث على راحة البال ويغمر الإنسان الشعور بالسعادة " [٤] .

---

(1) في ظلال القرآن، ج٤،ص ٢٠٦٠.

(2) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ، باب لا عيش إلا عيش الآخرة ح ، رقم ٦٤١٢،ص١٣٦٦.

(3) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ص١٦١.

(4) القرآن وعلم النفس،ص ٢٤١.

وقد جاءت دراسات منهم تقول: إن المسلمين لا يعرفون الانتحار المنتشر في بلاد الغرب، وبعضهم يطلق على أجيال ما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية أجيال القلق والضياع الفكري.

وتلمس ذلك في كثرة المصحات النفسية في ديارهم، وانتشار شركات التأمين على كل شيء يخشون ضياعه، أو حلول كارثة فيه، فاستغلت شركات التأمين التي أسسها ودعا إليها بوسائل إعلامية مختلفة مصاصو دماء الشعوب وهم اليهود، عندما استغلوا القلق الذي يعيشه أولئك الذين فرغت قلوبهم من الإيمان بالله، فسهل عليهم جذبهم إلى مصائدهم، واستغلال نقطة الضعف فيهم، وندرك بعضاً من سرّ عداوة اليهود للإسلام وأهله، كما أوضح الله عنهم في القرآن الكريم فقال تعالى:﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾ (المائدة أية ٨٢) فاليهود وصفهم الله بشدة العداوة لأهل الإيمان؛ لأنهم يعرفون الله، ويعرفون الحق الذي أنزل على عباده، ويتركون العمل به قصداً وبسابق إصرار وعن علم ودراية، فلذلك كانوا أعداء لله ولأهل الإيمان [1] .

ويتبين من ذلك أن الإيمان الحق هو السير في طريق الله للوصول إلى حب الله والفوز بالقرب من الله لتتحقق السعادة، والسكينة، والطمأنينة التي ينشدها ويسعى بها الإنسان لينعم بالأمن النفسي.

المطلب الثالث

وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس

إن القرآن الكريم هو الآية الأولى للرسول ﷺ وهو معجزته الكبرى التي قدمها للناس، واعتبره دليلاً على رسالته للعالمين، وأن القرآن هو وحي الله إليه، فهو كلام الله سبحانه وليس من تأليف محمد ﷺ .

وأن القرآن قد تحدى الكافرين، وطالبهم أن يقدموا من بيانهم، وكلامهم مثله،أو مثل عشر سور مثله، أو سورة مثله،أو سورة من مثله، ولكنهم لم يقدروا، وبذلك كان القرآن معجزاً لهم، **قال تعالى:**﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾(الإسراءآية٨٨)، وقال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (هود آية١٣)، وقال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن**

---

(1) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ،ص١٦٤ - ١٦٥ .

دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس آية ٣٨)، وقال تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**﴾(البقرة آية ٢٣).

فإعجاز القرآن حقيقة قاطعة وبديهية مقررة، أقر بها المسلمون والكافرون؛المسلمون بتدبرهم القرآن وتذوقهم له، وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته، واعترافهم بإعجازه لهم.

ومن العلوم التي كثرت حولها البحوث والدراسات "أحوال النفس الإنسانية" وكان من المنطقي أن يتوجه علماء وباحثون مسلمون إلى القرآن الكريم؛ ليتعرفوا على حديثه عن النفس.

ووجد هؤلاء في القرآن الكريم آيات كثيرة، تتحدث عن النفس الإنسانية، وتعرض لصفاتها وأوصافها،"والكتاب حافل بالآيات التي تصف النفس الإنسانية في مختلف حالاتها سوية وشاذة، وصاعدة وهابطة، وخيرة وشريرة، ومقبلة ومعرضة، ومؤمنة وكافرة، ولاصقة بالطين أو مرفرفة في عالم النور..." [١] .

جوانب الإعجاز النفسي:

"كثيرون من علماء البلاغة، والتفسير، والقرآن في القديم والحديث،لاحظوا تأثير القرآن في القلوب، وأثره في النفوس فاعتبروا ذلك التأثير من وجوه إعجاز القرآن وعبروا عنه بعبارات متفاوتة" [٢].

والإعجاز النفسي يتمثل في جانبين:

الجانب الأول: الحديث عن النفس الإنسانية، والجانب الثاني: تأثير هذا الإعجاز في النفس الإنسانية.

أما الجانب الأول: فقد تعرضت الباحثة له من خلال المباحث السابقة، ولكنها ستشير هنا لحديث القرآن عن النفس من جهة الإعجاز النفسي، وفي المطلب الرابع من هذا المبحث، ستتحدث - إن شاء الله -عن تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات بإيجاز.

الجانب الثاني: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية:

كم كشف القرآن عن بواطن النفوس، وذوات الصدور، فلا يوجد كتاب مثله في تناوله للنفس البشرية، يكشف خبيئتها، ويقوم عوجها، ويصوب فكرها، ورأيها، ونظرتها

---

(1) دراسات في النفس الإنسانية،ص٥.

(2) البيان في إعجاز القرآن،د.صلاح الخالدي،ص٣٥٠.

للكون، والحياة، فالقرآن الكريم هو" كتاب تربية وتوجيه...وفي سبيل هـذا التوجيـه يكـشف للإنسـان عن بعض أسرار نفسه، وأسرار الكون من حوله، ويدعوه إلى دراسة هذه وتلك، ليعرف ويتعلم، ومن ثم يتجه الاتجاه الصحيح" (١) .

نماذج من الإعجاز في (المعلومات) النفسية:

يوجد في القرآن الكريم معلومات عن النفس الإنسانية كثيرة وشاملة، أكثـر مـن أي علم آخر، وهذا يدل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ومن هذه النماذج:

١ - الازدواجية في الخلق الإنساني:

أشار القرآن الكريم، وهو يحدثنا عن خلق آدم u إلى أن الإنسان خُلق من طبيعة مزدوجة؛ يتمثل فيها عنصران أساسيان ماديان، لهما أثر عظيم على نفس الإنسان، وتوجهها، وسيرها، قال تعالى:﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (ص آية٧١-٧٢)"لقد خلق الله هذا الكائن البشري مـن الطـين، كما أن سائر الأحياء في الأرض خُلقت من طين فمن الطين كل عناصرها، فيما عـدا تلـك النفخة العلوية التي جعلت منه إنساناً ونفخ الله من روحه فيه؛ لأن إرادته اقتـضت أن يكـون خليفة في الأرض؛ وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها له، لقد أودعه القـدرة على الارتقاء في المعرفة، ومن يومها وهو يرتقي كلما اتصل بمصدر تلك النفخة، فأما حـين ينحرف عن ذلك المصدر العلوي، فإن تيارات المعرفـة في كيانه، وفي حياتـه لا تتناسـق، ولا تتجه الاتجاه المتناسق المتجه إلى الأمان" (٢) .

وينشأ من هذا الازدواج في طبيعة الإنسان أن بعض النفـوس تجـنح إلـى المـادة، وتلتصق بالطين، وتغرق في الوحل، وتنغمس في الشهوات، فتكون كالأنعام بل أضل! ولكـن بعض النفوس تتخذ الجانب المادي الغليظ منها وسيلة للسمو الروحي وتتخذ من ذلك الجـسم مركباً للإشـراق، والارتقاء، وتحقق إنسانية الإنسان، وكرامته في عـالم القـيم والفـضائل والمُثل (٣) .

٢ - الازدواجية في الاستعداد الإنساني:

---

(1) دراسات في النفس الإنسانية،ص٨.

(2) في ظلال القرآن،ج٥،ص٢٠٢٧.

(3) انظر: دراسات في النفس الإنسانية،ص٢٠.

وهي قدرة الإنسان على السير في الطريق الذي يريده سواء حقاً أو باطلاً، وفي قدرته على الكسب والاكتساب، سواء في مجال الخير أو الشر، وفي قوله تعالى ما يدلل على هذه الازدواجية: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ (الشمس آية٧-١٠)"ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها، وأن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد،مزدوج الاتجاه، فهو بطبيعة تكوينه من طين، ومن نفخة الله تعالى فيه من روحه، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز، والرسالات والتوجيهات، والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك.

وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان،هي التي تناط بها التبعة،فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب" [(١)] .

٣- القرآن يمزق الحاجز النفسي:

ونأخذ هذا النموذج للإعجاز القرآني في المعلومات النفسية من الشيخ محمد متولي الشعراوي. فقد أشار الشعراوي إلى أن القرآن مزق حواجز الغيب بالنسبة للإنسان، وتمزيقه لحواجز الغيب مظهر من مظاهر إعجازه، ودليل على أنه كلام الله تعالى، ومن حواجز الغيب التي مزقها القرآن حاجز النفس الإنسانية: وهو ما يخفيه الإنسان داخل نفسه،حيث يكشفه الله – تعالى- للآخرين، ويطلعهم على ذلك الحديث النفسي المكتوم.

ومن أوضح الأمثلة على هذا: كشْف القرآن ما في نفوس المنافقين، وإخبار الرسول r ما سيقوله المنافقون في نفوسهم قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (المجادلة آية٨) أخبر القرآن بما قاله المنافقون في أنفسهم عندما خالفوا أمر الرسول r وعندما حرفوا له التحية (**وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ**) سمع المنافقون هذه الآية وعجبوا من إخباره عما في نفوسهم وسكتوا لأنهم قالوا ذلك في نفوسهم، ولو لم يقولوه في نفوسهم لكذبوا الرسول r ولأعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح.

---

(1) في ظلال القرآن ،ج٦،ص٣٩١٧.

فالقرآن الكريم مزق حاجز نفوسهم ودخل داخلها وأخبر عما يــدور فيهــا، إن هــذا الإخبار القرآني والدخول إلى أعماق نفوس الكفار، دليل على أن القرآن هو كلام الله [1].

ويتبين من خلال ذلك أن هذا القرآن من عند الله، ولو كان من عنــد غيــر الله لمــا استطاع أن يصل إلى داخل النفس الإنسانية، وأن يمزق حجبها الداخلية، ويكشف الغيب الذي لا يعلمه إلا هــو سبحانــه، وهنــاك أمثلة كثيرة، والباحثــة تــرى الاكتفــاء بهــذا القــدر للاختصار.

المطلب الرابع

أثر سماع القرآن في النفس

القرآن الكريم فيه من عطاء الله ما تحبه النفس البشرية ويستميلها، إنه يخاطب ملكات خفية لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها الله سبحانه وتعالى.

وهذه الملكات تنفعل حينما يقرأ القرآن؛ ولذلك حرص الكفار على ألا يسمع أحد القــرآن، حتى الذين لا يؤمنون بالله، لأن كل من يسمع القرآن، سيجد له تأثيراً وحلاوة قد لا يــستطيع أن يفسرها، ولكنها تجذبه إلى الإيمان، ومن هنا كان أئمة الكفر يخافون مــن ســماع الكفــار للقرآن أن يميلوا إليه، ولو كان القرآن لا يعطي شيئاً من هذا ولا يخاطب الملكات الخفية فــي النفس، لما اهتم الكفار بأن يسمعه أحدهم أولا يسمعه، ولكن شعورهم بالقوة والقــدرة للقــرآن على النفس البشرية، جعلهم لا يمنعــون ســماع القرآن فقط، بل ويعتدون على مــن يتلــوه، ولا يمكن أن يكون هذا هو مسلكهم وتلك طريقتهم إلا خوفاً مما يفعله القرآن الكريم في النفس البشرية، كيف يستطيع أن يؤثر فيها، وأن يجذب النفس الكافرة أو غير المؤمنة إلى الإيمــان، وتلك من معجزات القرآن الكريم.

فتأثير القرآن الكريم في النفس البشرية هو الجانب الثاني من الإعجاز النفسي للقــرآن الكريم، عندما تسمعه وتتفاعل معه حتى لو كانت نفس كافرة، وأشار القرآن الكريم في أكثــر من آية إلى أثره في النفوس عندما تسمعه، بل إلى أثره في الجبال لو خاطبها الله بــه، فقــال تعالى: ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقرآن عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الحشرآية٢١) "والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عنــد تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره " [2] .

---

(1) انظر: معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي،ج١،ص١٠٨-١٠٩.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،البيضاوي، ج ٥،ص٣٢٣.

وأما الكفار فقلوبهم أقسى من الجبل، ولذلك لما سمعوا القرآن نفروا منه: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقرآن جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقرآن وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾(الإسراء آية ٤٥-٤٦) " وذلك من خور الإرادة والعزيمة، بحيث يخطر الخاطر في نفوسهم ثم لا يصممون، وتخطر معاني القرآن في أسماعهم ثم لا يتفهمون، وذلك خُلق يسري إلى النفوس تدريجيا، تغرسه في النفوس بادئ الأمر شهوةُ الإعراض، وكراهية المسموع منه، ثم لا يلبث أن يصير ملكة في النفس لا تقدر على خلعه ولا تغييره " [1].كما أشار القرآن الكريم إلى إدراك الكفار لهذا الأثر، ولذلك تواصوا على التشويش عليه، ومنع الآخرين من سماعه، وأن يحدثوا لغواً وضجة، وضوضاء عند تلاوة الرسول r أو المؤمنين له،حتى يبقوا هم الغالبين قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقرآن وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ (فصلت آية ٢٦) "بعد أن وصف إعراضهم في أنفسهم انتقل إلى وصف تلقينهم الناس أَساليب الإعراض، فالذين كفروا هنا هم أئمة الكفر يقولون لعامتهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، فإنهم علموا أن القرآن كلام هو أكمل الكلام، شريفَ معانٍ، وبلاغةَ تراكيبَ، وفصاحةَ أَلفاظٍ، وأيقنوا أن كل من يسمعه، وتُداخل نفسَه جزالةُ ألفاظه، وسُمُوُّ أغراضه، قضى له فهمُه أنه حقٌ إتباعُه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم، ولكنهم غالبتهم محبة الدوام على سيادة قومهم، فتمالؤوا، ودبروا تدبيراً لمنع الناس من استماعه، وذلك خشية من أن تَرِقَّ قلوبهم عند سماع القرآن فصرفوهم عن سماعه .

وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكمموا أفواه الناطقين بالحق والحجة، بما يستطيعون من تخويف وتسويل، وترهيب وترغيب، ولا يَدعوا الناس يتجادلون بالحجة، ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهَضُ، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيَل ورأوا بوارق الحق تخفق خَشُوا أن يعُمَّ نورُها الناسَ الذين فيهم بقية من خير ورشد، وعدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللغو والجعجعة لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون الكلام القول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء" [2].

أما القرآن فإنه واثق من أثره في النفوس؛ ولذلك طالب المسلمين أن يتلوه على الكافر المستجير، أن يسمعوه إياه ليُسلم: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى**

(1) التحرير والتنوير،ج١٥،ص١١٦.

(2) المرجع السابق،ج٢٤،ص٢٧٦-٢٧٧.

يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ (التوبة آية ٦). ولقد أثبتت كتب التاريخ، والتفسير، والسيرة نماذج كثيرة من تأثير القرآن في الكافرين، نكتفي بهذا النموذج الذي أورده ابن هشام في السيرة:

"إن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌ لا يعلمُ بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية،عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرحُ حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنسُ بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ﷺ ؟ فقال أبو سفيان خيراً.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد ﷺ ؟ فقال ماذا سمعت! تنازعنا نحنُ وبنو عبد مناف الشرفَ،أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبيٌ يأتيه الوحيُ من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه..." [1] .

أما بالنسبة للمسلمين المؤمنين، فإن القرآن ترك على قلوبهم، ونفوسهم وكيانهم وحياتهم أثراً بالغاً.

قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾(الزمر آية ٢٣) والمعنى : "أنهم إذا سمعوا بالقرآن، وآيات وعيده : أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده المغفرة : لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة" [2] .

---

(1) السيرة النبوية ، ابن هشام : ٣٣٧-٣٣٨ .

(2) الكشاف،ج٣،ص٣٩٥.

ومحمدٌ r كان يتأثر وهو يتلو القرآن، ويتأثر وهو يسمع القــرآن، ويبــدو التــأثر دموعاً غزيرة تذرفها عيناه الشريفتان وهو أول من أنزل عليه.

إن للقرآن الكريم تأثيراً عظيماً في نفوس الصحابة قادهم إلى الانتقــال مــن الــشرك والكفر والجاهلية إلى الإسلام، ومن أوضح الأمثلة على ذلك عمر بن الخطاب t الذي كــان سبب إسلامه، سماعه القرآن من الرسول r أو قراءته صحيفة فيها آيات من القــرآن، فقــد روى ابن هشام في قصة إسلام عمر وذهابه إلى أخته وزوجها سعيد بن زيد ليــبطش بهمــا لإسلامهما، وأنه ضــرب أخته وشج وجهها ثم رق قلبه، وأخذ الصحيفة التي فيها آيات من القرآن من سورة طه،" فقرأها فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.

وتوجه إلى الرسول r فأسلم. " [١]

ولقد كان للقرآن الكريم تأثير عجيب في نفوس غير العرب:

ذكر سيد قطب رحمه الله في تفسيره قصة حدثت له مع ســيدة يوغــسلافية، وتأثرهــا لــدى سماعها آيات من القرآن الكريم أثناء قيامه بخطبة الجمعة، وإمامة الصلاة على ظهر ســفينة مصرية، والركاب الأجانب معظمهم متحلقون يرقبون الصلاة، وبعــدها جــاء كثيــر مــنهم يهنئونهم على نجاح القداس!! أي الصلاة؟ فكانت سيدة من هذا الحشد شديدة التأثر، والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالك مشاعرها ولا تملك نفسها من التأثر العميق بهــذه الــصلاة، وما فيها من خشوع، ونظام، وروح! وموضع الشاهد في هذه القصة، قولها: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها "قسيسكم" ! فهي لا تتصور أن يقيم الصلاة إلا قسيس أو رجل دين كما هــو الحال عندهم، وقالت: إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهــم منه حرفاً.. إن الموضوع الذي لفت حسي هو أن الإمام كانت ترد في كلامه- بهــذه اللغــة الموسيقية - فقرات من نوع آخر،غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعــا.. هــذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة! إنها شيء آخر كما لو كان - الإمــام - من الروح القدس.

ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء الخطبة وفي أثناء الــصلاة! وكانت مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً [٢] .

---

(1) السيرة النبوية،ج١،ص٣٩٥.

(2) انظر: في ظلا ل القرآن،ج٣،ص١٧٨٦.

وهكذا يتبين أن للقرآن الكريم تأثيراً عجيباً على النفوس، وسلطاناً قوياً على القلوب المؤمنة، والكافرة على السواء، وعلى نفوس العرب، والعجم على السواء، وهناك نماذج كثيرة ولكن أرادت الباحثة الاختصار.

يقول سيد قطب -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (السجدة آية٢) .

"إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن؛ وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني يهتز ويرتجف ويتزايل ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلما تفتح القلب، وصفا الحس، وارتفع الإدراك، وارتفعت حساسية التلقي والاستجابة.

وإن هذه الظاهرة تزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان، ومعرفته بهذا الكون وما فيه ومن فيه، فليست هي مجرد وهلة تأثيرية وجدانية غامضة، فهي متحققة حين يخاطب القرآن الفطرة خطاباً مباشراً.

وهي متحققة كذلك حين يخاطب القلب المجرب، والعقل المثقف، والذهن الحافل بالعلم والمعلومات.

وإن نصوصه يتسع مدى مدلولاتها ومفهوماتها وإيقاعاتها على السواء كلما ارتفعت درجة العلم والثقافة والمعرفة، مادامت الفطرة مستقيمة لم تنحرف، ولم تطمس عليها الأهواء، مما يجزم بأن هذا القرآن صَنعَة غير بشرية على وجه اليقين وأنه تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين" [١] .

(1) في ظلا ل القرآن،ج٥،ص٣٨٠٥.

الفصل الثاني

صفات النفس الإنسانية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : كسب النفس للخير والشر وجدالها وجزاؤها .

المبحث الثاني : صفات النفس الإنسانية .

المبحث الأول

كسب النفس للخير والشر وجدالها وجزاؤها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : كسب النفس للخير والشر.

المطلب الثاني :جدال النفس.

المطلب الثالث : جزاء النفس.

المطلب الأول

كسب النفس للخير والشر

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بنعم كثيرة، وخصه بها دون سائر المخلوقات، ومن هذه النعم ما آتاه الله تعالى من القدرات والذكاء والفطنة، التي بها يتمكن من أن يميز بين الطيب والخبيث وبين الخير والشر، فعلم الإنسان بتوجيه من خالقه، بأن هناك طريقاً هادياً للخير والعدل، وأن هناك طريقاً ملتوياً مائلاً إلى الشر والضلال، فبالعقل ينتهي الإنسان عن قبيح الأخلاق وفحش الأفعال التي تهوي به إلى الدرك الأسفل من الضلال.

يقول تعالى: ﴿**فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾(الزمر آية ٤١) ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك والبيان الذي بيناه لك، فضلاً عن قصد المحجة، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله وأليم عقابه والخزي الدائم في دركات الجحيم، فمن عمل بما فيه الخير فإنما بغى الخير لنفسه، إذا أكسبها رضا خالقها، وفاز بالجنة ونجا من النار [١].

ويتبين من ذلك أن العاقبة في الدنيا والآخرة لأهل الهداية والاتباع والصبر .

وكون الإنسان مزدوج الطبيعة التكوينية، ومزدوج الاستعداد والاتجاه، فإنه ولا شك عرضة للاستجابة إلى ما يحيط به من مؤثرات خارجية مناهضة لطبيعته الخيرة، التي فطر عليها، فهو وإن كان مستعداً للخير بفعل طبيعته الخيرة الكامنة والمركوزة في أعماق نفسه إلا أنه أيضاً في الوقت ذاته مستعد للشر وعرضة له بفعل طبيعة الشر الموجودة والمركوزة في محيطه الذي يعيش فيه، حيث تتعدد منابعه ومصادره، ولا ينجو منه إلا من رحم الله تعالى.

الخير والشر في طبيعة الإنسان:

وبعد أن يعرفنا دين الفطرة بطبيعة كل من الخير والشر، وطريقة كل منهما نراه يأمرنا تكليفاً باتباع الخير، وكل طريق موصل إليه، وينهانا عن الشر وكل طريق قد يوصل إليه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾(الإنسان آية٣)" فبعد أن ركبه وأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة، بين له سبيل الهدى والضلال، فإعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلي بها متقدم على الهداية، والمعنى أريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بإنزال الآيات ونصب الدلائل" [٢] ووصف سبيل الخير بالرفعة بخلاف سبيل الشر، فإن فيه هبوطاً من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة، قال تعالى:﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي**

---

(1) انظر:جامع البيان،ج٢٤،ص٨.

(2) روح المعاني،ج٢٩،ص٢٦٢.

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(التين آية ٤) " نأخذ من هذه الآية أن الإنسان مخلـوق علـى حالـة الفطـرة الإنسانية التي فطر الله النوع ليتصف بآثارها، وهي الفطرة الإنسانية الكاملـة فـي إدراكـه إدراكاً مستقيماً. وتفيد الآية أن الإنسان مفطور على الخير وأن في جبلته جلب النفع والصلاح لنفسه وكراهة ما يظنه باطلاً أو هلاكاً، ومحبة الخير والحسن من الأفعال؛ لذلك نـراه يـسر بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره." [(١)].

فميزان الله دقيق يعرفنا بما هو خير وبما هو شر، فما رغب به ودعا إليه فهو الخير، وما نفر منه ودعا إلى حظره ونهى عنه فهو الشر، فالخير والشر من طبيعة الإنـسان "فهـو ليس كما قالت النظرية التحليليـة إنه شر، وليس كما قالت الإنسانية إنه خيـر قـط والـشر طارئ، ولكن الخير والشـر فـي طبيعتـه، وذلك قولـه تعـالى: ﴿ **وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْـدَيْنِ** ﴾ (الشمس آية ٧-٨)". [(٢)] أي" طريقـي الخيـر والشـر، وبينـا لـه الهـدى مـن الـضلال، والرشـد من الغـي، فهـذه المنـن الجزيلـة تقتضـي مـن العبـد أن يقـوم بحقـوق الله ويشـكره علـى نعمـه وأن يستعيـن بهـا علـى معاصـي الله، ولكـن هـذا الإنسـان لم يفعل ذلك" [(٣)] .

والنفس الإنسانية بما فيها من عناصر البقاء والنمو والارتقاء تبقى سوية متزنة ما دام إشباع الحاجات الإنسانية ضمن الإطار الرباني الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده، فما دام الإنسان يستجيب لدوافعه وميوله ورغباته حسبما تقتضيه الشريعة السمحة الغراء، فإنه يبقـى سوي الفطرة،سوي النزعة،سوي الخُلق والخِلقة.

فمراقبة النفس، وملاحظة ما يجري في داخلها، والتعرف على غرائزها، وطبائعهـا، ونزعاتها، وميولها، وعواطفها، وقواها، كل ذلك يمكنه أن يـدرك الخيـر والـشر، والعلـم الصحيح سبيل اليقين الثابت، ووسيلة الخُلق الفاضل، قال تعالى:﴿**أَقِمْ وَجْهَـكَ لِلـدِّينِ حَنِيفـاً فِطْـرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَـرَ النَّاسَ عَلَيْهَـا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾(الروم آية ٣٠)"وبهذا يربط بين فطـرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين؛ و كلاهما من صنع الله؛ و كلاهما موافـق لناموس الوجـود؛ وكلاهمـا متناسـق مـع الآخـر فـي طبيعته واتجاهه" [(٤)].

وذهب بعض المفسرين أن فطرة الإنسان متجهة للخير، والشر يأتيها مـن خارجهـا، ومن العلماء الناظرين في القرآن أيضاً من يرون أن الإنسان خُلـق قـابلاً للخيـر والـشر،

---

(1) التحرير والتنوير،ج٣٠،ص٤٢٦.

(2) الإرشاد النفسي الديني، أسامة المزيني،ص٤٣.

(3) تيسير الكريم الرحمن ، ص.١٠٢٥ .

(4) في ظلال القرآن، ج٥،ص٢٧٦٧.

ويستدلون بقوله تعالى:﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾(الشمس آية ٨) وبقوله تعالى في شأن الإنسان:﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾(الإنسان آية٢) ولا دليل في هذه الآيات على أن الفجور طبيعة وجبلة في النفس؛ لأن معنى الإلهام هنا الإفهام، فالله تعالى قد أودع في النفس الإنسانية العقل الذي يدرك طريق الفجور، كما يدرك طريق التقوى.

فنسب الفعلين زكّى ودسّى إلى الإنسان، وكذلك لا حجة في الآيتين الأخريين لأن معنى الهداية فيهما الإرشاد إلى الطريقين طريق الخير والشر ولا تدل الهداية على أن ذلك مودع في نفس الفطرة، وبعض المفسرين يرى في قوله تعالى: ﴿ **إنا هديناه السبيل** ﴾ (الإنسان آية٣) أن ذلك إرشاد إلى الخير فقط، لأن السبيل لا يطلق إلا على الهدى، ويفسر المطلوب من هداية السبيل، بأنه نصب الدلائل، وبعث الرسل، وإنزال الكتب.

فالفطرة خيرة بطبيعتها، وما أودع فيها من الغرائز كان لخير الإنسان وإسعاده، وأن هذه الغرائز لو أشبعت في وقتها المناسب مع إبعاد عوامل الإفساد عنها لأمِن انحرافها، ولكن المشاهد في هذه الحياة أن الغرائز لسبب أو لآخر تظمأ، وتطلب ما يروي غِلتها، ثم تحوطها أسباب الشر من كل جانب فتنحرف عن الطريق السوي، وتخترق الأسوار الحصينة التي أقيمت لتحول بينها وبين التردي في مهاوي الضلال والغواية [١].

ويتبين من خلال ذلك أنه ما دامت طبيعة النفس خيرة، فإنها تجد الهدوء والطمأنينة، وتشعر بالهدوء والراحة حين تفعل الخير، وسر ذلك أنها وجدت ما يوافقها فرضيت، كما أنها حين تقترف الرذيلة تجد ما يخالفها فتألم وتحزن، وكذلك تستريح حين ترى الفضيلة في غيرها وتألم حين ترى الرذيلة.

ولعل من أقوى الأدلة أن فطرة الإنسان خيرة، ما يجده المرء في نفسه من وخز الألم وحرقة الندم، عندما يقترف أي حماقة من الحماقات لا سيما عند مزاولتها لأول مرة، وكل إنسان- مهما كانت البيئة التي نشأ فيها - يدرك بسليقته، إنْ كان العمل الذي أقدم عليه طيباً أو خبيثاً، والفطرة مصدر للفضائل، ومما يدل على ذلك قول الرسول r : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء [٢] هل تحسون فيها من جدعاء- مقطوعة الأذن والأنف- [٣] ، ثم يقول أبو هريرة t :

(1) انظر:الطبائع النفسية،ص٢٠-٢١.

(2) الجمعاء التي لم يذهب من بدنها شيء، انظر: معجم مقاييس اللغة، ج١،ص٢٢٥.

(3) الجدعاء، مقطوعة الأذن والأنف، انظر:المصباح المنير،ج١،ص١٠١.

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [١] فليست الغريزة في نفسها مصدر شر، بل هي مصدر خير، ولوترك الإنسان مع غرائزه، وأبعدت عنه كل المؤثرات الخارجية التي تعين على الشر لنشأ فاضلاً خيراً، وفي قول الرسول r ما يرشد إلى ذلك مثل قوله: (والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) [٢] .

ويتبين من خلال ذلك أن الأخلاق الفاضلة في ذاتها لها وزنها وقيمتها، ولو لم ترتبط بأي اعتبار، مما يدلنا على أن النفس تدرك بطبيعتها الخيرة جمال الفضيلة وقبح الرذيلة، وهذا تأكيد على أن الفطرة تهدي صاحبها إلى الحق وتوجه أحاسيسه إلى الخير وبها يستطيع أن يميز بين الخير والشر إن كانت فطرة نقية يقظة.

لطيفة:

"من دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللسان ولا على الشفتين خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه،... فأعقب ما به اكتساب العلم وما به الإبانة عن المعلومات، بما يرشد الفكر إلى النظر والبحث وذلك قوله تعالى:﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾(الشمس ٧-٨) وقد استعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع، وهو أصل التمدن الإنساني، وأصل العلوم والهداية لدين الإسلام إلى ما فيه الفوز، واستعير النجدان للخير والشر، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير، فغلب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعب باعتبار، فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه" [٣] .

والفطرة الإنسانية خيرة بما فيها من خصائص، وسمات، وصفات، وغرائز، وطبائع، والإسلام هو المنهاج المناسب الملائم، يقول سيد قطب -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾(التين آية٤) "ذلك أن الإسلام يعتبر الأصل في الفطرة هو الاستعداد للخير، فالإنسان خلق في أحسن تقويم، وإنما يرتد أسفل سافلين حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه وبينه له، وتركه ليختار أحد النجدين" [٤] .

وتخلص الباحثة من ذلك إلى أن النبع الأصيل الذي ينبغي أن يُرجع إليه في قياس الخير و الشر، في كيان الإنسان، هو فطرة ذلك الإنسان، وفطرة الإنسان تتركز على بناء

---

(1) صحيح مسلم،كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة،ح رقم ٦٦٥٠،ص١٣٠٨.

(2) المرجع السابق، كتاب البر والصلة،باب تفسير البر والإثم،ح رقم٦٤١٢،ص١٢٦٦.

(3) التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٣٥٥، ٣٥٤.

(4) في ظلال القرآن،ج٦،ص٣٩٣٣ .

حقيقة النفس البشرية من جسم وروح مترابطين، وحيث يحكم الجسم هذا المزاج المجتمع المترابط، فإنه لا يلغي وجود الروح، ولكنه يطمس عليها ويكبت إشعاعاتها التي تُضفي السمو والرفعة على الكيان الجسدي، وبذلك فإن هذا الترابط وهذا المزاج قد يكون محكوماً بالجسد تارة، وتارة يكون محكوماً بالروح، أي يكون شريراً تارة وخيراً تارة.

المطلب الثاني

جدال النفس

وصف الله تعالى الإنسان بأنه أكثر شيء جدلاً، وهذا يدل على مبلغ قدرته على الحيلة الفكرية، التي تمكنه من أن يجادل بالحق أو بالباطل، ويكر ويفر ويراوغ في المجادلة.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا** ﴾ (الكهف آية ٥٤) واضح من ظاهر لفظ الآية **(وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا)** أن الجدل صفة من أكثر صفات الإنسان لزوماً، ويدل على هذا استخدام صفة التفضيل أكثر، وبما أن اختيار الألفاظ في القرآن يتم بدقة تتناسب مع علم الله سبحانه وتعالى - خالق هذا الإنسان- فلابد من الحصول من هذه الآية على أهم مفتاح من مفاتيح النفس البشرية، ألا وهو ميل هذه النفس إلى الجدل ." يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة، والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هداه الله وبصره. " [1] والسبب في كون الإنسان أكثر شيء جدلاً أن القدرات الفكرية التي زوده الله بها قد مكنته من استخدام حيل كثيرة، تعتمد على الإظهار، والإخفاء، والمراوغة، والمخادعة بمكرٍ عظيم، فهو بذلك قادر على أن يكون طويل النفس في المجادلة بالحق أو بالباطل.

يضاف إلى ذلك قدرات النطق والتعبير التي زوده الخالق بها، والتي يستطيع بها تصريف كلامه في كل باب من أبواب القول بالحق أو بالباطل.

وحين تدفعه أهواؤه الجامحة وشهواته الجانحة إلى تجاوز دوائر الحق والعدل والخير والفضيلة، ويظل مع ذلك حريصا على أن يظهر أمام الناس بمظهر الكمال، تتولد عنده الرغبة الشديدة بأن يثبت سلامة تصرفه وصحة منهجه في الحياة، فيلجأ إلى خطة التزيين والتبرير بالباطل، فإذا وجد مخالفة أو معارضة لجأ إلى خطة الجدال، وفي الجدال يصنع ما يصنع المقاتل راغبا بالانتصار على خصمه، لا حريصا على الوصول إلى الحق بالمناظرة الشريفة العفيفة، ولقد عرف الإنسان منذ نشأته الأولى المداورة والمحاورة في

---

(1) الأساس في التفسير، سعيد حوى،ج٦،ص٣١٩٩.

القول، ومرن على الجدال مهما اختلفت مستويات ثقافته؛ لأنه يرى في الجدال منفذاً ينفذ منه إلى إقناع الآخرين بالحق أو بالباطل، ليستجيبوا له أو ينصروه، وبذلك يتغلب على خصمه المخالف له.

ومن أغرب مظاهر الجدل عند الإنسان مجادلته ربه يوم القيامة، مع المكابرة في إنكار أقوى الأدلة التي تتوجه ضده، فيحاول الإنسان – رغم معرفته ويقينه بصدق الموقف – أن يجادل عن نفسه، وهنا يأمر الله سبحانه وتعالى جوارح هذا الإنسان أن تشهد عليه بما فعلت فتشهد، ومع ذلك لا يكف الإنسان عن الجدال، فيتجه باللوم نحو أعضاء جسده قائلاً ومستنكراً : ﴿ **لم شهدتم علينا** ﴾(فصلت آية ٢١) فترد هذه الأعضاء﴿**أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**﴾(فصلت آية ٢١) [1] .

وتحقيقا لقواعد العدل الرباني تًعطى يوم القيامة كل نفس حق الدفاع عما كسبت، وقواعد العدل في المحاسبة تقتضي منح حق الدفاع؛ لذلك تأتي كل نفس تجادل عن نفسها يوم القيامة عند الحساب، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ (النحل آية١١١) "يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها، وتحتج بما أسلفت من خير أو شر أو إيمان وكفر(وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة ومعصية" [2].

"والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام، والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، ومنه سُمي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل" [3] .

وهكذا يكون جدال النفس عن ذاتها لا يهمها شأن أحد غيرها، ليس لأحد يحاج عن أحد، لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوج، كل نفس تخاصم عن ذاتها وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير وشر أو إيمان وكفر، كل نفس وإن عظم جرمها تجادل، وتعتذر بأقصى ما تقدر عليه بمفردها لا يهمها غير نفسها.

---

(1) انظر:الأخلاق الإسلامية،ج١،ص٣٦٥.

(2) جامع البيان،ج١٤،ص١٨٥.

(3) التحرير والتنوير ج٥،ص١٩٤.

موقف الإسلام من الجدال:

"ولما كان الإنسان أكثر شيء جدلاً، كان موقف الإسلام بيان واقعه هذا بوصفه فطرةً من الفطر الربانية، مع اتخاذ الوسائل الكفيلة بتهذيبه، للاستفادة من الخير الذي قد ينجم عنه، وتفادي الشر الذي يفضي إليه، فنهى عن الجدال بالباطل ونهى عن الجدال في أمور الدنيا إلا عند الضرورة، خشية أن يورث الأحقاد والضغائن، وأوصى بالجدال بالتي هي أحسن للتعريف بالحق الذي انزله الله على رسله" (1) ، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾(النحل آية ١٢٥) " بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له، ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تتنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق،حتى لا تشعر بالهزيمة" (2).

هذا هو المنطق العام للمنهج الذي رسمه الإسلام للمسلمين في جدالهم، حينما تدعوهم ضرورة التعريف بالحق إلى اتخاذ وسيلة الجدال.

المطلب الثالث

جزاء النفس

ولما كانت النفس عاملة كاسبة لِما يصدر عن الإنسان، وذات إدراك ووعي كامل للخير والشر كانت مسؤولة ومكلفة، والجزاء هو ثمرة المسؤولية والتكليف، لذلك كان من صفات النفس أنها تُلام وتُمدح، وتُجازى على الخير خيراً، وعلى الشر شراً وتُوفى يوم القيامة ما كسبت وإذا اكتسبت شراً كانت الظالمة، وهي المظلومة من قِبَل ذاتها.

ولما كانت مسئولة ومكلفة مجازاة على أعمالها، كان لا بد في فترة ابتلائها من أن تكون موضوعة للمراقبة الدائمة، والمراقبة تستتبع تسجيل أعمالها؛ لذلك فهي تجد ما عملت من خير وشر محضراً مسجلاً قال تعالى:﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرَاً** ﴾ (آل عمران آية ٣٠) "يعني يوم القيامة يُحضر للعبد جميع أعماله من خير ومن شر، فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه، وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد. " (3) وقواعد العدل في الجزاء تقتضي المحاسبة قبل المعاقبة، وقواعد العدل في المحاسبة تقتضي منح حق الدفاع؛ لذلك تأتي كل نفس تجادل عن نفسها كما

(1) الأخلاق الإسلامية،ج١،ص٣٦٩ .

(2) في ظلال القرآن،ج٤،ص٢٢٠٣.

(3) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٥٣٥.

تحدثت الباحثة في المطلب السابق، يقول تعالى: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ (النحل آية ١١١) .

" وهم لا يُفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يُجزي المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف" [١] .

"والظلم يعني الاعتداء على الحق، وأطلق هنا على مجاوزة الحد المعين للجزاء في الشر والإجحاف عنه في الخير؛ لأن الله لما عين الجزاء على الشر ووعد بالجزاء على الخير صار ذلك كالحق لكل فريق، والعلم بمراتب هذا التحديد مفوض لله تعالى: ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ (الكهف آية ٤٩). " [٢]

وبما أن من صفات النفس أنها مكلفة ومسؤولة مسؤولية شخصية فهذا التكليف يستتبع المسؤولية ويستتبع الجزاء، وقد اثبت القرآن ذلك للنفس الإنسانية، وأثبت أن مسؤوليتها مسؤولية شخصية، وقد دل على قانون الجزاء عدة نصوص قرءانية، منها قوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ (الجاثية آية٢٢) "ليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل - خالق السموات والأرض- المحسن بالإحسان والمسيء بما هو أهله، لا يبخس المحسن ثواب إحسانه، ولا يحمل عليه جرم غيره، فيعاقبه أو يجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فيكرمه، ولكن يجزي كلاً بما كسبت يداه وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم " [٣] .

لطيفة:

في قوله تعالى: (بِمَا كَسَبَتْ)"الباء للتعويض وما كسبته النفس لا تُجزى به، بل تُجازى بمثله وما يناسبه، فالكلام على حذف مضاف أي بمثل ما كسبته، وهذه المماثلة مماثلة في النوع، وأما تقدير تلك المماثلة فذلك موكول إلى الله تعالى ومراعىً فيه عظمة عالم الجزاء في الخير والشر ومقدار تمرد المسيء وامتثال المحسن، بخلاف الحدود والزواجر، فإنها مقدرة بما يناسب عالم الدنيا من الضعف، ولهذا أعقبه بقوله تعالى: (وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)، فضمير"وهم " عائد إلى كل نفس، فإن ذلك الجزاء مما اقتضاه العدل الذي جُعل سبباً أو ملابساً لخلق السموات والأرض وما فيهما، فهو عدل فليس من الظلم في شيء، فالمُجازى غير مظلوم، وبالجزاء أيضاً ينتفي أثر ظلم الظالم عن المظلوم، إذ لوترك الجزاء لاستمر

---

(1) جامع البيان، ج١٤، ص١٨٥.

(2) التحرير والتنوير،ج١٤،ص٣٠٣.

(3) الجامع لأحكام القرآن،ج٨،ص١٥٦.

المظلوم مظلوماً" [1].

ومن الواضح في المفاهيم الإسلامية، وقواعد العدل الربانية أن المسؤولية عن السلوك مسؤوليه شخصية، لا تحمل مواريث الأصول الأقربين والأجداد والآباء الأولين، ولا تتحمل نصيبا من سلوك الأهل والأقارب والعشيرة المعاصرين ولا تُورث تبعاتها للذراري القادمين، وقد دل على ذلك عدة نصوص منها قوله تعالى: ﴿**قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾ (الانعام١٠٤) "بأن بَصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق فما انقاد له ولا تواضع، فإنما مضرة عماه عليه" [2] .

ولما كانت مسؤولية كل نفس مسؤولية شخصية لزم أن لا تُجزي نفس عن نفس شيئا، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ** ﴾ (البقرة آية٢٥٤) فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه، فإنه لا ينفع قرابة قريب، ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً، ولا تنفعه خلة أحد [3] .

ولما كانت الغاية من خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا امتحانه، وكانت أعماله فيها مظهراً لما تكسبه نفسه، وكان عدل الله يقتضي توفيته جزاءه، كان لا بد من وجود آخره تُوفى فيها كل نفس ما كسبت، قال تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ (البقرة آية ٢٨١)" يعظ عباده، ويذكرهم بزوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة، والرجوع إليه تعالى، ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته" [4]قال تعالى:﴿ **وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾(الأنعام آية١٦٤) "إخبار من الله تعالى عن واقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى، وحكمه، وعدله، أن النفوس إنما تُجازى بأعمالها إن خيرا فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى" [5].

لذلك كانت العقوبات المعجلة التي تنزل بالإنسان إنما تنزل به بسبب من نفسه، أي بما كسبت نفسه، قال تعالى:﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ**

---

(1) التحرير والتنوير جزء ٢٥ص٣٥٦ .

(2) تيسير الكريم الرحمن،ص٢٦٩.

(3) انظر:تفسير القرآن العظيم ج١،ص٤٥٦.

(4) المرجع السابق ،ج١، ص٤٩٨.

(5) نفس المرجع ، ج٢، ص٢٩٦.

مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران آية١٦٥) أي من قِبَلك، ومن عملك أنت وذنبك، فالنفس العاقلة هي التي تحسب حساب المستقبل فتنتظر ماذا قدمت وتجتهد في تقدير الأعمال الصالحة، حتى تنال الأجر العظيم عند الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (الحشر ايه١٨)" وهو تعبير ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه ومجرد خطورته على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته لينظر ماذا قدم لغده، فبهذه الصفحة وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف، ومواضع نقص، ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلا، ونصيبه من البر ضئيلاً؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبدأ، ولا يكف عن النظر والتقليد!" [(1)].

وأثبت القرآن أن كل نفس تكون يوم القيامة رهينة بما كسبت حتى تُحاسب ويُقرر مصيرها، إلا أصحاب اليمين فهم في جنات يتساءلون﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ (المدثرآية٣٨)، وطبيعي أن تجد يوم القيامة كل نفس ما عملت من خير أو شر محضرا مسجلاً، لأن ذلك هو المستند لمحاسبتها، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً** ﴾ (آل عمران آية ٣٠) أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر وفي هذا اليوم يُحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر، [(2)] وهنالك تظهر كل نفس ما أسلفت من عمل في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾ (يونس آية٣٠).

فالنفس الظالمة حين تجد هول عقابها، تتمنى لو أنها تملك ما تفتدي به، لافتدت به، ولو كان ما في الأرض جميعاً قال تعالى:﴿ **لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ (يونس آية ٥٤) "الله أن يبعثكم فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئا كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم وإذا كانت القيامة (**لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ**) بالكفر والمعاصي جميع(مَا فِي الأَرْضِ) من ذهب وفضة وغيرهما لتفتدي به من عذاب الله﴿ **لاَفْتَدَتْ بِهِ** ﴾ ولما نفعها ذلك وإنما النفع والضر والثواب والعقاب على الأعمال الصالحة والسيئة (وَأَسَرُّواْ)أي: (الذين ظلموا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) ندموا على ما قدموا (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ)

---

(1) في ظلال القرآن ج٦،ص٣٥٣١.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج١،ص٥٣٥.

أي العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه" [1] .

ويتبين من خلال ذلك أن كل إنسان مسئول عن عمله، وحسابه على خالقه، وأن الإنسان في هذه الحياة يسعى جاهداً من أجل حياة مطمئنة، ومستقرة، وهنيئة، ومليئة بالبهجة والأمن والآمان.

فالحياة الطيبة جعلها الله سبحانه وتعالى جزاء الإيمان والعمل الصلح،لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال؛ فقد تكون به وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال تطيب بها الحياة : فيها الاتصال بالله، والثقة به، والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء، والرضى والبركة وسكن البيوت ومودات القلوب، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل آية ٩٧) "وهذا وعد بخيرات الدنيا وأعظمها الرضى بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم، وهذا مقام دقيق وتتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا، وقد عُقب بوعد جزاء الآخرة بقوله تعالى: (**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**) " [2].

وهذه مفاهيم تستدعي تعميقها في النفوس لتهنأ بالحياة التي تريد، وتسعى جادة في سبيلها، وما النفس إلا الإنسان بكامل كيانه، وبمجمل تكوينه وبنيانه.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٨٤.

(2) التحرير والتنوير ج١٤،ص٢٧٣ .

المبحث الثاني

صفات النفس الإنسانية

النفس الإنسانية كما نعيها ونفهمها أنها جسد وروح، عقل وقلب، سوية بحكم الطبيعة والفطرة، إنها عالم ضخم انطوى فيه العالم الأكبر، وهي بما أودع الله تعالى فيها من الغرائز والطبائع والفطرة، والسمات والصفات، والخصائص الإنسانية الفريدة، تعتبر منبع طاقات الإنسان الجبارة ومنبع استعداداته وقدراته المختلفة، سواء الفطرية الراسخة منها في الأعماق أو المكتسبة المتعلمة بفعل التجربة والمراس وعمليتي التربية والتعليم، ومما ينبثق عادة من عملية التنشئة الاجتماعية من تبني أعراف، وعادات وتقاليد وقيم وأحكام وموازين ومعايير.

إن القرآن الكريم هو كتاب متخصص في التعامل مع النفس، ذلك أن الإسلام دين هداية للناس، فهو يتعامل بالدرجة الأولى مع النفوس البشرية، ويكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه، وخصائصها، وصفاتها المحمودة والمذمومة.

وستتناول الباحثة في هذا المبحث أبرز الصفات للنفس الإنسانية.

أولاً: صفات النفس الإنسانية الفطرية:

ومن أبرز هذه الصفات:

١ - الضعف :

بالرغم من كمون الخير ووجوده في أعماق النفس البشرية، وقدرة الإنسان صاحب النفس على تمييز الخير من الشر، بل توجيهها لذلك الخير، إلا أنه مخلوق ضعيف بفعل الخلق والجبلة، والضعف من مكونات الإنسان، إذ تتصف النفس الإنسانية بالضعف، قال تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً**﴾(النساء آية ٢٨) في كل شيء، لأنه خُلق من ضعف، ويؤول إلى ضعف، أسير جوعه، صريع شبعه" يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه، وقيل : عاجز عن مخالفة الهوى وتحمُل مشاق الطاعة، وقيل : ضعيف الرأي لا يدرك الأسرار والحكم إلا بنور إلهي، وقيل: إن المراد ضعيف الخلقة يؤلمه أدنى حادث نزل به" [(١)] .

فلضعفه قد خفف الله – تعالى - تكليفه ولم يثقل عليه " وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته" [(٢)] .

---

(1) روح المعاني،ج٥،ص٢٢.

(2) تيسير الكريم الرحمن،ص١٦٤.

وكان الضعف هو مادة خلق الإنسان ولكن بالمجاهدة يقوى الإنسان، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾ (الروم آية٥٤) فأساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف " أي خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم،﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السن، وقُرئ بضم الضاد في الكل وهو أقوى لقول ابن عمر - رضي الله عنهما - قرأتها على رسول الله r فأقرأني (من ضُعف) [١] .

"وحسب الإنسان ضعفاً أنه عُرضة لأن ينسى بعد العلم، ويُجن بعد العقل، ويمرض بعد كمال الصحة، ويشيخ ويهرم بعد الشباب، وأنه لا بد أن يموت بعد الحياة، فليعرف قدره، وليقف عند حده، وليعبد ربه، حتى يأتيه اليقين الذي هو الموت" [٢] .

فالإنسان معرض لاتباع الهوى وما تميل إليه النفس من شهوات وملذات، ويفعل ما قد تبعث عليه وتنبه إليه مثيرات المحيط التي تلفه، وما إلى ذلك من مؤثرات قد تبعث على الشر والطغيان.

٢ - الشح :

وقد دل على أن الشح من الصفات المرافقة للنفس الإنسانية بوجه عام، قوله تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء آية ١٢٨) أي أن النفوس جبلت على الشح، وأن الشح قد أحضر في داخل الأنفس بالتكوين الفطري لها، وهو:عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك، فينبغي عليكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، فدل هذا النص القرآني على أن الشح من الصفات الملازمة للإنسان، فهو في بذله قتور، وإقتاره مع سعة ما يملك، سببه تخوفه من الفقر [٣] .

٣ - الهلع:

ووصف الله تعالى الإنسان بأنه خلق هلوعا، وفسر القرآن الهلع الموجود في فطرة الإنسان بأنه: سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير، من قولهم ناقة هلوع سريعة السير، وهذا الأمر من الأمور الجبلية والطبائع الكلية المندرجة فيها تلك

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود،ج٥، ص٣٦١.

(2) الأخلاق الإسلامية،ج١،ص٣٧٣.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن،ص١٩٩.

الصفات بالقوة ، [1] واستثنى من هذا الوصف من كان مؤمناً به، عابداً لربه ذا صلة مستمرة بمراقبته، مبتعداً عما حرم، قائماً بما فُرض عليه، فيخبر الله تعالى عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة، بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً**﴾ (المعارج آية١٩) ثم فسره بقوله: ﴿**إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً**﴾، أي إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، و﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً**﴾أي: إذا حصلت له نعمة من الله تعالى بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

فهذه الآيات تصف الإنسان بالجزوع عندما يمسه الشر، والمنوع عندما يمسه الخير في ظروف معينة، فهي تكمل خصوصية الهلع الشخصي والنفسي؛ إذ تتميز النفس البشرية في مواقف الشر والشدة عنها في مواقف الانفراج والرخاء [2].

"والهلع : صفة غير محمودة، فوصف الإنسان هنا بها لوم عليه في تقصيره عن التخلق بدفع آثارها " [3].

ولا بد هنا من الإشارة إلى الفارق بين الهلع الموروث كسمة نفسية، وبين الجزع أو الامتناع كصفتين ناتجتين عن تلك السمة.

ويتبين من ذلك أن جذور الهلع موجودة داخل النفس الإنسانية، وهذا الهلع ليس صفة عرضية على شخصية الإنسان، بل هي خصلة أو خصوصية من خصوصيات خلقه، وتتدرج في بنيته منذ نشأته الأولى، فهذه الصفة لا يعصمه منها إلا عنصر الإيمان بالله تعالى، الذي يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التي تمسك به من الجزع عند ملاقاة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير.

٤ - القدرة على إخفاء المطالب والمشاعر:

من صفات النفس القدرة على إخفاء مطالبها ومشاعرها، وقد وردت هذه الصفة في آيات عديدة من القرآن منها قوله تعالى:﴿ **فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾ (المائدة آية ٥٢)"ولما كان الإسرار لا يكون إلاّ لما يُخشى من إظهاره فساد، وكان يطلق على ما دار بين جماعة خاصة على وجه الكتمان عن غيرهم، بين أنه أدق من ذلك وأنه على الحقيقة مَنَعهم خوفهم من غائلته، وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقال: (فِي أَنْفُسِهِمْ) أي

(1) انظر:روح المعاني،ج٢٩،ص١٠٥.
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم ،ج٤،ص٦١٤.
(3) التحرير والتنوير،ج ٢٩،ص١٧٠.

من تجويز محو هذا الدين وإظهار غيره عليه. " [١] قال تعالى﴿**فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ**﴾ (يوسف آية ٧٧)"يعني الكلمة التي بعدها، وهي قوله :﴿**قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ**﴾(يوسف آية ٧٧) قال هذا في نفسه، ولم يبده لهم، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر" [٢] .

وقد بين الله سبحانه أنه مطلع على خفايا النفوس وأن النفس إذا أخفت الشر والمعصية عن الناس، فإن هذا لا يخفى على علام الغيوب، قال تعالى: ﴿**أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ**﴾ (البقرة آية ٢٣٥) يعني أضمرتم في أنفسكم، فكل شيء سترته فقد أكننته [٣] .

وهكذا فإن القرآن الكريم قد بين طبيعة النفس البشرية بكل وضوح ودقة كما لم يبينها علم النفس الحديث رغم هذا التقدم والتطور العلمي، ولا يعرف حقيقة النفس البشرية وكنهها إلا خالقها.

٥ - الإرادة والاختيار :

فالنفس الإنسانية ذات إرادة حرة غير مجبرة، وهذه أهم صفات النفس وخصائصها، ولو شاء الله سبحانه لجعل لجميع النفوس طريقاً واحداً هو طريق الهدى، لكن إرادة الله تعالى اقتضت ألا يكون الإنسان مجبوراً على فعل شيء، بل جعل فيه طبيعة خاصة يملك معها الهدى والضلال، ويؤدي دوره في هذا الكون بهذه الطبيعة الخاصة التي فطره الله تعالى عليها، ويكون جزاؤه إذا سلك طريق الضلال العقاب في نار جهنم، قال تعالى:﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾(السجدة آية ١٣) " على طريق الإلجاء والقسر، ولكننا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار، فاستحبوا العمى على الهدى " [٤]وقد بينت الباحثة في المبحث السابق من هذا الفصل، [٥] أن النفس لديها القوة والفطرة الطبيعية لإدراك الخير من الشر والتمييز بينهما.

٦ - الإدراك على اختلاف مستوياته:

دلت النصوص القرآنية على أن الإدراك العلمي على اختلاف مستوياته من الصفات التي تتصف بها النفس الإنسانية، ففي مستوى اليقين وصف القرآن الحالة النفسية لفرعون

---

(1) نظم الدرر، البقاعي ج٢،ص٤٨١.

(2) تفسير القرآن العظيم،ج٢، ص٧١٦.

(3) انظر: بحر العلوم ،السمرقندي،ج١،ص٢١١.

(4) الكشاف،ج٣،ص٢٤٢.

(5) انظر:ص٦٢ من هذه الرسالة.

وقومه أمام الآيات التي جاءهم بها موسى u قال تعالى:﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً** ﴾(النمل آية ١٤) " (وَجَحَدُوا بِهَا) أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها،(وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) أي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم(ظُلْماً) منهم لحق ربهم ولأنفسهم " [(١)].

"وفائدة ذكر الأنفس، أنهم جحدوها بألسنتهم، واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان" [(٢)] .

وفي مستوى الظن الباطل، نجد أن القرآن قد تحدث عما كان في نفوس طائفة من المنافقين في غزوة أحد، من ظنون باطلة جاهلية دفعتهم إلى الهم، وإطلاق مقالات الكفر والردة، قال تعالى: ﴿**وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ (آل عمران آية ١٥٤) فحدثتهم أنفسهم بما يدخل عليهم الهم، وذلك بعدم رضاهم بقدر الله، وبشدة تلهفهم على ما أصابهم وتحسرهم على ما فاتهم مما يظنونه منجياً لهم لو عملوه، [(٣)] وبين هذين المستويين الأعلى والأدنى سائر المستويات الإدراكية التي من خصائصها معرفة طريق الفجور وطريق التقوى.

٧ - الوسوسة:

ومن صفات النفس الإنسانية أنها توسوس، وتحدث نفسها بما فيها من الشر والخير، وهذه الوساوس لا يُحاسب الإنسان عليها ما لم يقلها أو يفعلها، فالإنسان عندما يخلو لنفسه يلاحظ أنها توسوس له بالخير أو بالشر، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ (ق آية ١٦) فعلم الله تعالى متجدد، يعلم ما تحدث به نفس الإنسان من وساوس وخواطر، ولا يخفى عليه شيء، دلالة على التحذير من إضمار مالا يرضي الله – تعالى- [(٤)] .

فمن خلال الآية نعلم أن الله تعالى يعلم ما في صدورنا، وما تحدث به أنفسنا، ولذلك ينبغي أن نكون متيقظين من أن نفعل الشر الذي حدثت به أنفسنا، فوسوسة النفس هي

---

(1) تيسير الكريم الرحمن،ص٦٥٨.

(2) التفسير الكبير،ج٢٤،ص١٨٤.

(3) انظر: التحرير والتنوير،ج٣، ص١٣٤.

(4) انظر:التحرير والتنوير،ج٢٦،ص٢٩٩.

وسوسة الشيطان، ومهمة الشيطان دوماً هي غواية الإنسان وتضليله، حتى يصبح كل حرام حلالاً لديه، فيخسر الدنيا والآخرة.

ولما كانت النفس محطة يستقر بها الشيطان شيئاً فشيئا، فإنها ذاتها تعيش حالة الشيطان في الوسوسة، وإذا هيمن الشيطان على نفس الإنسان أعانه على الاستمرار في نسيان ذكر الله، قال تعالى:﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾ (المجادلة آية ١٩) (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) فغلب على عقولهم بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه فكان مستولياً عليهم، فهو عدو للإنسان في أمر دينه ودنياه كلها، الذي يزين للنفس أعمالها، ويحاول إلهاء المؤمن عن عبادة ربه، ويفعل ذلك بأسلوب الغواية وليس التنفير، أي أنه يخدع بني آدم، وتكفي الاستعاذة بالله منه للخلاص (1).

فالوساوس الشيطانية هدفها الوحيد هو إبعادنا عن الصراط المستقيم، وطريق الهداية الذي سيأخذنا ويسير بنا إلى الجنة، فعلى الإنسان أن يداوم على ذكر الله تعالى فذكر الله تعالى، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تكفي لدفع وسوسته، واتقاء شره للخلاص منه، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ**﴾(الأعراف آية٢٠٠) نسأل الله تعالى أن يعصمنا من وساوس الشيطان، والوقوع في شباكه.

٨ - الظلم:

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ (يونس آية ٥٤) إن من صفات النفس الإنسانية أنها تظلم نفسها، وتظلم غيرها، والظلم هنا معناه الشرك كما فسره النبي **r** في الحديث (2)، والظالم لنفسه هو الذي غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ في غذاء جسمانيته، وقصر في غذاء روحانيته حتى ماتت روحه، واستولت عليه حيوانيته.

فالنفس الإنسانية عندما تظلم نفسها بشركها وكفرها بالله تعالى، لو استطاعت أن تفتدي بالمال والكنوز من النار لما بخلت على نفسها، ولكنها عندما ترى النار تندم على ما فعلت من الظلم، وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم في تأثيره على النفس الإنسانية بظلمها، وعبادتها لغير الله، وظلمها في هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة، وتركها طاعة من يجب عليها طاعته من قليل أو كثير.

---

(1) انظر: روح المعاني،ج ٢٨،ص٤٨.

(2) انظر: ص٥٨ من هذه الرسالة.

ويتبين من ذلك أن القرآن الكريم قد أثر في النفس الإنسانية بأن أبرز ندم النفس على ما صنعت من ظلم وكفر بالله، حتى يحتاط المؤمن لآخرته، وينيب إلى ربه.

٩- الضيق والحرج:

وأثبت القرآن أن الضيق والحرج من الصفات التي قد تتصف بها النفوس، وهذا يدل على أن ضد ذلك وهو الاتساع والانشراح من الصفات التي قد تتصف بها أيضاً، ففي ربط صدق الإيمان بتحكيم رسول الله r في الأمور القضائية التي اختلط أمرها، والتسليم التام لحكمه، قال الله تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾(النساء آية٦٥) أي:" إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطل ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى يسلموا لحكمه تسليما، بانشراح صدر وطمأنينة نفس" (١) .

وفي شأن الثلاثة الذين خلفوا عن الخروج مع رسول الله r لغزوة تبوك، قال الله تعالى :﴿ **وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ**﴾(التوبة آية ١١٨).

(**حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ**) أخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض(**بِمَا رَحُبَتْ**) أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم، وعدم مجالستهم ومحادثتهم لأمر النبي r لهم بذلك، وهو مثل لشدة الحيرة، والمراد أنهم لم يقروا في الدنيا مع سعتها، فهم منها في حرج وضيق، فكأنما هي وعاء لهم تضيق بهم، ولا تسعهم، وتضغطهم فيتكرب أنفاسهم (٢) .

١٠- التحسر والندم:

وأثبت القرآن أن مشاعر التحسر والندم من الصفات التي قد تتصف بها النفوس، قال الله تعالى لرسوله r ﴿ **فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ (فاطر آية ٨) يعزي الله تعالى رسوله r ويسليه بتقرير هذه الحقيقة له، حتى يستقر قلبه الكبير الرحيم المشفق على قومه مما يراهم في ضلالهم، ومصيرهم المحتوم بعد هذا الضلال، وحتى يدع ما يجيش في قلبه البشري من حرص على هداهم، يرفق الله تعالى برسوله r من وقعه في حسه، فبين له أن هذا ليس من أمره، إنما هو من أمر الله تعالى، وهذه حالة يعانيها الدعاة كلما أخلصوا في

---

(1) تيسير الكريم الرحمن،ص١٧٥.

(2) انظر: في ظلال القرآن،ج٣، ص١٧٣٢.

دعوتهم، وأدركوا قيمتها وجمالها وما فيها من الخير، ورأوا الناس في الوقت ذاته يصدون عنها ويعرضون، ولا يرون ما فيها من الخير والجمال، والأولى أن يدرك الدعاة هذه الحقيقة التي واسى بها الله تعالى نبيه r فيبلغوا دعوتهم باذلين فيها أقصى الجهد، ثم لا يأسون بعد ذلك على من لم يقدر له الله الفلاح والصلاح [١] .

والنفس الظالمة هي التي تتحسر يوم القيامة على ما فرطت في جنب الله تعالى، قال تعالى:﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ**﴾ (الزمر آية ٥٦).

١١- الصبر والجزع:

وأثبت القرآن أن الصبر من الصفات التي تتصف بها النفس، قال تعالى:﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ (الكهف آية ٢٨) لا تمل ولا تستعجل،اصبر نفسك، " احبسها وثبتها، يُقال صبرت زيداً أي حبسته" [٢] وإثبات هذا لها على سبيل الاحتمال يقتضي أنها لا تصبر، أي: فهي قد تضجر، ولذلك خاطب الله تعالى رسوله r بقوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ) يأمر تعالى نبيه محمدا r أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) "أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى" [٣].

١٢- الغفلة والجهل:

يتبين من النظر في آيات الله البينات أن النقص في النفس البشرية إنما ينشأ عن الغفلة، كما تنشأ الغفلة من جبلة في النفس فُطرت عليها، وخُلقت فيها، لذلك فإن الغفلة آفة ونقص تظهر في حركة النفس، والحركة هنا في مقابل السكينة كما أن الغفلة في مقابل الفطنة واليقظة.

"فيرى علم النفس الإسلامي أن الغفلة باب لنسيان الحق، ومنبع للأنانية والشره، وقسوة القلب، وإنه من طول استحواذ الغفلة على الإنسان يأتي النفاق والكذب وأباطيل الشيطان، وثمرة الغفلة الخيانة، وغلبة الأهواء" [٤] .

---

(1) انظر: في ظلال القرآن،ج٥،ص٢٩٢٧،٢٩٢٨.

(2) روح المعاني،ج١٥،ص٣٧٧.

(3) تيسير الكريم الرحمن،ص٥٠٩.

(4) نحو علم نفس إسلامي، محمد عثمان نجاتي،ص١٢٣.

ولذلك فإن أصحاب القلوب السليمة الذين لا يغفلون عن ذكر الله وشكر الله (سبحانه وتعالى) يخلدون إلى الراحة، وينعمون بالطمأنينة لقوله تعالى:﴿**إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(الشعراء آية ٨٩).

وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية الداعية للظلم، والشهوية الداعية للجهل بعواقب الأمور، وتكلفها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة، فهو ظالم لنفسه حيث استعد لأن يحمل أمراً عظيماً، وجاهل بها حيث لم يعرف حقيقتها، ولم يدرك منها سوى الصورة الحيوانية المتصفة بالصفات البهيمية من الأكل والشرب والنكاح فكان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل ، [1] قال تعالى :﴿ **إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ (الأحزاب آية ٧٢) أي أن الإنسان يظلم نفسه بالعصيان، ويجهل ما عليه من العقاب.

فالظلم : "الاعتداء على حق الغير، والجهل: انتفاء العلم بما يتعين علمه،... ويجوز أن يُراد ظلوما جهولا في فطرته، أي في طبعه الظلم، والجهل، فهو مُعرض لهما ما لم يعصمه وازع الدين" [2] .

ويتضح مما سبق أن النفس الإنسانية إذا ابتعدت عن طريق الله تعالى أصابتها الغفلة وحجب القلب عن المعرفة، ورجع الإنسان إلى جبلته من الجهل، وما دام الإنسان بعيدا عن الغفلة، متجنباً الأهواء، فإنه ينعم بلذات عظيمة، فكما تنعم البطون بلذات الأطعمة، تنعم القلوب بلذات الفكر، والذي يتذوق هذه اللذات حقا من رضي بالله ربا، فيحيا حياة هنيئة بالرضا مع الله تعالى، ويجد حلاوة ذلك في قلبه ونفسه وعقله جميعا.

ثانياً: صفات النفس الإنسانية الشيطانية:

وللنفس أوصاف تُعرف بها، وأشكالا ظاهرة تتشكل بها، وأماني شيطانية تمضي إليها، ومظاهر لا تستطيع الخلاص منها إلا بمشيئة الله تعالى، وهذه الأوصاف التي تتميز بها النفس الإنسانية تختلف عن سائر المخلوقات، وقد ابتليت بها نفس الإنسان لحكمة إلهية، ولا تزول عنها إلا عن طريق الرياضة والمراقبة لله، والمحاسبة، والمجاهدة، والإخلاص في النية، والصدق في القول والعمل.

وهذه الأوصاف المذمومة:هي ادعاء الربوبية، وحب المدح، وأخلاق الشياطين، والبهيمية.

---

(1) انظر: روح المعاني،ج٢١،ص١٣٩.

(2) التحرير والتنوير ، ج ٢٢،ص١٣٠ .

يقول أبو طالب المكي١:"النفس مبتلاة بأوصاف أربعة متفاوتة:

أولها : معاني صفات الربوبية نحو الكبر وحب المدح.

ومبتلاة بأخلاق شيطانية مثل الخداع والحيلة والحسد.

ومبتلاة بطباع البهائم، وهي حب الأكل والشرب والنكاح.

وهي مع ذلك مطالبة بأوصاف العبودية مثل الخوف، والتواضع." [٢] ومن هذه الأوصاف ستكتفي الباحثة بالتحدث عن أخلاق الشياطين والبهيمية وستتعرض للحديث عن الكبر وحب المدح- الغرور- في الفصل الثالث، إن شاء الله تعالى.

١ - أخلاق الشياطين:

كما أن من أوصاف النفس الأخلاق الشيطانية التي تتمثل في الخداع، والغش، والحقد، والحسد، والحيلة، والغيرة، والنميمة، وسوء الظن، وحب الأذى، وهذه الأخلاق قد ابتليت بها النفس الأمارة، قال تعالى:﴿**وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً**﴾(النساء آية ١١٧) فالشيطان مخلوق خبيث، ويغري بالفساد والمكيدة والشر والغواية، ويتمرَّد على معاصي الله، وهو الذي أمرهم بذلك، وحسنها لهم وزينها، لأنهم إذا أطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه، وهو شيطان الوهم حيث قبلوا إغواءه وأطاعوه(لعنه الله وأبعده عن رياض قربه) ووصف الشيطان بالتمرد لتجرده للشر.

فما يعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثانًا لا تنفع ولا تضر، وما يعبدون إلا شيطانًا متمردًا على الله، بلغ في الفساد والإفساد حداً كبيرًا [٣] .

٢ - البهيمية:

الوصف الثاني للنفس طبع البهائم من حب الشهوة، واللذات من منكح، ومأكل ومشرب، ووصف الإنسان بالبهيمية يهبط به للجهل وعدم التمييز، قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾(الأعراف آية ١٧٩) فهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية، فهم كالأنعام، وهي

([1]) الإمام الزاهد العارف سيخ الصوفية محمد بن علي بن عطية المكي المنشأ العجمي الأصل له كتاب (قوت القلوب)توفى في جمادي الآخرة سنة ٣٨٦.انظر: سير أعلام النبلاء،ج١٦، ص٥٣٦.

(2) الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر،ص١٨٩-١٩٠.

(3) انظر: تيسير الرحمن الكريم، ص١٩٥.

البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح ومـــا لا يَـصلُح، ولا تعقـل بقلوبها الخيرَ من الشر، ثم وصفهم فقال:(لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا) أي لا يعلمون بها الخيـر والهدى. (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا) طريق الحق وسبيل الرشاد، (وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَـسْمَعُونَ بِهَا) مواعظ القرآن فيتفكرون فيها، ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقتـصار على الأكل والشرب، فقال: (**أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**) أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضـل لأن الأنعـام تميـز بـين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النـار معانـدة، مـع العلـم بالهلاك، (**أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**). [1] إذا مـروا بالحيـاة لا تلتقط قلوبهم معانيهـا وغاياتهـا؛ ولا تلتقط أعينهم مشاهدها ودلالاتها؛ ولا تلتقط آذانهم إيقاعاتها وإيحاءاتهـا، فـإنهم يكونـون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية، الذين غفلوا عن أنفـع الأشـياء، غفلوا عن الإيمان باللّه وطاعته وذكره [٢] .

ويتبين من ذلك أن النفس إذا عرفت هذه الأوصاف وابتعدت عنها، تبدلت حياتها أمناً، وغفلتها سكينة، وعجلتها يقيناً، وشرها عفة ورضاً، فتكون بذلك قد خالفت طبيعتها وانتصرت على أوصافها المذمومة، وتحلت بأوصافها المحمودة.

وتربية النفس وتهذيبها تؤدي إلى ترقي النفس من درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منزلة إلى أن تصل الدرجة التي يحبها الله تعالى ويرضى عنها.

---

(1) انظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، البغوي،ج٢،ص٣٣٦.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٣١٩.

الفصل الثالث

آفات النفس وآثارها في القرآن الكريم

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : آفة الاستكبار.

المبحث الثاني : آفة الهوى .

المبحث الثالث : آفة العجب .

المبحث الرابع : آفة الخوف .

المبحث الخامس : آفة الحسد .

المبحث السادس : آفة الغرور .

المبحث السابع : آفة الرياء .

المبحث الثامن : آفة العجلة .

المبحث التاسع : آفة الغضب .

المبحث الأول
آفة الاستكبار

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الاستكبار .

المطلب الثاني : أسباب الاستكبار.

المطلب الثالث : صفات المستكبر والأعمال التي تعد من الكبر .

المطلب الرابع : أثر الاستكبار على النفس البشرية .

المطلب الأول

تعريف الاستكبار

الاستكبار لغة:

الإستكبار في اللغة: هو إظهار العظمة، والتجبر والاستكبار :التعاظم، ومنـــه قولـــه تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْــرِ الْحَــقِّ**﴾(الأعــراف آيــة ١٤٦) والمتكبرون "يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا خاصة لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثلـــه، وذلـــك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر، لأن الناس في الحقوق ســـواء، فلـــيس لأحد ما ليس لغيره ." [1]

الاستكبار اصطلاحاً:

هو حالة تدعو إلى الإعجاب بالنفس، والتعاظم على الغير، بالقول أو الفعل وهو: من أخطر الأمراض الخلقية، وأشدها فتكاً بالإنسان، وأدعاها إلى مقت الناس له وازدرائهـــم بـــه، ونفرتهم منه، والتكبر مرض يعشش في أرجاء النفس، وينمو ويترعرع فـــي حناياهـــا، قـــال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً**﴾(الفرقان آية ٢١) وفي قوله تعالى (**لَقَــدِ اسْــتَكْبَرُوا فِــي أَنفُــسِهِمْ**) وجهان:

أحدهما : تكبرواْ في أنفسهم لما قل في أعينهم من إرسال محمد r نبياً إليهم .

الثاني : استكبروا في أنفسهم بما اقترحوه من رؤية الله ونزول الملائكة عليهم. [2]

وقال أيضاً: ﴿**إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ**﴾(غـافر آيـة ٥٦) أي: يريـــدون الاستعلاء بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم، وهذا لا يتم وليسوا ببالغيه، فكل مـــن جادل الحق مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل، فالكبر خُلُـقٌ يزينـــه الـــشيطانُ لضعفاءِ ومرضى النفوس، فينفخ فيهم حتى ينتفخ أحدهم ويرتفـــع كالبـــالون؛ فتتلاعـــب بهـــم الأهواء ويكونون عرضة للسقوط والتلاشي في أي لحظة [3]، وعرَّفه لنا خير البرية r فيما رواه عنه عبدالله بن مسعود t قال:(لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكـــون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحب الجمال،

---

(1) لسان العرب ،ج٥، ص١٥٣.

(2) انظر: النكت والعيون،ج ٤،ص١٤٠.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٨١٨.

الكبر بطر الحق وغمط الناس) [(١)] .

وفي هذا الحديث تخويف للنفس من الاستجابة لدواعي الكبر، وبيان دقيق لحقيقة الكبر المذموم، وأنه ليس في الشكل واللباس، وإنما هو فيما يستقر في القلب من احتقار للآخرين، وإعراض عن قبول الحق، فقوله r (الكبر بطر الحق) أي دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، ورده على قائله، وأما قوله:(غمط الناس) فهو احتقارهم [(٢)] .

ومن الواضح أن الإستكبار من الأمراض الأخلاقية الخطيرة، الشائعة في الأوساط الاجتماعية، التي سرت عدواها، وطغت مضاعفاتها على المجتمع، فغدا يعاني مساوئها الجمة.

المطلب الثاني

أسباب الاستكبار

الأخلاق البشرية كريمة كانت أو ذميمة، هي انعكاسات النفس على صاحبها، وفيض نبعها، فهي تشرق وتظلم، ويحلو فيضها، ويمر تبعاً لطيب النفس أو لؤمها، استقامتها أو انحرافها، وما من خلق ذميم إلا وله سبب من أسباب لؤم النفس أو انحرافها.

ومن هذه الأسباب:

١- مغالاة الإنسان في تقييم نفسه، وتثمين مزاياها، وفضائلها، والإفراط في الإعجاب والزهو بها، مثال ذلك النمرود يوم أن قال: ﴿ **أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ** ﴾(البقرة آية٢٥٨).

٢- التكبر بالعلم، فلا يتكبر إلا إذا آنس من نفسه علماً وافراً، فيرى نفسه أنه أكثر علماً، وأن الآخرين جهلة لا قيمة لهم ، فالعلم من أعظم ما يتكبر به، لذلك خاطب الله تعالى نبيه r بقوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(الشعراء آية ٢١٥).

٣- التكبر بالعمل والعبادة، فيظن أن مقامه أعظم عند ربه، وأن الناس هالكون وهو الناجي،

٤- التكبر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يحتقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً.

٥- التفاخر بالجمال، وأكثر ما يجري ذلك بين النساء، ويدعوهن إلى التنقيص والغيبة وذكر العيوب.

٦- التكبر بالمال، فلا يتكبر إلا إذا آنس من نفسه ثراءً ضخماً، أو جاهاً عريضاً، أو منصباً رفيعا، فيتعالى على الفقراء والمساكين ويحتقرهم، ومن ذلك تكبر قارون، إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ**

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ،ح رقم ١٦٧،ص٦٦.

(2) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين،د مصطفى الخن وآخرون، ،ج ١، ص٤٤٥.

لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(القصص آية ٧٩).

٧- التكبر بالقوة وشدة البطش، وهذا يتكبر به على الضعفاء. ومن الآيات التي تتحدث عن فرعون، وتصوّر لنا حبّ الجاه وأعماله الجنونية حيث خاطب موسى u قائلا: ﴿**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ بلا شك، أنّ فرعون بادعائه للربوبية لم يكن من السذاجة بدرجة لا يدرك فيها دعوة موسى u المنطلقة من التعريف بالله ربّ العالمين، فهو الحاكم على أرض مصر الوسيعة.

٨- التكبر بالأتباع والأنصار والأقارب، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين.

٩- وقد ينشأ الكبر من بواعث العداء أو الحسد أو المباهاة، مما يدفع المتصفين بهذه الخلال إلى تحدي الأماثل والنبلاء، وبخس كراماتهم، والتطاول عليهم بصنوف الإزدراءات الفعلية أو القولية، كما يتجلى ذلك في تصرفات المتنافسين في المحافل والندوات.

وبالجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالا، وإن لم يكن في نفسه كمال، أمكن أن يتكبر به، حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور، لظنه أن ذلك كمال. (١)

وهكذا إذا نظرت إلى طائفة المتكبرين تجد أن كلاً منهم قد تكبر بنعمة من نعم الله، آتاه الله إياها، فمنهم من تكبر لسعة في المال، وآخر لمنصب وجاه، وثالث لكثرة علم أو كثرة عباده ونحو ذلك، لكن هناك طائفة أشد عذاباً وأشد مقتاً، وهي طائفة لم تُؤت من أسباب الكبر شيء ومع ذلك تأبى نفوسهم المريضة إلا الكبر، وهذه الطائفة يقول عنها r : (ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكيهم ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليم:شيخ زان، وملك كذاب، وعائلٌ مستكبر) (٢) لأنه ليس لديه ما يدعوه إلى الكبر والترفع فلا يكون استكباره إلا استخفافاً بأمر الدين.

المطلب الثالث

صفات المستكبر والأعمال التي تعد من الاستكبار

الكبر إحساس بالعظمة في النفس، ينعكس في صورة تصرفات المتكبر، فإما أن يكون اختيالاً في المشية، أو إعجاباً بالرأي، حيث يَرُد كل رأي مخالف ولو كان حقاً، أو استبداداً في المنصب وازدراء للآخرين، ومن الصور التي تدل على المتكبر أنه يُكثر الطعن في

---

(1) انظر:مختصر منهاج القاصدين،ص٢٢٩-٢٣٠.

(2) صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية،ح رقم١٩٧،ص٧٣.

الناس إما في هيئاتهم، أو في فقرهم، أوفي علمهم، أو عقيدتهم؛ لأنه يريد أن يقول للناس إنــي أنا الوحيد الكامــل، وإن كل من حولي من الناس ناقصون، وهناك مظاهر للتكبر، يُعرف بها نذكر منها:

١- الاختيال في المشية، مع لى صفحة العنق، وتصعير الخد، قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِــبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾ (النساء آية ٣٦) معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلــى نفــسه فتطغيه، والله لا يحبه، ولا يرضى عنه، ولا يكون قريباً منه، وهذا تعريض بأخلاق أهــل الشرك لما عرفوا من الغلظة والجفاء [(١)].

وقال تعالى:﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّــهَ لا يُحِــبُّ كُــلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (لقمان آية ١٨) ومعنى (لا تصعر خدك) لا تعرض بوجهك عــن النــاس إذا كلمتهم، أو كلموك احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم ، متكبراً على الحق، ومتعاظماً على الخلق، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم [(٢)].

٢- الإفساد في الأرض مع رفض النصيحة، والاستنكاف عن الحق، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تَــوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَــهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (البقرة آية ٢٠٥-٢٠٦) .

٣- التقعر في الحديث، يقول النبي **r** : وذلك يكون بالتشدق، وتكلــف الــسجع،(ألا أنبــئكم بشراركم؟ فقال:هم الثرثارون المتشدقون...) [(٣)] .

٤- إسبال الإزار بنية الاختيال والتكبر، قال النبي **r** (لا ينظر الله يوم القيامة إلى مــن جــر إزاره بطراً) [(٤)].

٥- محبة أن يسعى الناس إليه، وأن يمثلوا له قياماً إذا قدم إليهم، أو مر بهــم،(مــن ســره أن يُتمثل له الرجال قياما، فليتبؤ مقعده من النار) [(٥)].

٦- محبة التقدم على الغير في المشي أو المجلس، أو في الحديث، أو نحو ذلك [(٦)] .

---

(1) انظر : التحرير والتنوير ج٥،ص٥١.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج ٣، ص ٧٠٦ ، وأصل الصعر: داء يأتي للبعير فيلوي منه عنقه ويميلــه . فشبه من يلوي عنقه تكبرا على الناس بذلك المرض الذي يصيب الإبل، انظر: لــسان العــرب ج٤ ، ص٤٥٦.

(3) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين، باب، ح رقم٨٨٠٨.

(4) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تحريم من جر ثوبه من الخيلاء،ح رقم٥٧٩٠،ص١٢٥٤.

(5) سنن الترمذي ،كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ،ح رقم ٢٧٥٤،ص٦١٩.

(6) انظر:آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ج١، ص١٧٣،١٧٤.

درجات الاستكبار

- الدرجة الأولى:

وهي التي كمن التكبر في صاحبها، ولم تظهر عليه أعراضه ومساوؤه، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قطع أغصانها.

- الدرجة الثانية:

وهي التي نما التكبر فيها، وتجلت أعراضه بالاستعلاء على الناس، والتقدم عليهم في المحافل، والتبختر في المشي، فترى العالم يصعر خده للناس،كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله تعالى به نبيه r حين قال: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء آية ٢١٥).

- الدرجة الثالثة:

وهي التي طغى فيها، وتفاقمت مضاعفاته، فجُن صاحبها بجنون العظمة، والإفراط في حب الجاه والظهور، فطفق يلهج في محاسنه وفضائله، واستنقاص غيره واستصغاره، وهذه أسوأ درجات التكبر، وأشدها صلفاً وعتواً.

وهكذا تتفاوت درجات الاستكبار وأبعاده بتفاوت أعراضه شدةً وضعفاً [1] .

***أنواع الاستكبار:**

وينقسم التكبر باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أنواع :

- الاستكبار على الله عز وجل :

وذلك بالامتناع عن الإيمان به، والاستكبار عن طاعته وعبادته، وهو أفحش أنواع الكفر، وأبشع أنواع التكبر، كما كان عليه فرعون ونمرود وأضرابهما من طغاة الكفر وجبابرة الإلحاد.

فالمتكبر يرد الحق مهما كان مصدره، ويرى نفسه الأعلى ولاشيء يعلوه، فينظر لكل الناس نظرة احتقار وازدراء؛ وإمام المتكبرين وقدوتهم في ذلك عدو البشرية جمعاء إبليس أعاذنا الله من شره ومكره، حيث رد الحق حين جاءه من رب العالمين، ورأى نفسه أنه الأفضل، وقال قولته التي ملؤها التكبر العفن:﴿**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ (ص آية ٧٦)، وتبع إبليس في نهجه طائفة من البشر قص الله علينا حكايتهم فمنهم من تكبر على الله كفرعون يوم أن قال: ﴿**أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى**﴾(النازعات آية ٢٤) وكفار قريش يوم أمروا بالسجود فقالوا: ﴿**وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً**﴾ (الفرقان آية ٦٠) دعوتهم إلى

---

(1) انظر: إحياء علوم الدين، ج٣،ص٣٤٥-٣٤٧.

الحق زادتهم هربا من الحق إلى الباطل وزادتهم كفراً وشقاء.

ـ الاستكبار على الأنبياء:

وتكبر قوم على رسل الله، وذلك بالترفع عن تصديقهم، والإذعان لهم، وهو دون الأول وقريب منه، ولكنه تكبر على قبول أمر الله تعالى والتواضع لرسوله r ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ (البقرة آية ٨٧) والاستكبار هنا الترفع عن اتباع الرسل، وإعجاب المتكبرين بأنفسهم، واعتقاد أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل، ويكونوا أتباعاً لهم، فساموهم سوء العذاب وكذبوهم، فكان مصير الجميع الهلاك والبوار [(١)] .

ـ الاستكبار على العباد :

وذلك بازدرائهم والتعالي عليهم بالأقوال والأفعال، ومن هذا النوع التكبر على العلماء المخلصين، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفع عن مساءلتهم، والانتفاع بعلومهم وإرشاداتهم، مما يفضي بالمستكبرين إلى الخسران والجهل بحقائق الدين، وأحكام الشريعة الغراء، وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم، فالكبر والعظمة والعز لا يليق إلا بالله تعالى، أما العبد الضعيف المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر، وإلى هذا المعنى يشير الله تعالى في الحديث القدسي :(العز إزاره، والكبرياء ردائه، فمن ينازعني عذبته [(٢)]) [(٣)] .

المطلب الرابع

أثر الاستكبار على النفس البشرية

وللكبر في الأرض بغير الحق آثار ضاره، وعواقب مهلكة ومن هذه الآثار:

- المتكبر يختم القدير على قلبه، فلا يميز بين الحق والباطل يقول الله جل جلاله: :﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾(غافر آية ٣٥) متكبر في نفسه على الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.
- الكبر مهلكة وأيُّ مهلكة فالمتكبر يصرفه العزيز الجبار عن تدبر آياته، قال تعالى:﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾(الأعراف آية ١٤٦) سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة، المعادين للأنبياء والمؤمنين، وإنما

---

(1) انظر: التحرير والتنوير،ج١، ص٥٩٨.

(2) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر،ح رقم ٦٥٧٥،ص١٢٩٢.

(3) انظر:المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى،ص١٩٨-١٩٩.

يصرفهم عن ذلك بواسطة إنزال الذل والإذلال بهم، وذلك يجري مجرى العقوبة على كفرهم، وتكبرهم على الله تعالى.

- إنه متى استبد بالإنسان، أحاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجُن بحب الأنانية والظهور، فلا يسعده إلا الملق المزيف، والثناء الكاذب، فيتعامى آنذاك عن نقائصه وعيوبه، ولا يهتم بتهذيب نفسه، وتلافي نقائصه، مما يجعله هدفا لسهام النقد، وعرضة للمقت والازدراء.
- إنه يشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء، ويعكر صفو العلاقاتالاجتماعية، فيسيء إلى الناس ويستثير سخطهم ومقتهم، كما يستثيره المتكبر الذي يتعالى عليهم بصلفه وأنانيته.
- إن الغطرسة داء يشقي الإنسان، ويجعله منبوذاً يعاني مرارة العزلة والوحشة، ويشقي كذلك المرتبطين به بصنوف الروابط والعلاقات.
- وينشأ من هذا التكبر والاحتقار للناس تتبع عوراتهم، والبحث عن أخطائهم وهفواتهم، مع ستر محاسنهم مهما كانت كثيرة .

وقد أشار الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- إلى هذه الآفة فقال:"وهذا كثير بين الناس، يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة كلمة عوراء وجد بغيته فجعلها فاكهته" (١).

وقد ورد التحذير من الكبر في مواضع كثيرة في الآيات القرآنية، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ (النحل آية ٢٣) بل يبغضهم أشد البغض وسيجزيهم من جنس عملهم، وأنه يحب المتواضعين الخاشعين، ويكفيهم فضلاً بشارة الحق لهم بمحبته لهم، فقال تعالى:﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾(غافر آية ٧٦)"لأنهم جادلوا في آيات الله تعالى عن كبر في صدورهم، وفي ذلك إشارة أن من أسباب وقوعهم في النار تكبرهم على الرسل، وليكون لكل موصوف بالكبر حظ من استحقاق العقاب إذا لم يتب، ولم تغلب حسناته على سيئاته إن كان من أهل الإيمان" (٢).

وقال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾؟ (الزمر آية٦٠) بلى واللّه، إن فيها لعقوبة وخزياً وسخطا، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم كل مأخذ، فالنار مقرهم، لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله تعالى من جنس عملهم بالإهانة والذل والخزي،

---

(1) مدارج السالكين،ج١،ص٣٦٠.

(2) التحرير والتنوير،ج٢٤،ص٢٠٧.

فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم [١] .

وحيث كان التكبر هوساً أخلاقياً خطيراً ماحقاً، فجدير بكل عاقل أن يأخذ حذره منه، وأن يجتهد- إذا ما داخلته أعراضه - في علاج نفسه، وتطهيرها من مثالبها.

وأن يعرف المتكبر واقعه، وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز: فأوله نطفة قذرة، وآخره جيفة نتنة، وهو بينهما عاجز واهن، يرهقه الجوع والظمأ، ويعتريه السقم والمرض، وينتابه الفقر والضر، ويدركه الموت والبلى، لا يقوى على جلب المنافع ورد المكاره، قال تعالى:﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**﴾ (النحل آية ٤).

فحقيق بمن اتصف بهذا الوهن، أن ينبذ الأنانية والتكبر، مستهدياً بالآية الكريمة﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص آية ٨٣) "فإذا كانوا لا إيراد لهم في العلو في الأرض ولا الفساد، لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله تعالى وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح " [٢] فأفضل الناس أحسنهم أخلاقا، وأكثرهم نفعاً، وأشدهم تقوى وصلاحاً، فمن هذا بدايته! فأي وجه لكبره وفخره؟ وبأيّ شيء يتكبر حتى يتبختر؟!

وأن يتذكر مآثر التواضع ومحاسنه، ومساوئ التكبر وآثامه، وما ترادف في مدح الأول، وذم الثاني، ويربي نفسه على التواضع، والتخلق بأخلاق المتواضعين، لتخفيف حدة التكبر في نفسه [٣] .

ويتبين من خلال ما سبق أن المتكبر ينشر في المجتمع معادلة الازدراء المتبادل، ويزدري الناس لأنه يراهم أقل منه، والناس يزدرونه لكِبره وسوء خلقه، وأن المتكبر لا يعرف ربه حق المعرفة لأنه لو عرف ربه حق المعرفة، فيكفيه أن ينظر إلى آثار قدرته، وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر، ومَنْ عَلِمَ أنّ مولاه ينظر إليه لا يتكبرُ ولا يتطاول بل يتخاضع ويتضاءل.

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٨٠٧.

(2) المرجع السابق، ص٦٨٥.

(3) انظر:إحياء علوم الدين ،ج٣،ص٣٥٨-٣٥٩.

المبحث الثاني
آفة الهوى

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الهوى.

المطلب الثاني :أسباب الهوى.

المطلب الثالث : أثر الهوى على النفس.

المطلب الأول

تعريف الهوى

الهوى لغة:

هوى النفس: إرادتها والجمع أهواء، وقال اللغويون: محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، قال الله تعالى:﴿ **وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾(النازعات آية ٤٠).

معناه نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصٍ لله عز وجل.

والهوى إذا أطلق انصرف إلى ما كان شراً أو إلى ما كان مذموماً، فإذا أريد به ما كان خيراً أو ما كان محمودا فلا بد من تقييد ذلك بوصف أو نحوه كأن يُقال: هوى حسن، وهوى موافق للصواب [(١)] .

الهوى اصطلاحاً:

الهوى: شعور في النفس يميل بها إلى ما تحب من مطالب وحاجات، أو متع ولذات وشهوات، أو عواطف وانفعالات، وقد يكون ما تهواه شراً لها أو أذى أو ضررا، قال الله تعالى:﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾(النازعات آية ٤٠)أي ما تهواه وترغب فيه قوى النفس الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفع الكامل، وشاع الهوى في المرغوب الذميم، [(٢)] وقال تعالى في معرض الكلام عن المشركين:﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ**﴾(النجم آية ٢٣) وخاطب اليهود بقوله تعالى:﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ**﴾ (البقرة آية ٨٧)أي: بما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية، والانغماس في أنواع اللذات، والتصميم على العقائد الضالة [(٣)].

فالمراد باتباع الهوى هو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي، أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى شرع، أو تقدير لعاقبه [(٤)].

والهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً.

قال عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- : الهوى إله يعبد من دون الله، ثم تلى قوله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ (الجاثية آيه٢٣) .

---

(1) انظر: لسان العرب،ج١٥،ص٤٣٤.

(2) انظر:التحرير والتنوير، ج٣٠،ص٩٢.

(3) انظر: المرجع السابق،ج١،ص٥٩٨.

(4) انظر: آفات على الطريق،ج٢،ص٣٣.

وقال علي بن أبي طالب t : أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الأمــل، فــإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة.

وقال الشعبي [١] : إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه [٢].

و"مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث علــى نيــل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سبباً للألم والأذى، ومنع لذات في الأجل، فأما العاقل فإنه ينهــى نفسه عن لذة تعقب ألما، وشهوة تورث ندماً، وكفى بهذا القدر مدحاً للعقل وذما للهوى." [٣]

المطلب الثاني

أسباب الهوى

ولما كان الهوى غالباً، وإلى سبيل المهالك مورداً، جعل العقل عليه رقيبــاً، يلاحــظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، لأن سلطان الهوى قوي، ومدخل مكره خفي، ومن هــذين الوجهين يؤتى العاقل.

- **أما الوجه الأول**: فهو أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه، حتى تستولي عليــه مغالبــة الشهوات، فيكلّ العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضــوح قبحهــا فــي العقــل المقهور بها وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقــوة شــهواتهم وكثــرة دواعي الهوى المتسلط عليهم.
- **أما الوجه الثاني**: فهو أن يُخفي الهوى مكره، حتى تموّه أفعاله على العقل، فيتصور القبيح حسنا، والضرر نفعاً، وهذا يدعو إليه أحد شيئين :

١- إما أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء، فيخفى عليها القبيح بحسن ظنهــا، وتتــصوره حسناً بشدة ميلها إليه.

٢- أما السبب الثانــي فهو استثقال الفكر في تمييز ما اشــتبه، وطلــب الراحــة في اتبــاع ما يسهل [٤] .

وإذا تأمل الإنسان أمراض الحياة البشرية كلها: الكبر والعجب والحسد وحــب الجــاه والدنيا والزنا والفواحش ...الخ، فإنه يجد وراءه شيئا واحدا هو اتباع الهــوى، فــالهوى فــي

---

(1) الشعبي، شيخ المالكية، أبو المطرف عبد الرحيم بن قاسم الشعبي المالقي، مفتي بلده مات في رجب سنة سبع وتسعين وأربع مئة، وله خمس وتسعون سنة، مات هو وابن الطلاع في جمعة انظر: سير أعــلام النبلاء، ج١٩، ص ٢٢٧.

(2) أدب الدنيا والدين،ص٣٤.

(3) ذم الهوى، ابن قيم الجوزية، ص١٨.

(4) انظر:أدب الدنيا والدين،ص٣٨-٣٩.

الأصل: هو ميل النفس الخاطئ، ولخطورة اتباع الهوى قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾(المؤمنون آيه٧١) فيترتب على اتباع الهوى فساد الكون بما فيه.

ولأن الدافع لاتباع الهوى هو النفس، درج على ألسنة السالكين(أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)، بل أعدى عدو للحياة البشرية كلها هو متابعة كل إنسان هواه، ولذلك جاء العلاج في الكتاب الكريم في قوله تعالى:﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾(النازعات آية٤٠-٤١) إشارة لتذكير المسلم ضرورة ضبط النفس [١] .

***ذم الهوى:**

الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يفيد كما أن الغضب يدفع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار.

ولما كان الغالب من موافقة الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع، أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر، لأنه يبعد أن يفهم المقصود من وضع الهوى في النفس [٢].

"والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى ضبط دوافعه والتحكم فيها وتوجيه إشباعها في إطار الحدود المشروعة دون إسراف، فلا يكون عبداً لأهوائه وشهواته، وإنما يكون هو المسيطر عليها والمتحكم فيها والموجه لها، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾(النازعات آية ٤٠) ونهي النفس عن الهوى هو ضبط الإنسان لدوافعه، وكفه لشهواته، وسيطرته عليها" [٣] .

---

(1) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص٢٥٩.

(2) ذم الهوى،ابن قيم الجوزي، ص٥٩٧.

(3) القرآن وعلم النفس، ص٥٩.

المطلب الثالث

أثر الهوى على النفس

ولاتباع الهوى آثار ضارة وعواقب مهلكة، ومنها :

١ - تمكن الهوى من النفس:

فإن الهوى يسري في صاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقل إلى دار الجنون.

قال أبو الدرداء [(١)] : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تابع لهواه فيومه يوم سوء وإن كان هواه تبعاً لعمله، فيومه يوم صالح.

وقال ابن عطاء: من غلب هواه عقله، وجزعه صبره افتضح [(٢)].

٢ - قسوة القلوب والاستهانة بالذنوب :

وذلك أن المتبع لهواه يقسو قلبه ويموت، ويوم تقسو القلوب وتموت تكون استهانة بالذنوب، كما قال الرسول r (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يري ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا) [(٣)] .

٣ - اتباع الهوى يلقي بصاحبه إلى الضلال:

وذلك أن المتبع لهواه صار عبداً لشهواته، قال تعالى:﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (القصص آية٥٠) فاتباع الهوى مع إلغاء إعمال النظر ومراجعته في النجاة، يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضر بدون تحديد، فلا جرم أن يكون هذا الاتباع المفارق لجنس الهدى أشد الضلال، فصاحبه أشد الضالين [(٤)] .

٤ - الابتداع في دين الله تعالى:

فصاحب الهوى يميل إلى إثبات ذاته ووجوده، وهو لا يرضى بمنهج الله تعالى، فيبتدع منهاجاً يوافق هواه وشهواته، والابتداع ضلال وكل ضلال في النار، كما يقول النبي

---

(1) أبو الدرداء، الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله r عويمر بن زيد بن قيس، ويُقال : عويمر بن عامر، حكيم هذه الأمة، روى عن النبي r عدة أحاديث، وقيل أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحداً وأمره رسول الله r يومئذ أن يرد من على الجبل، فردهم وحده، وكان قد تأخر إسلامه قليلا، قيل أنه مات سنة إحدى وثلاثين.انظر: سير أعلام النبلاء ج٢ ، ص ٣٣٨ .

(2) انظر: ذم الهوى، ص٢٥.

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح رقم ٦٣٠٨،ص١٣٤٦.

(4) انظر: التحرير والتنوير،ج٢٠،ص١٤١.

r (أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد r وشر الأمور محـدثاتها، وكل بدعة ضلالة) [1] .

٥ - الإعراض عن مصدر الهداية:

وذلك أن صاحب الهوى بعبوديته لشهوته وميوله، قد أعرض عن مـصدر الهدايـة، فمن أين يأتيه التوفيق قال تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾(الجاثية آية٢٣) "اتخـذ هـواه إلهاً له،لا يخالف له أمراً" [2] .

٦ - الهوى يؤدي بصاحبه إلى الهاوية:

عواقب الهوى وخيمة، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾(النازعات آية٣٧-٣٩) أي :أن من تجرأ على الله تعالى وعـصاه، وآثـر الحيـاة الدنيا على الآخرة فصار سعيه لها مستغرقا في حظوظها وشهواتها ونسي الآخرة والعمل لها، فمأواه ومسكنه جهنم [3].

وتلك بعض أسباب وآثار الهوى، اكتفت بها الباحثة للإيجاز.

ويتبين من ذلك أن السعادة والراحة والطمأنينة والفوز إنما يكون في اتبـاع القـرآن، وتحكيم شرع الله تعالى والسنة الشريفة، لا في اتباع هوى النفس وما تمليه عليه، وهـذا هـو الهوى المحمود الموافق لشرع الله تعالى ورسوله r وصدق الله تعالى في قوله :﴿**فَمَنِ اتَّبَـعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**﴾(طه آية ١٢٣)أي: فمن اتبع ما أمر الله به واجتنب ما نهـى عنـه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة، وقد نفى عنه الخـوف والحزن في آية آخرى بقوله تعـالى:﴿ **فَمَـن تَبِـعَ هُـدَايَ فَـلاَ خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلاَ هُـمْ يَحْزَنُونَ**﴾(البقرة آية ٣٨) واتباع الهدى بتصديق الخبر وعدم معارضته بالشبه والشهوات [4].

(1) صحيح مسلم، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ح رقم١٨٩١،ص٣٩٤.

(2) التحرير والتنوير ،ج٢٥،ص٣٥٨.

(3) انظر:تيسير الكريم الرحمن،ص١٠٠٧.

(4) انظر: المرجع السابق، ص٥٥٦.

المبحث الثالث
آفة العجب

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف العجب.

المطلب الثاني :أسباب العجب.

المطلب الثالث :مظاهر العجب

المطلب الرابع: أثر العجب على النفس.

المطلب الأول

تعريف العجب

العجب لغة:

السرور والاستحسان، تقول أعجبه الأمر: سره، وأن ترى الشيء يعجبك، تظن انـك لم تر مثله.

والعجب: الزهو: ورجل معجب: مزهو بما يكون منه حَسَناً أَو قَبِـيحاً، وقد أعجـب فلان بنفسه، فهو معجب برأيه وبنفسه [١] .

العجب اصطلاحاً:

إحساس بالرضا عن النفس، وهو شعور غامر بالفرحة الكاذبة، والأمن المـصطنـع، قال تعالى:﴿**ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ** ﴾ (غافر آية ٧٥) "والفرح هنا يعني المسرة ورضا الإنسان على أحواله، فهو انفعال نفساني، والمرح ما يظهـر على الفارح من الحركات في مشيه، ونظره، ومعاملته مع الناس، وكلامه وتكبره فهـو هيئـة ظاهرية" [٢] .

المطلب الثاني

أسباب العجب

١ - من أقوى أسبابه:

"كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتملقين، الذين جعلوا النفاق عادة ومكسبا، والتملـق خديعة وملعباً " [٣] .

٢ - استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان المنعم :

ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما ينتهي به الإعجاب إلى أن يقف عند ذاتـه، ويعتمـد عليها في كل شيء ناسياً أو متناسياً خالقه، وصانعه ومدبر أمره، والمنعم عليه بـسائر الـنعم الظاهرة والباطنة، كقوله تعالى على لسان قارون: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُـهُ عَلَـى عِلْـمٍ عِنـدِي**﴾ (القصص آية ٧٨) لم يعترف بفضل الله تعالى فادعى أنه أوتي هذا المال بجهده وعلمـه الـذي طوع له جمعه وتحصيله.

---

(1) انظر: لسان العرب، ج١،ص٦٧٧.

(2) التحرير والتنوير،ج٢٤،ص٢٠٦.

(3) أدب الدنيا والدين،ص٣٧٨.

إنها قولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال ويعميه الثراء [١] .

وما أكثر الناس الذين هذه حالهم إذا أكرمهم الله عز وجل ونعمهم، قالوا: هذا إكـــرام من الله لنا؛ لأننا أهل لذلك،هكذا قالها قارون ولم يستمع لنداء قومه، ولم يشعر بنعمـــة ربـــه، وأعرض عن هذا كله في استكبار لئيم، وفي بطر ذميم .

٣- عدم معرفة الإنسان حقيقة نفسه :

وحقيق على من عرف نفسه أن يعرف كثرة العيوب والنقائص التي تعتريهـــا، فقـــد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، إنما هي الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس، وأن أولهـــا نطفـــة من ماء مهين، وآخرها جيفة نتنة مردها إلى التراب، يُعجب بعمله ومعرفته لمسائل الخـــلاف وأقوال العلماء، ولو علم أن إعجابه بعلمه يدل على جهله لما كان من المعجبين، قال تعـــالى: ﴿**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ**﴾ (المرسلات آية٢٢) .

ويمكن القول: إن العجب يكون بالأسباب التي يقع بها الإستكبار،لأنه أحـــد أســـبابه، فيتولد من العجب الكبر، وقد تحدثت الباحثة عنها في مبحث الكبر [٢] .

المطلب الثالث

مظاهر الإعجاب

ومن مظاهر الإعجاب بالنفس:

١- الإعجاب بالبدن والجمال والهيئة والقوة، أي تمام الخلقة، فيلتفت إلى جمال نفسه، وينـــسى أنها نعمة من الله تعالى، معرضة للزوال في أي لحظة.

٢- العجب بالعقل والكياسة والفطنة لدقائق الأمور، فيترك المشورة ويستبد برأيـــه، ويجهـــل الناس، ولا يصغي إليهم ولا يأخذ بالنصيحة، ولا يستمع إلى أحد، وجميـــع أهـــل البـــدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم .

قال تعالى: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾ (فاطر آية ٨) "إنه نموذج الـــضال الهالك البائر الصائر إلى شر مصير، ومفتاح هذا كله هو هذا التزيين، هو هذا الغرور، هـــو هذا الستار الذي يعمي قلبه وعينه، فلا يرى مخاطر الطريق، ولا يحسن عملاً، لأنه مطمـــئن إلى حسن عمله، وهو سوء، ولا يصلح خطأ لأنه واثق أنه لا يخطئ! ولا يصلح فاسداً لأنـــه مستيقن أنه لا يفسد! ولا يقف عند حد لأنه يحسب أن كل خطوة من خطواته إصلاحاً! إنه

---

(1) انظر: في ظلال القرآن،ج٥،ص٤٤٤.

(2) انظر:،ص٩٧، من هذه الرسالة.

باب الشر، ونافذة السوء، ومفتاح الضلال" [1] .

٣- المعجب يزكي نفسه بما لا تستحقه، وإذا زكاها فمعنى ذلك أنه لا يتفهمها، فلا يشعر بمخالفته لحقوق الله تعالى، ويظن النجاة وهو غريق في الضلالات، يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾(النساء آية ٤٩) تعجب من حال اليهود إذ يقولون:﴿**نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾(المائدة آية ١٨) ،﴿**لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً**﴾(البقرة آية ١١١) ونحو ذلك من ادعاءاتهم الكاذبة، وقوله تعالى : ﴿**بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ**﴾ إبطال لمعتقدهم بإثبات ضده، وهو أن التزكية شهادة من الله، ولا ينفع أحداً أن يزكي نفسه، وفي تصدير الجملة بقوله(بَلِ) تصريح بإبطال تزكيتهم، وأن الذين زكوا أنفسهم لا حظ لهم في تزكية الله [2] .

وهناك مظاهر تنطبق على المعجب بنفسه، تحدثت عنها الباحثة في آفة الكبر، لم توردها هنا للإيجاز [3] .

"ويرتبط العجب بالكبر والاستعلاء؛ فيتخيل المعجب أنه فوق سائر العباد، ويغتر بالله تعالى، فيدعي أنه قريب من الله تعالى، وذلك باستعراض ما يقوم به من أعمال الخير، وترديد مزيد من علمه وتحصيله، حتى وكأنه صاحب المنة على الخلق أجمعين " [4] .

المطلب الرابع

آثار العجب

- ومن الآثار المترتبة على العجب أنه "يخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذامّ ، ويصبر عن الفضائل." [5]
- والمعجب بنفسه يركن إلى الغرور، فيستصغر ما أتاه من الكبائر، ويستكثر ما قدمه من الخير، وينسى ويتناسى فواحشه، ويعمى عن الحقائق حتى يجعل من الخير شراً، قال تعالى: ﴿ **وإِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ** ﴾ (الشورى آية ٤٨)"ذكر تعالى حالة الإنسان وأنه إذا أذاقه رحمة من صحة بدن، ورزق ورغد وجاه ونحوه، (فَرِحَ بِهَا) فرحا مقصورا عليها، لا يتعداها، ويلزم من ذلك

---

(1) في ظلال القرآن،ج٦،ص١٣٦.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج٥، ص٨٤.

(3) انظر: ص٩٣من هذه الرسالة.

(4) نحو علم إسلامي،ص١٢٢.

(5) أدب الدنيا والدين،ص٣٧٥.

طمأنينته بها والإعراض عن المنعم .

(وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ)مرض أو فقر أو نحوهما(بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ) فطبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة" [١] .

- وغرور المعجب يقوده إلى الكذب على نفسه، فيحيا في عالم الأوهام، الذي أقامه على الافتراء، فيقل خوفه من الله، ويزداد غروره به تعالى، بل قد يتطاول بالكذب على الله تعالى، وهو يظن أنه صادق، ويرى نفسه مهتدياً، يقول النبي r : (ثلاث مهلكات:شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه) [٢] .
- والإنسان إذا أعجب بأفعاله وأعماله، لم يفطن إلى ضلاله وانحرافه، ولم ير ما يجب أن يتوب عنه، لأنه مستصغر لما أتاه من الذنوب، محتقر لما ارتكبه من الآثام، بالنسبة إلى ما فعله من الطاعات والمجاهدات.
- والمعجب يرى أنه في أحسن حال، فليس هناك ما يفزعه ليقلع عن سلوكه الشاذ وعمله الضال، وبذلك يتمادى في غيه بجرأة، حتى يقع في بحر لجي، فيهلك إلى الأبد [٣] .

"وينبغي للعاقل أن يسترشد إخوان الصدق الذين هم أصفياء القلوب، ومزايا المحاسن والعيوب، على ما ينبهونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها، فإنهم أمكن نظراً وأسلم فكراً، ويجعلون ما ينبهون عليه من مساويه عوضاً عن تصديق المدح فيه، وكان عمر t يقول : (رحم الله امرئاً أهدى إلينا مساوينا)" [٤] .

وتأمل ما أصاب الصحابة رضوان الله عليهم مع إيمانهم وصلاحهم، حين أعجب نفر منهم بكثرة العدد، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ (التوبة آية ٢٥) .

ومما ورد في جزاء المعجبين قوله r : (بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) [٥]، فكيف بمن أُعجِبَ بعلمه أو عمله؟!

(1) تيسير الكريم الرحمن،ص٨٤٣.
(2) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، ح رقم ٣٠٥٨،ص٦٨٤.
(3) انظر: نحو علم إسلامي،ص١٢١.
(4) أدب الدنيا والدين،ص٣٨١.
(5) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه،ح رقم ٥٣٦٠،ص١٠٥٥.

*من أقوال السلف في ذم العجب: [١]

١- قال ابن مسعود t : الهلاك في اثنين : القنوط والعجب .

وإنما جمع بينهما ؛ لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير ، والقانط لا يسعى ولا يطلب ، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى .

٢- وقال مطرف [٢] -رحمه الله تعالى - : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجبا.

٣- وكان بشر بن منصور[٣] من الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله تعالى والدار الآخرة، لمواظبته على العبادة، فأطال الصلاة يوماً، ورجل خلفه ينتظر، ففطن له بشر، فلما انصرف عن الصلاة قال له:لا يعجبنك ما رأيت مني، فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة، ثم صار إلى ما صار إليه.

٤- وقيل لعائشة- رضي الله عنها-(متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت:إذا ظن أنه محسن)

ويتبين من خلال ذلك أن العجب من الآفات الخطيرة التي تصيب كثيراً من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والانكسار بين يديه إلى التكبر والغرور بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجحد حقوقهم وأنها تعمي القلوب، وتخفي الذنوب، وتزين الأخطاء، وتستظهر الزلل، حتى أن المعجب بنفسه يرى الإساءة إحساناً، ويظن البخل سخاءً وجودا، وهو واهم في ظنه كاذب في حدسه، هالك حيث يعتقد النجاة، وهو غارق في بحر الظلمات، قال تعالى:﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ**﴾ (فصلت آية٥١).

---

(1) انظر: إحياء علم الدين،ج٣،ص٣٦٩-٣٧٠.

(2) مطرف بن عبد الله ، الإمام القدوة ، الحجة ، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري ، كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب ، قيل أنه كان ثقة وقيل : توفي مطرف في أول ولاية الحجاج . انظر: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ١٨٤ .

(3) بشر بن منصور، الإمام المحدث الرباني القدوة، أبو محمد الأزدي السليمي،البصري، الزاهد، روى عن كثير، وحدث عنه كثير. انظر:سير أعلام النبلاء، ج٨ ، ص ٣٦٢.

المبحث الرابع
آفة الخوف

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الخوف.

المطلب الثاني :أقسام الخوف.

المطلب الثالث :أسباب الخوف.

المطلب الرابع: أثر الخوف على النفس.

المبحث الرابع

آفة الخوف

أثبت القرآن الكريم أن الخوف من الصفات التي تتصف بهـا النفـوس، وظـاهر أن النفس إذا برئت من صفة الخوف اتصفت بالأمن، ففي وصف حالة موسى النفسية حينما قـام سحرة فرعون بأعمالهم، فألقوا حبالهم وعصيهم، وخيل إليه من سحرهم أنهـا تـسعى، قـال تعالى:﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى**﴾ (طه آية ٦٧) أي: خاف علـى النـاس أن يُفتنـوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فتقوى نفوسهم إذا ظهر لهم، فيؤدي إلى عدم اتباعه [1] .

المطلب الأول

تعريف الخوف

الخوف لغة:

الخوف مأخوذ من مادة: خَوَفَ، التي تدل على الذعر والفزع في اللغة، وخفْت الشيء خوفاً وخيفـة، وخفْـت الرجل جعل الناسُ يخافونه، وأخافني الأمر فهـو مخيـف، قـال الله تعالى في كتابـه: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَـلاَ تَخَـافُوهُمْ وَخَـافُونِ إِن كُنـتُم مُّؤْمِنِين** ﴾ (آل عمران آية ١٧٥)، أي يجعلكم تخافون أولياءه، أي يخوفكم بأوليائه [2].

الخوف اصطلاحاً:

هو "توقع مكروه لعلامة مظنونة أو معلومة، وهو ضد الأمن، ويستعمل في الأمـور الدنيوية والأخروية، فهو توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب، أواضطراب القلب وحركتـه، أو فزعه من مكروه يناله، أو محبوب يفوته" [3]. **قال تعالى:﴿الَّـذِي أَطْعَمَهُـم مِّـن جُـوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾(قريش آية ٤) بين الله تعالى نعمته علـيهم، النعمـة الظـاهرة والباطنـة، فإطعامهم من الجوع وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه،(وَآمَنَهُم مِّـنْ خَوْفٍ) وقاية من الخوف في الأمر الظاهر، من أجل هذه النِعم التي أسداها الله إليهم فأطعمهم وآمنهم عليهم أن يعبُدوه ويُخلِصوا له الدين، والواقع أن من أكبرِ النعم على الإنـسان رغـد

---

(1) انظر : تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص٢٨١.

(2) انظر:المصباح المنير، ج١،ص١٩٧.

(3) سلسلة أعمال القلوب، ص٣٦ .

العيش، والأمن من الخوف الموجبة لشكر الله تعالى، فإن الآية الكريمة تجمع أهم ما يطلبه الإنسان وهو الأمن والشبَع والاستقرار [١] .

والإطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة، فأرقى الدول اليوم لا تستطيع أن تحقق لشعوبها هاتين النعمتين: نعمة العيش الرغد، والأمن التام.

وفي الحديث الشريف قال r : (من أصبح منكم آمناً في سِربه، معافىً في جسَده، وعنده قوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدّنيا) [٢] .

قال ابن قدامة- رحمه الله- :"اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال" [٣] .

والخوف هو إشارة الخطر أو صفارة الإنذار التي تنبه الإنسان وتطلب منه أن يقف وينظر، "وهو نوع من أنواع الانفعال، ولا يمكن أن تخلو منه نفس بشرية، فمن الطبيعي أن يخاف الإنسان الخطر، ويخشاه، وهو شيء فطري ينبع من أعماق ذاته، ولا يمكن اعتبار الخوف عيباً أو نقصاً في حياة الإنسان، ولكن شريطة أن لا يحدث فيه إفراط، وأن يوجه تجاه الأخطار الحقيقية الواقعية التي تهدد حياته بالفعل، لا باتجاه الأمور التافهة الصغيرة، بحيث لا يقف الخوف حائلا دون السير والتقدم في الحياة "[٤] .

ويمكن إيجاد فارق ثانوي بين الخوف الطبيعي، والخوف المرضي.

فالمخاوف الطبيعية تنشأ عن اعتقاد منطقي وفكري بالطبيعة الخطرة لمواقف وموضوعات معينة، أما المخاوف المرضية، فهي خوف غير منطقي بالمرة.

***الفرق بين الخوف والخشية:**

الخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر آية٢٨)، خوفاً مقروناً بمعرفة، وقال النبي r :(إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية) [٥].

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، وعلى قدر العارفين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، ومَثَلهما مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن،ص١٠٣٧.

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد ، باب التوكل على الله تعالى،ح رقم ٢٣٤٦،ص٥٢٥.

(3) سلسلة أعمال القلوب،ص٣٦.

(4) أمراض النفس، ص١٠٥ .

(5) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح،ح رقم ٥٠٦٣.

يلتجئ إلى الحميـــة والهرب لقلة معرفته، والثاني يلتجئ إلى الأدوية، فالخشية خــوف مبنـــى على علم [١] .

المطلب الثاني

أقسام الخوف

إن الأشياء التي يخافها الإنسان كثيرة، وقد صور القرآن بعض مخاوف الإنسان الهامة مثل الخوف من الله تعالى، والخوف من الموت، والخوف من الفقر [٢] .

١ - **الخوف من الله تعالى:**

وهو خوف مهم في حياة المؤمن، فهو يدفعه دائماً إلى تقوى الله واسترضائه، واتبـــاع منهجه، وترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، ويعد الخوف من الله ركناً فـــي الإيمـــان بـــه، وأساساً هاماً في تكوين شخصية المؤمن، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِـرَ اللّـــهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**﴾(الأنفال آية٢) "ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله **r** ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقيـــاد لحكمـــه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منـــه ومـــن عقابه، وإذا قرئت عليه آياته زادته تصديقاً به، وأيقن أنهـــا من عنـــــد الله، وذلـــك زيـــادة الإيمان" [٣] .

١ - **الخوف من الموت:**

ومن المخاوف الشائعة بين الناس، الخوف من الموت، ويبدو هذا واضحاً في حـــالات الحروب، وخاصة بين الجنود الذين يُرسلون إلى ميدان القتال، وقد صور القرآن هذه الحالـــة في وصف خوف المنافقين بقوله تعالى:﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَـإِذَا أُنزِلَـتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَـرَ الْمَغْـشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ**﴾(محمد آية ٢٠).

وصف حال المنافقين ثم أعقب ذلك بوصف أجلى مظاهر نفاقهم، وذلك حين يُـدعى المسلمون إلى الجهاد فقد يضيق الأمر بالمنافقين، إذا كان تظاهرهم بالإسلام سـيلجئهم إلـــى الخروج للقتال مع المسلمين، وذلك أمر ليس بالهين لأنه تعرض لإتلافهـــم النفـــوس دون أن

---

(1) انظر مدارج السالكين، ج١، ٥١٣.

(2) انظر:القرآن وعلم النفس،ص٦٨ .

(3) انظر: جامع البيان، ج٩،ص١٧٨.

يرجو منه نفعاً في الحياة الأبدية، إذ هم لا يصدقون بها فيصبحوا في حيرة، وكان حالهم هـذا مخالفاً لحال الذين آمنوا، الذين تمنوا أن ينزل القرآن بالدعوة إلى القتال ليلاقـوا المـشركين، فيشفوا منهم غليلهم، فبهذه المناسبة وتمني المؤمنين نزول حكم القتال لتمييز حال المنـافقين، يبدو منه الفرق بين حال الفريقين، وقد بين كره القتال لديهم [1] .

" فما الداعي لهذا الخوف؟ إن الخائف من الموت إنسان مريض نفسياً، ومن شأن هذا الخوف أن يؤدي به إلى الانحراف عن الطريق القويم، وإلى المزيد من الانغماس في متـاع الحياة الدنيا وشهواتها، ورغم ما يتمتع به من ملذات وشهوات في الحياة الدنيا، إلا أنه إنـسان شقي خائف، لا يشعر بالأمان، يخاف أن يتخطفه الموت في أي لحظة" [2].

والإيمان الصادق بالله تعالى يؤدي إلى التخلص من الخوف من الموت؛ لأن المـؤمن يعلم يقيناً أن الموت سينقله إلى الحياة الآخرة الخالدة التي ينعم فيها برحمـة الله ورضـوانه، وإن كان المؤمن يشعر بخوف من الموت، فإنما هو بالحقيقة يخشى ألا يحظـى بمغفـرة الله، وألا ينـال رضوانـه، فالخـوف من الموت إذن إنما يرجع في الحقيقة إلى أن يكون مانعـا من التوبة.

وعلى ذلك فإن الخوف من الموت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخوف من الله.

٣ - الخوف من الفقر:

والخوف من الفقر أيضاً من المخاوف الشائعة بين الناس، فالإنسان دائم الـسعي فـي حياته لكسب قوته، وقوت زوجه وأولاده، ولكي يهيئ لنفسه ولأسرته أسباب الحيـاة الهانئـة الآمنة، فيتحمل الإنسان، عادة في سبيل كسب رزقه، كثيرا من الجهد والتعب والمـشقة، وإن أي خطر يمكن أي يهدده في رزقه يثير فيه الخوف والفزع.

يقول تعالى:﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ** ﴾ (الإسـراء آيـة٣١) أي: لا تقتلـوهم خوفاً من الفقر في الأجل [3] ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ**﴾ (الأنعام آيـة١٥١) ولا تئـدوا أولادكم، فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكـم وإيـاهم، لـيس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم، فـالمؤمن الـصادق الإيمان يعلم يقيناً أن الرزق بيد الله، فلا داعي إذن للخوف من الفقر [4] .

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٦،ص١٠٦.

(2) أمراض النفس ص١٣٧.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٣، ص١٠٥.

(4) انظر:جامع البيان ، ج٨،ص٨٢.

وعلى ذلك يصبح الخوف الحقيقي الذي يشعر به المؤمن هو الخوف من الله، لأن إيمانه بالله لا يجعله يخاف الموت أو الفقر أو الناس أو أي شيء آخر في العالم، وإنما هو يخاف فقط من غضب الله، وسخطه وعذابه.

المطلب الثالث

أسباب الخوف

ولما كان الخوف الشديد في غير موضعه من أمراض النفس، وكان متصلا بهذه القوة وجب أن نذكره، فنقول الخوف يعرض من توقع مكروه، وانتظار محذور، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل، وهذه الحوادث ربما كانت ممكنة، والأمور الممكنة ربما كنا نحن أسبابها، وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الأقسام لا ينبغي للعاقل أن يخاف منها [١] .

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يرى أن الآيات القرآنية تشير أحياناً إلى عاملين رئيسين: العامل الاقتصادي، والعامل المادي العسكري في قوله تعالى: :﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾(قريش آية ٤) وكانوا في رحلتيهم آمنين؛ لأنهم أهل الحرم، فلا يتعرض لهم الناس، وكان غيرهم يتخطفون، ويُغار عليهم [٢] ، وهنالك آية أخرى تبدو الإشارة فيها إلى هذين العاملين الرئيسين من عوامل الأمن الجماعي واضحة؛ إذ يقول الحق سبحانه:﴿ **وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾(القصص آية ٥٧) .

قال القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) "لا يعقلون:أي هم غافلون عن الاستدلال بأن من رزقهم وأمنهم، فيما مضى حال كفرهم ،يرزقهم لو أسلموا، ويمنع الكفار عنهم في حال إسلامهم" [٣] .

وبين لهم أين يكون الأمن، وأين يكون الخوف من واقعهم التاريخي، ومن حاضرهم الذي يشهدونه، وهم ينسون الله تعالى وأنه وحده الحافظ، وأنه هو وحده الحامي؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله تعالى؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك

(1) انظر: أدب الدنيا والدين، ص١٥٩.

(2) انظر:الكشاف،ج٤،ص٢٨٧.

(3) الجامع لأحكام القرآن،ج١٣،ص١٩٨.

أن تنصرهم إذا خذلهم الله تعالى، ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطهما لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تفسيرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه [١].

ويتبين من خلال ذلك إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن، فاليهود اليوم يملكون أقوى الأسلحة المادية، ومعظمهم مجندون ومدربون على القتل والفتك والنهب، ويملكون أموالاً طائلة، ومع ذلك فهاجسهم الوحيد ظل إلى الآن الأمن؛ لأنهم بعيدون عن هدى الله -عز وجل- ولكن هيهات أن يناموا ملء جفونهم مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾ (آل عمران آية ١١٢).

المطلب الرابع

أثر الخوف على النفس

ومن التغيرات والآثار البدنية والنفسية التي تصاحب حالة الخوف:

١- زيادة سرعة ضربات القلب، حتى يشعر الخائف أن قلبه قد انتزع منه، وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة التي يعاني منها بعض الناس يوم القيامة من شدة الخوف في قوله تعالى: ﴿ **مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**﴾ (إبراهيم آية ٤٣) أي "وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل، والخوف، ولهذا قال قتادة وجماعة :إن أمكنة أفئدتهم خالية؛ لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف" [٢] .

٢- اتساع حدقة العين وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾ (الأحزاب آية ١٩) أي من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء، إذا حضروا القتال والعدو رأيتهم ينظرون إليك، أجبن قوم وأخذلهم للحق، ﴿**فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾ فإذا كان الأمن، وانجلت الحرب، تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك [٣] .

---

(1) انظر:في ظلال القرآن،ج٥،ص٢٧٠٣.

(2) تفسير القرآن العظيم،ج٢،ص٨٠٠.

(3) انظر : تفسير القرآن العظيم،ج٣،ص٧٤٩.

٣- القلق الدائم: إن مخافة الله هي من الضروريات في الحياة، وأما من اتبع هـواه فيتسلط الشيطان عليه، ويوسوس في صدره، وينفث فيه الخوف، وتراه من شدة هـذا الشعور قلقاً، وتغيب عنه نعمة النوم والراحة، وتراه غير منسجم في جميع أمور حياته، حتى يصل لدرجة فقدان حلاوة الحياة، فهذا مصير من يتخذ الشيطان ولياً له، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين** ﴾ (آل عمران آية ١٧٥).

ويتبين من خلال ذلك أن القلب الممتلئ بالخوف من الله تعالى لا يجد صاحبه فيه مكاناً لأي خوف سواه، والخوف الحقيقي لا يكون إلا من الله تعالى، فهو الخوف الإيجابي الذي يدفع الإنسان إلى مراقبة أعماله، وهو الخوف الذي لا يسلب الطمأنينة من القلب، بل على العكس يمنحه إياها، وأما الخوف من مخلوقات الله، فهو خوف سلبي، يسلب القلب الطمأنينة فيحل محلها الخوف والفزع.

المبحث الخامس

آفة الحسد

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الحسد.

المطلب الثاني :أسباب الحسد.

المطلب الثالث : أثر الحسد على النفس.

المطلب الأول

تعريف الحسد

الحسد لغة:

هو تمني زوال نعمة المحسود، يُقال: حَسَدَه يَحْسُدُه حُسودا. وقيل (المؤمن يغبط والمنافق يحسد) [1].

الحسد اصطلاحا:

الحسد من الأمراض النفسية الخطيرة التي قد تؤثر على المحسود في إزالتها، ولذلك فقد جاء ضمن آيات سورة الفلق التعوذ من الحسد، فقال تعالى:﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ* وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ (الفلق) .

قال الشوكاني- رحمه الله- : "الحسد تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، ومعنى(إِذَا حَسَدَ): إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، ... وذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة إرشاد رسوله r إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره، ومزيد ضره، وهو الغاسق، والنفاثات، والحاسد،... وقوله : (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) قال: نفس ابن آدم وعينيه" [2] .

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : (كان رسول الله r إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه ب(قل هو الله أحد وبالمعوذتين) ثم يمسح بها وجهه وما بلغت يداه من جسده ، قالت عائشة : فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به) [3] .

والحسد حقيقة واقعة وأثره لا شك فيه، وأصله انفعال نفس الحاسد عند رؤية المحسود انفعالا شريراً يدفعه إلى مباشرة أسباب المضرة، سواء كان ذلك في حضور المحسود أم في غيبته.

وذكر العلامة الألوسي –رحمه الله تعالى-: أن الحاسد إذا وجه نفسه الخبيثة نحو المحسود، على وجه الغضب، تتكيف نفسه بكيفية خبيثة ربما تؤثر في المحسود بحسب ضعفه، وقوة نفس الحاسد، وقد تصل إلى حد الإهلاك.

---

(1) لسان العرب،ج٣،ص١٨٣.

(2) فتح القدير،ج٥،ص٧٥٩-٧٦١.

(3) سنن الترمذي،كتاب الطب، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام،ح رقم ص٣٤٠٢.ص٧٧٢.

الفرق بين الحسد والغبطة:

"الحالة الأولى:أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، فهذا هو الحسد كما سبق تعريفه، والحالة الثانية : أن لا تكره وجودها ولا تحب زوالها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها فهذا يسمى غبطة" [١] .

ولذا فالغبطة من المباحات، والحسد من المحرمات ولشدة خطورة الحسد نهى عنه الرسول **r** فقال: (ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا، ولاتقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) [٢] كما أخبر (عليه الصلاة والسلام) أن الإيمان والحسد لا يجتمعان في جوف شخص واحد، فعن أبي هريرة **t** أن رسول الله **r** قال: (... ولا يجتمعان في جوف قلب عبد الإيمان والحسد) [٣] .

المطلب الثاني

أسباب الحسد

١- بغض المحسود، قال تعالى:﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾(القلم آية ٥١).

قال ابن كثير - رحمه الله-: قوله تعالى:﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**﴾ أي "يعينونك بأبصارهم بمعني يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله" [٤] .

وقال الشوكاني -رحمه الله- :﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ**﴾ قرأ الجمهور﴿ **لَيُزْلِقُونَكَ** ﴾ بضم الياء من أزلقه : أي أزل رجله، يقال : أزلقه عن موضعه إذا نحاه ، وقرأ نافع وأهل المدينة بفتحها من زلق عن موضعه، إذا تنحى، **وفي** مذهب أهل اللغة والتأويل، أنهم من شدة إبغاضهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام، يقول القائل نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني [٥] .

٢- أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد فيكره تقدمه فيه واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه.

---

(1) مختصر منهاج القاصدين،ص١٨٦.

(2) صحيح مسلم ،كتاب الأدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، ح رقم٦٠٦٥،ص١٣٠٠.

(3) سنن النسائي، كتاب الجهاد،باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه،ح رقم ٣١٠٩،ص٤٧٩.

(4) تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٥٩٥.

(5) انظر: فتح القدير،ج٥،ص٣٩٣-٣٩٤.

٣- أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، وبخل في النعم وليست إليه فيمنع منها، ولا بيده فيدفع عنها؛ لأنها مواهب قد منحها الله من شاء، فيسخط على الله تعالى في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله عليه أكثر ومنحه عليه أفضل، وهذا النوع من الحسد أعمها و أخبثها؛ إذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية.

٤- العداوة والبغضاء: وهذا أشد أنواع الحسد، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام فمهما أصاب عدوه من البلاء، فرح بذلك وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك ، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقي أن لا يبغي، وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنساناً فيستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن، وهذا النوع من الحسد هو الذي وصف الله تعالى الكفار به فقال: ﴿**وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ**﴾(آل عمران آية١١٨) "إخبار وإعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم، فمن شدة البغض والحسد أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم " [١] والحسد بسبب العداوة والبغضاء ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وما يجري مجراه.

٥- الخوف من فوت المقصود: وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فيكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم أسباب الحسد التي سبقت، ويقع ذلك غالباً بين الأقران، والأمثال، والأخوة، وبني العم،لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل التناقض فيها، فيثور التنافر والتباغض، لذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، ولا يحسد غيره إلا أن يكون سبب آخر،لأن مقصد كل واحد من هؤلاء غير مقصد الآخر، [٢] ومن أسباب الحسد الكبر والعجب وقد تحدثت الباحثة عنه في هذه الرسالة [٣].

"واعلم أنه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قل قلوا؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوث النعمة يضاعف الكمد. [٤] .

(1) الجامع لأحكام القرآن،ج٤،ص١١٦.

(2) انظر: مختصر منهاج القاصدين،ص١٨٨.

(3) انظر: ص٩٧من هذه الرسالة.

(4) أدب الدنيا والدين،ص٤٢٧.

المطلب الثالث

أثر الحسد على النفس

إن الحسد خلق ذميم، وهو من نتائج الحقد الذميم، ولقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾(الفلق آية ٥).

- الحسد يؤدي إلى المعاصي وكثرة الذنوب والقتل، قال بعض السلف: الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم عليه السلام، وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله، قال تعالى:﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة آية٢٧)
- وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً .
- الحسد لا يعود على صاحبه إلا بالحسرات، والسقام ثم لا يجد لحسراته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء، ويؤدي إلى انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة، وغضب الله تعالى، وإلى النار، قال تعالى:﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ**﴾ (فاطر آية ٤٣) فالحسد ضرر على صاحبه قبل أن يكون ضرراً على المحسود، بل المحسود ينتفع به في الدنيا، فالنعمة لا تزول عن المحسود بالحسد، بل تدوم إلى أجله الذي قدره الله تعالى له، ولا ضرر عليه في الآخرة، لأنه لا يأثم بذلك، بل ينتفع به، لأنه مظلوم من جهة الحاسد لا سيما إذا أخرج الحسد إلى القول والفعل [(١)].

ويتبين من خلال ما سبق أن الحسد من الأمراض الخطيرة على النفس البشرية، ومدمر للحياة، وكما أن الحياة البشرية معرضة للزوال بسبب الحسد، فإن أي جماعة معرضة للتفكك بسبب هذا المرض الخبيث، فهو الذي أهلك الأمم من قبل، وهو الذي يمكن أن يهلك هذه الأمة، فعلى المسلم التخلص من هذه الآفة الخطيرة التي تجلب الحسرة في الدنيا، والعذاب في الآخرة، ولا بد من معرفة هذه الصفة الذميمة وحقيقتها حتى تتخلص منها، فتستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

---

(1) انظر:إحياء علوم الدين،ج٣، ص١٩٨-١٩٩.

المبحث السادس

آفة الغرور

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الغرور.

المطلب الثاني :أصناف المغترين.

المطلب الثالث : مظاهر الغرور.

المطلب الرابع: أثر الغرور على النفس.

المطلب الأول

تعريف الغرور

الغرور لغــة:

الغَرُورُ بالفتح الشيطان، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ (لقمان آيــة ٣٣) والغَرور أيضا ما يُتَغَرْغَرُ به من الأدوية، والغُرُورُ بالضم ما اغْتُرَّ به من متاع الدنيا، ومنــه قوله تعالى:﴿ **وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾(الأنعام آية ٧٠) وغَرَّهُ يغُره بالضم غرُورا خدعه، ومنــه قوله تعالى :﴿ **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾ (النساء آية ١٢٠) أي خديعة والتَّغْرِيــرُ حمــل النفس على الغُــرور، وقد غَرَّرَ بنفسه تَغْرِيرا، و تَغِرَّةً بكسر الغين، والغَرْغَرَةُ تردد الــروح في الحلق [١] .

الغرور اصطلاحاً :

قال تعالى :﴿ **وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾(آل عمران آيــة١٨٥) أي:"الــشيطان يغر الناس بالأماني الباطلة، والمواعيد الكاذبة، وشبه سبحانه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على من يريده، وله ظاهر محبوب وباطن مكروه." [٢] وأصل الغرور: تزيين الخطــأ بمــا يــوهم الصــواب، وقيل: الغرور بالله أن الإنسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة [٣] .

والغرور أحد المفاسد الأخلاقية التي يبتلى بها المؤمن، والغرور علــى مــا عرفــه الغزالي رحمه الله هو: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه بالطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شــبهة فاســدة فهــو مغرور، وهو من أسوأ الصفات النفسية، لأنه الباعث الحقيقي للمساوئ الأخلاقية؛ كحب الدنيا وطول الأمل والظلم والفسق والعصيان [٤] .

ويتبين من خلال التعريف اللغــوي والاصــطلاحي مــدى التلاقــي بــين المعنــى الاصطلاحي واللغوي.

---

(1) انظر:مختار الصحاح،ص٤٧١.

(2) فتح القدير،ج١، ص٦٠٧.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن،ج١٤،ص٥٥.

(4) انظر:إحياء علوم الدين ،ج٣،ص٣٧٩.

المطلب الثاني

أصناف المغترين

ومن أصناف المغترين: (١)

الصنف الأول: غرور الكافر: وينحصر في قسمين :من غرته الحياة الدنيا، ومنهم مـــن غـــره بالله الغرور، يقول تعالى: ﴿ **فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ولا يَغُرنكم بالله الغَرُور**﴾(لقمان آية ٣٣).

*الاغترار بالدنيا: وهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة، والدنيا نقد والآخرة نسيئة، فالـــدنيا إذن خير من الآخرة، فلا بد من إيثارها، وقالوا أيضا: اليقين خير من الـــشك ولـــذات الـــدنيا يقين، ولذات الآخرة شك، فلا نترك اليقين للشك، وهذه الأقيسة فاســـدة؛ لـــذلك يلجـــأ إليهـــا الشيطان ليغري بها الجهلة من الناس، ومصدر هذا الجهل هو الغرور، قـــال تعـــالى: ﴿**فَـــلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** ﴾(لقمان آية ٣٣) أي: لا ينبغي أن تغريهم بنفسها، ولا ينبغـــي أن يغتـــروا بها، وإن حملهم على محبتها نفس أمارة، أو شيطان ماكر، فنهـــاهم الله تعـــالى عـــن ذلـــك، وأمرهم أن يكونـــوا من الذيـــن لا يلتفتون إلى الدنيا، ولا إلى من يحسّن الدنيا في الأعـــين. ولا إلى خداعه بزينتها ولذاتها (٢) .

*الاغترار بالله تعالى:أي: أنه يقيس الدنيا على الآخرة، فيعتقد كذباً وغروراً بحتمية الثـــواب، والرحمة، والنعمة، كما أنه يناصر شيطانه ويوافق هوى نفسه، فيزعم أنه مادام الله قد أخـــر عنه عذاب الدنيا، فقياساً على ذلك سيؤخر عنه عذاب الآخرة بالضرورة، فهذا غـــرور بـــالله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَلا **يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ (لقمان آية ٣٣) أي: ولا يخـــدعنَّكم بـــالله خادع، ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله الوعود الكاذبة، ويحملكـــم على الإصرار على كفركم بالله تعالى، وهو الذي يغري الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهـــيهم عـــن الآخرة (٣) .

وهكذا تكون الغرة بالله، فيرى النعمة حتماً واجباً على الله تعالى، والمغتر بالـــشيطان مغتر بوعوده وأمانيه، وقد ســـاعده اغتراره بدنياه ونفسه، فلا يزال كذلك حتى يتـــردى فـــي آبار الهلاك.

---

(1) انظر:نحو علم نفس إسلامي،ص١٤٩.

(2) انظر: جامع البيان،ج٢١،ص٨٦.

(3) انظر: المرجع السابق،ج٢١،ص٨٧.

الصنف الثاني غرور المؤمن:

*غرور عصاة المؤمنين، إلا أن طاعتهم أكثر، وغرورهم بقولهم : إن الله كريم وإنا نرجو عفوه، واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال، وتحسين ذلك بتسمية تمنيّهم واغترارهم رجاء، وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين، وأن نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة ويرجونه بوسيلة الإيمان، ولكن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بمثل هذا، ولولا حسن الظاهر لما انخدع به القلب، وهذا التمني على الله غيّر الشيطان اسمه، فسماه رجاء حتى خدع به الجهَّال، وقد شرح الله الرجاء فقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(البقرة آية ٢١٨)، ومن أعظم الغرة أن ترى المولى عز وجل يُتابع عليك نعمه وأنت مقيم على ما يكره، فالشيطان وكّل بالغرور، وطبع النفس الأمارة الاغترار، فإذا اجتمع الرأي، والبغي، والشيطان الغرور، والنفس المغترة لم يقع هناك خلاف في حدوث الغرة، فالشياطين غروا المغترين بالله وأطمعوهم – مع إقامتهم على ما يسخط الله ويبغضه – في عفوه وتجاوزه، وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم، ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الأجل فأُخذوا على أسوأ أحوالهم، قال تعالى في هؤلاء: ﴿**وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾(الحديد آية ١٤) وقال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾ (فصلت آية ٥٠) فأعظم الناس غروراً بربه من إذا مسه الله تعالى برحمة منه وفضل قال:(هَذَا لِي) أي أنا أهله وجدير به ومستحق له، ثم قال(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) فظن أنه أهلٌ لما أولاه من النعم مع كفره بالله، ثم زاد في غروره فقال"(وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى) يعني الجنة والكرامة [1] .

*غرور عصاة من المؤمنين إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة، ويظنون أنهم بذلك تترجح كفة حسناتهم، مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل، فترى الواحد يتصدق بدراهم من الحلال والحرام، فيتداخل في هذه الصدقة ما يتناوله من أموال الناس، ويظن أن ذلك لله، وذلك غاية في الجهل والاغترار، وهولا يعلم أن الله تعالى حذر من الوصول إلى هذا الحال، وأعلم بقرب وقوف العبد بين يديه للحساب والجزاء في يوم تشيب لهوله الولدان فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ**

(1) انظر:تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص١٥٠.

وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان آية٣٣) أي:اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق، وذلك أن الله قد وعد عباده، ولا خلف لوعده (**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**) فقوله (**وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**) أي:لا يخدعنكم بالله خادع بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة منه تعالى،أي تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة [(١)] .

ويتبين من خلال ذلك أن المؤمنين بألسنتهم وعقائدهم ضيعوا أوامر الله تعالى، وهجروا الأعمال الصالحة، ولابسوا الشهوات والمعاصي، فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور؛ لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة إلا أن أمرهم أخف، لأن أصل الإيمان يعصمهم من عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين، ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز، قال تعالى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ (طه آية٨٢).

الصنف الثالث : غرور العلماء :

- هناك نوع من الغرور يتجاوز العامة من الناس إلى المتعلمين والمثقفين من أصحاب العلوم العقلية، والشرعية، والتجريبية الذين تعمقوا فيها، واشتغلوا بها واغتروا بعلمهم، وظنوا أن لهم مقاما عالياً في العلم، وظنوا – كبراً- أن الله تعالى لن يعذبهم، وبناءً على هذا الاعتقاد الباطل أهملوا حفظ جوارحهم عن المعاصي والتزام الطاعات، وهم مغرورون .

  وهم لا يدرون أن من ازداد علماً، ولم يزدد هدى لم يزدد من الله تعالى إلا بعدا.

- ومن العلماء المغرورين، الذين اهتدوا إلى الأخلاق الباطنة وتيقنوا أنها مذمومة شرعاً إلا أنهم تعجبوا بأنفسهم، فظنوا أنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم؛لأن الذي يبتلى بالأمراض الباطنة هم عوام الناس، فظهر عليهم الكبر والرياسة، واعتقدوا أن ذلك شرف للعلم ونسوا أن ذلك من أخلاق إبليس، بل نسوا تواضع الرسول r والصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن علامات غرورهم الحسد، وإطلاق اللسان على زملائهم وأقرانهم، ويظنون أن هذا ليس حسداً وإنما غضب للحق، ورد على الباطل كذباً وافتراء على الله تعالى، إذ إن ذلك من صفات المغرورين.

- ومن العلماء مَن طهروا جوارحهم، وابتعدوا عن المعاصي، وتفقدوا أخلاق النفس، ومسحوا عن قلوبهم الرياء والحسد والكبر، لكنهم مع ذلك لم يتخلصوا من الغرور؛ إذ

---

(1) انظر: جامع البيان،ج٢١،ص.٨٧.

ما تزال في زوايا قلوبهم شوائب، وما يزال يلعب برؤوسهم شيطان ماكر، يخدع النفس وهم لم يفطنوا إلى ذلك.

- ومنهم من يهتم بعلوم المعاملات الدنيوية، وتركوا الأعمال الظاهرة والباطنة، ولم يؤدبوا جوارحهم، ويمسكوا ألسنتهم عن الغيبة والحرام أو عن الكبر والرياء والحسد، وهم مغررون يهتمون بالمجادلة، وإقحام الخصوم بحججهم، وكل قصدهم المباهاة والغلبة، ولو اهتموا بتصفية قلوبهم، لكان خيراً من علم لا ينفع في الدنيا والآخرة .
- وكثير من العلماء يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب، ومنهم علماء يظنون أنهم تبحروا في علوم المحبة الإلهية وأنهم من الناجين، ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون.
- ومن المغرورين أيضاً من يقلد كلام الزهاد فيرددونه، ويعظون الناس به في الأسواق وهم أشد الناس غروراً.
- كما أن من هؤلاء المغرورين من يجمع الحديث والأقوال، ويقول أنا معي أسانيد ليست عند غيري ويقتصرون على النقل دون فهم المعاني الواردة .
- وبعضهم يدرس علوم اللغة، ويعتقدون أنهم من العلماء الكمل، وهذا غرور عظيم، فالتعمق في دراسة اللغة بدرجة لا تتناهى للمباهاة من الغرور.
- وبعض العلماء يكون غروره في الصلاة والصيام والحج والزهد والجهاد أو الاشتغال بالنوافل ثم إنه يهمل الفرائض.

وبعض المغرورين يقرأ القرآن بالليل والنهار لكن قلبه في وادي الأماني متفكراً في الدنيا، وربما يقرأ القرآن ويتلذذ به ولكنه لا يعمل بما جاء فيه، ومنهم من يهتم وينشغل بمخارج الألفاظ ولا يتفكر في أسرار فاتحة الكتاب ومعانيها [(١)] .

المطلب الثالث

مظاهر الغرور

ومن مظاهر الغرور:

١- انشغال الإنسان بنعيم الدنيا ومتاعها عن الآخرة: فالغرور بالمال، والغرور بالعلم، يعتبران المحك الذي يعرف به معدن الإنسان، فالمال والعلم نعمتان من نعم الله على عبده، ولكن إذا كان المُنعمِ عليه جاهلاً بحقيقة الدنيا اغتر بها، يقول تعالى: ﴿وَمَا **الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (آل عمران آية ١٨٥)أي: تغر المؤمن وتخدعه، ويظن طول البقاء،

---

(1) انظر : نحو علم نفس إسلامي،ص١٥٣-١٥٧.

فيشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن الآخرة "[1] ويقول تعالى: ﴿**ولا يَغُرنكم بالله الغَرُور**﴾ (لقمان آية ٣٣) "من متاع يُلهي، أو شغل يُنسي، أو شيطان يوسوس في الصدور، والشياطين كثير؛الغرور بالمال شيطان، والغرور بالعلم شيطان، والغرور بالعمر شيطان، والغرور بالقوة شيطان، والغرور بالسلطان شيطان، ودفعة الهوى شيطان، ونزوة الشهوة شيطان، وتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم من كل غرور!"[2] .

٢- التعالي على الآخرين وازدراؤهم: فالعبد ينخدع بما آتاه الله تعالى من أسباب القوة، والجمال وحطام الدنيا الفاني؛ فيتعالى على الناس ويتكبر، ثم يتكبر على ربه وخالقه ومولاه، فلا يخضع له ولا يقوم بواجب العبودية، بل يسير وراء شهواته ونزواته غير عابئٍ بنظر الله إليه، غير مكترث بالناس من حوله، فقد زينت له نفسه، وبررت له الأخطاء، والله تعالى يقول: ﴿**يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾(الانفطارآية٦-٧) يعني: ما خدعك وسوّل لك ؟ وكيف اجترأت على ربك فأضعت ما وجب عليك، وارتكبت ما حرم عليك، وهذا توبيخ وتبكيت للعبد المغرور الذي سكنت نفسه إلى ما يوافق هواها، ولو كان فيه ما يغضب الرب تبارك وتعالى[3].

كما وجه الله تعالى عباده إلى معرفة قدر النفس والتزام حدودها وعدم الاغترار بها، فقال:﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾(النجم آية ٣٢)، فالنفس إذا تغلغل فيها حب الدنيا والتعلق بشهواتها أدى ذلك إلى تشوقها للمدح والثناء وازداد إعجاب صاحبها بها ورضاه عنها وهذا غرور قاتل وآفة مهلكة.

٣- الاستبداد بالرأي، فلا يستمع لنصح ناصح ولا لوعظ واعظ،لأنه يدعي لنفسه العظمة والكمال، فيبقى حيث هو في سُلم الغلط أو في سلم الحياة لا ارتقاء ولا نهوض مع التلبس بالغلط[4] .

٤- نسيان المغترين عند امتلاكهم للنعم أنفسهم، وجهلهم بأن هذه النعم زائلة لا تبقى، وإنها ليست خالدة كما يظنون، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**﴾(الكهف آية ٣٦) فالمغرور في الدنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ،ج٤،ص١٩٢.

(2) في ظلال القرآن،ج٥،ص٢٧٩٨.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن،ج١٩،ص١٦١.

(4) انظر:المستخلص في تزكية الأنفس،ص٢١٩.

وهكذا حال المغرورين يغفلون، ولا ينتبهون إلا بعد زوال النعمة، يتمنون رجوعها قائلين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾ (المؤمنون آية ٩٩) والغرور يدل على نفس غير سوية، وإيمان ضعيف، وقلب غير سليم.

المطلب الرابع

آثار الغرور

للغرور آثار سيئة، وعواقب خطيرة ومن هذه الآثار :

١- "الوقوع في غوائل المراء والجدل، فالمغرور- في حبه لذاته ورؤيته لعمله، واحتقاره لأعمال الآخرين- يحاول الانتصار لنفسه، والغلبة لها بالحق أو بالباطل" [(١)] قال تعالى:﴿**يوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾(الأنعام أية ١١٢) أي يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف؛الذي زينه وحسنه بالباطل إلى صاحبه، والذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره ، فيضل عن سبيل الله تعالى [(٢)] .

٢- الغرور بالنفس يصد عن الحق وإن كان أوضح من فلق الصبح، ولهذا قال **r** :(الكبر بطر الحق وغمط الناس) [(٣)] فيستنكف المغتر من قبول الحق، ومن الرجوع إليه بعد أن يتبين له، قال تعالى: ﴿ **يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً** ﴾(الأنعام آية١١٢) أي "يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق ولا يفهمون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلاً والباطل حقا" [(٤)].

٣- الغرور يُعمى البصر، ويطمس على البصيرة، فالمتكبر المغرور إنسان مطموس البصيرة أعياه الغرور عن رؤية الحق؛ لأنه لا يبصر إلا من زاوية واحدة، وهي الزاوية التي يرى فيها ذاته ولا يرى غيرها، وترفع على الخلق، وتكبر على الله تعالى، فصار من المغرورين، فمن كانت هذه صفته يطبع الله تعالى على قلبه، قال تعالى:﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ**

---

(1) آفات على الطريق،ج١ ص١٥٦.

(2) انظر : تفسير القرآن لعظيم.ج٢،ص٢٤٨.

(3) سبق تخريجه ص٩٦ من هذه الرسالة،

(4) تيسير الكريم الرحمن،ص٢٧١.

عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر آية٣٥) متكبر في نفسه عن اتباع الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم [1] .

٤ - أما عن أثر غرور التدين لدى بعض الدعاة على المجتمع، فإنه أثر جد خطير؛ لأنه يؤدي إلى الفصل بين القول والفعل، بين الواقع والسلوك، فينتج مجتمعا مفكك العُرَى، مهلهل النسيج، ضعيف البنيان، لديه خور في العقيدة، ووهن في الدين،لأنهم لم يطبقوا قول الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ*كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾(الصف آية٣،٢) وقوله تعالى:﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(البقرة آية ٤٤)

وفي ذلك تأكيد على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل، وإلا كان الهلاك والبوار [2].

ومن خلال ما سبق يتبين أن آفة الغرور آفة خطيرة، ولها تأثير كبير في تدسية النفس وانحرافها، وأن التخلص من هذا المرض النفسي الفتاك يكمن في إزالة الجهل؛ بالتفكير الصحيح والعميق لفناء الدنيا وجميع ما فيها، يقول الله عز وجل: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾ (النحل آية ٩٦) ويقول تعالى: ﴿**وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾(الأعلى آية ١٧).

ولا يُفهم من ذلك الإفراط في ترك الدنيا، بل المقصود التوازن، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾(القصص آية ٧٧)، فمن حقك أن تأخذ نصيبك من الدنيا، لكن إلى جانبه يجب أن تعرف حقيقة الدنيا لكي لا يجرفك الغرور بموجه العارم.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٤، ص١١٥ .

(2) انظر: آفات على الطريق ج١،ص١٤٥.

المبحث السابع
آفة الرياء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الرياء.

المطلب الثاني :أسباب الرياء.

المطلب الثالث : أنواع الرياء.

المطلب الرابع: أثر الرياء على النفس.

المطلب الأول

تعريف الرياء

من الأدواء المهلكة، والأمراض الفاتكة، والخسائر الفادحة الرياء، حيث فيه خسارة الدين والآخرة، ولهذا حذر منه المتقون، وخافه الصالحون، ونبه على خطورته الأنبياء والمرسلون، ولم يأمن من مغبته إلا العجزة، والجهلة، والغافلون، فهو الشرك الخفي، والسعي الرديء، ولا يصدر إلا من عبد السوء.

الرياء لغة:

هو نوع من أنواع الشَّهوةِ الخفيَّةِ للمعاصي، فكأَنه يُرائي الناسَ بتَرْكِه المَعاصِيَ، والشهوةُ في قلبِه مُخْفاةٌ، وإِذا استَخْفَى بها عَمِلَها، وقيل: الرياءُ ما كان ظاهراً من العمل، والشهوةُ الخفيَّة حُبُّ اطِّلاعِ الناسِ على العمل، وراءَيْت الرجلَ مُراءاةً ورِياءً أَرَيْته أَنِّي على خلاف ما أَنا عليه، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ من دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ** ﴾(الأنفال آية٤٧)، وقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ** ﴾(الماعون آية٦) يعني المنافقين أَي: إذا صلَّى المؤمنون صلَّوا معَهم يراؤونهم أَنَّهم على ما هم عليه، وفلان مُراءٍ وقومٌ مراءون، والاسم الرِّياءُ يقال: فَعَلَ ذلك رِياءً وسُمْعَةً وتقول: من الرِّياء يُسْتَرْأَي فلانٌ، فالرياء إذن: هو إظهار العمل للناس ليروه، ويظنوا به خيرا، فالعمل يكون لغير الله [١] .

الرياء اصطلاحاً:

هو أن يعمل الإنسان العمل، ويكون غير مخلص لله تعالى فيه، يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ** ﴾(الماعون آية٦) أي : "يُري الناس أنه يصلي طاعة، وهو يصلي تقية كالفاسق، يرى أنه يصلي عبادة، وهو يصلي ليُقال: إنه يصلي، وحقيقة الرياء: طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس." [٢]
عن ابن عباس t قال: قال رجل: يا رسول الله: إني أقف الموقف وأريد وجه الله، وأريد أن يُرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله r حتى نزلت: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾(الكهف آيه١١٠) [٣] ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ (البينة آية٥) .

---

(1) انظر: لسان العرب،ج١٤،ص٣٦٦.

(2) الجامع لأحكام القرآن،ج٢٠،ص١٤٤.

(3) انظر: مستدرك الحاكم،كتاب الجهاد،ح رقم ٢٥٢٧،ج٢،ص١٢٢.

المطلب الثاني

أسباب الرياء

- ضعف الإيمان: فلما كان الرياء من أواخر غوائل النفس، وبواطن مكايدها، فقد يبتلى به كثير من العلماء والعباد والمشمرين، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي- رحمه الله-: "إنهم لما قهروا أنفسهم عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليها بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى إطلاع الخلق، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات، وتوقيه الشبهات، وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء، وبالغوا في التقريظ والإطراء،... فهو يرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزييناً للعباد وتصنعاً للخلق فرحاً بما نالت من المنزلة والوقار، وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال، وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين، وهو يظن أنه من المقربين. " [١]
- الخوف من قالة الناس، لا سيما الأقران، حتى يظهر بالصورة التي ترضيهم، وتسكت ألسنتهم عنه، وإذا ما خلا بنفسه انتهك محارم الله تعالى، ويصور الله ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ**﴾(النساء آية ١٠٨) [٢] وهذا من ضعف الإيمان ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله تعالى، فهم لا يحبون الفضيحة بين الناس، وهم –مع ذلك- قد بارزوا الله تعالى بالمعاصي، ولم يهتموا بمراقبته لهم، واطلاعه على أمورهم وأحوالهم [٣] .

أنواع الرياء

المطلب الثالث

العمل لغير الله أنواع وأقسام، كلها مذمومة مردودة، ومن الله متروكة، فالله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء، وأفضل الخلطاء، فمن أشرك معه غيره تركه وشركه، فعن أبي هريرة t عن النبي r قال: يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل

(1) إحياء علوم الدين ج٣، ص ٢٧٥.
(2) انظر:آفات على الطريق،ج٢،ص١٣.
(3) انظر:تيسير الكريم الرحمن،ص١٩٢.

عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [(١)] .

١- الرياء المحض: وهو العمل الذي لا يُراد به وجه الله بحال من الأحوال، وإنما يُراد به أغراض دنيوية وأحوال شخصية، =وهي حال المنافقين الخُلّص، كما صور الله ذلك في قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ (النساء آية١٤٢) ومن صفاتهم أنهم (وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى) والصلاة أكبر الطاعات العملية، إن قاموا لها(قَامُواْ كُسَالَى) متثاقلين، متبرمين من فعلها، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله تعالى وإلى ما عنده، فارغة من الإيمان، لم يصدر عنهم الكسل (يُرَآؤُونَ النَّاسَ) أي :هذا الذي انطوت عليه سرائرهم، وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس [(٢)]. ولما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله تعالى قوله:﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾(الأنفال آية٤٧) وحذرهم بقوله: ولا تقوموا أيها المؤمنون بالله ورسوله، في العمل بالرياء والسمعة، وترك إخلاص العمل لله، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرًا ومراءاة للناس بزّيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم،(وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ) يمنعون الناس من دين الله، والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم، وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله،(وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ) من الرياء والصدِّ عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم(مُحِيطٌ)عالم بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء، وذلك أن الأشياء كلها له متجلّية، لا يعزب عنه منها شيء، فهو لهم بها معاقب، وعليها معذِّب [(٣)] . فال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ*وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ (الماعون آية٤-٧) وقد استحقوا هذا الوعيد الشديد لظلمة قلوبهم بالكفر والشرك الذي يخفونه، ولما كانت هذه الصفات الذميمة، لا تؤدي إلى إخلاص أو خشوع لله تعالى، وإنما تؤدي إلى الرياء وعدم المبالاة بأداء التكاليف التي أوجبها الله تعالى على خلقه، ولما كان الأمر كذلك، وصف الله تعالى هؤلاء المكذبين بالبعث والجزاء بأوصاف أخرى، فقال: (ويل للمصلين) [(٤)] .

---

(1) صحيح مسلم،كتاب الزهد والرقاق،باب تحريم الرياء، ح رقم ٧٣٦٩،ص١٤٦٢.

(2) انظر : تيسير الكريم الرحمن، ص٢٠٤.

(3) انظر:جامع البيان، ج١٠،ص١٨.

(4) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم، فضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي،ج٢٩، ص٧٣٠.

فالمرائي يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه وينقص إذا ذُمَّ، وقال الفضيل بن عياض: كانوا يراؤون الناس مما يعملون، وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون [١] .

٢- **الرياء بالقول**: "بإظهار التسخط على أهل الدنيا، وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة،" [٢] وحفظ الأخبار، والآثار لأجل الاستعمال في المحاورة، وإظهارا لغزارة العلم، ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي، وتضعيف الصوت في الكلام، وترقيق الصوت بقراءة القرآن، ليدل ذلك على الخوف والحزن، والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين.

٣- **الرياء بالعمل**: بإظهار الصلاة والصدقة، أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس، والرياء بالثياب القصار والخشنة، ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا، وذلك تفسير قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ** ﴾(الماعون آية٦) [٣].

- المرائي يسرع في المشي إلى حاجته، فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين، رجع إلى الوقار خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فإذا رآه عاد إلى خشوعه [٤] .

ويتبين من خلال ذلك أنه كلما خلص العمل من الرياء كان أوزن وأزلف عند الله سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع

أثر الرياء على النفس

- الرياء من الأمراض الخطيرة التي يترتب عليها احباط العمل، فلا ينتفع به صاحبه يوم القيامة وإنما يكون وبالاً عليه، ويصور ذلك قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ**

(1) انظر: إحياء علوم الدين،ج٣،ص٢٩٦.

(2) الجامع لأحكام القرآن،ج٢٠،ص١٤٥.

(3) انظر: المرجع السابق،ج٢٠،ص١٤٥.

(4) انظر: إحياء علوم الدين،ج٣،ص٢٩٧.

وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾(البقرة آيه٢٦٤) وهذا مثل مطابق لقلب المرائي الذي ليس فيه إيمان، بل هو قاسٍ لا يلين ولا يخشع، فهذا أعماله لا أصل لها تؤسس عليه، ولا غاية تنتهي إليها، بل ما عمله فهو باطل (١) .

وهكذا ينتهي الرياء بصاحبه إلى بطلان العمل وعدم قبوله.

- والرياء هو نوع من أنواع الشرك الخفي الذي إذا استفحل وتأصل في النفس، فقد يؤدي إلى حقيقة الشرك؛ لأن فيه تمزيقاً للقلب البشري، فلا يتوجه العبد إلى خالقه في العبادة، وإنما يتوجه للمخلوقين طلباً لرضاهم.يقول الرسول r :(اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء، الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة) (٢) .
- عدم إتقان العمل، ذلك أن المرائي إنما يراقب الخلق لا الخالق، والخلق مهما كانت طاقتهم وإمكاناتهم عاجزون عن المتابعة في كل زمان أو مكان، فهذا يؤدي إلى عدم إتقان العمل، ولقد أشار الله تعالى إلى هذا الأثر وهو يتحدث عن المنافقين فقال عز وجل: ﴿**وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾(النساءآية١٤٢) فقصدهم الناس وعدم إخلاصهم لله تعالى، فلهذا(وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً) لامتلاء قلوبهم من الرياء، فذكر الله تعالى لا يكون إلا من مؤمن خالص الإيمان، ولا يكون من مرائياً خداعاً (٣) .
- الفضيحة في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد: المرائي يقصد بعمله خداع غيره، ليعطيه هذا زمامه، وليسلم له هذا الغير القيادة، ويأبى الله تعالى ذلك لما يمكن أن يصنعه هذا المرائي من إفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل، وهذا ما صوره الله تعالى في قوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ** ﴾(البقرةآية٢٠٤-٢٠٦). وفي الآخرة لهم عذاب شديد (٤) .

---

(1) تيسير الكريم الرحمن،ص١٠٧.

(2) سنن ابن ماجة،كتاب الفتن ، باب من ترجى له السلامة من الفتن،ح رقم ٣٩٨٩،ص٤٧٩.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٢٠٤.

(4) انظر: آفات على الطريق،ج٢ ص٢٠.

- "وقال علماؤنا -رضي الله تعالى- عنهم : وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به، كما يُحكى أن طاهر بن الحسين [١] قال لأبي عبد الله المروزي [٢] : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال: دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم، فقال يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين.

وحكى الأصمعي [٣] أن أعرابيا صلى فأطال وإلى جانبه قوم، فقالوا: ما أحسن صلاتك؟! فقال: وأنا مع ذلك صائم" [٤] .

- ولشدة خطورة الرياء فقد جاء الترهيب منه، ويصور ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾(الماعون آيه٤-٧).

وقوله تعالى:﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾(الكهف آية١١٠)، وقوله تعالى:﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ (البينة آية٥)أي: "قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله تعالى وطلب الزلفى لديه " [٥] وقوله تعالى:﴿ **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً**﴾(النساء آية٣٩) فهو عليم بهم وبأعمالهم، وما يقصدون ويريدون بإنفاقهم ما ينفقون من أموالهم، وأنهم يريدون بذلك الرِّياء والسُّمعة والمحمدة في الناس، وهو حافظ عليهم أعمالهم، لا يخفَى عليه شيء منها، حتى يجازيهم بها جزاءهم عند مَعادهم إليه [٦].

ومن الأحاديث قصة الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة لأنهم يراؤون بأعمالهم : رجل استشهد، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، ورجل وسع الله عليه

---

(1) طاهر بن الحسين بن أحمد البغدادي، الإمام القدوة الكبير، أبو الوفاء،سمع من كثير، وكان من العلماء العاملين صادقاً، مخلصاً، قانعاً باليسير، توفي في شعبان سنة ست وسبعين وأربع مئة، انظر:سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ٤٥٢.

(2) أبوعبد الله المروزي، الإمام العلامة الشافعي، منسوب إلى بعض أجداده، كان من أساطين المذهب،يضرب بذكائه المثل وقوة حفظه، وهو صاحب وجه في المذهب، له خبرة في الحديث، عاش نيفا وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ١٧٢.

(3) الأصمعي، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، الأصمعي البصري، اللغوي الاخباري، أحد الأعلام، يقال : اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومئتين، ويقال : عاش ثماني وثمانين سنة -رحمه الله- انظر: سير أعلام النبلاء ج١٠، ص ١٨١.

(4) الجامع لأحكام القرآن،ج١١،ص٤٨.

(5) تيسير الكريم الرحمن، ص١٠٣٣.

(6) انظر:جامع البيان،ج٥،ص٨٨.

وأعطاه من أصناف المال فتصدق لا يريد بعمله وجه الله سبحانه" [١] .

ولهذا كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يحرصون على محاسبة نفوسهم، ومراقبة أحوالها، ويكرهون الشهرة غاية الكراهة، ويسترون أعمالهم.

ويتبين مما سبق أن الرياء آفة خطيرة على النفس البشرية، فهو عبادة للذات، ونسيان لله تعالى وهو ثمرة فجة لاستحواذ الشيطان على نفس المرائـــي الـــذي يغويهـــا بالأباطيـــل، ويوقعها بالتلبيسات والأكاذيب، حتى إذا لبست قناعـــه الخادع، ظنت أنهـــا مركـــز الكـــون كبرياء وغروراً.

(1) صحيح مسلم ،كتاب الأمارة،باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار،ح رقم ٤٨١٦،ص٩٦٤.

المبحث الثامن
آفة العجلة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف العجلة.

المطلب الثاني :حقيقة العجلة.

المطلب الثالث : أسباب العجلة.

المطلب الرابع: أثر العجلة على النفس.

المطلب الأول

تعريف العجلة

العجلة لغة:

العَجَلُ والعَجَلة السرْعة خلاف البُطْء، والاستِعْجال والإِعْجال والتَّعَجُّل واحد بمعنى الاسْتِحْثاث وطَلَبِ العَجَلة، يقال استعجل الرجل الرجل حثه وأمره أن يعجل في الأمر، واستعجلته أَي تقدمته، فَحَمَلْته على العَجَلة، واسْتَعْجَلْته طَلَبْت عَجَلَته [1]، ومنه قوله تعالى:﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾(يونس آية ١١).

العجلة اصطلاحاً:

تعني: "إرادة تغيير الواقع في لمحة أو في أقل من طرفة عين، دون النظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات والأساليب" [2]، قال تعالى: ﴿**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾ (الأنبياء آية ٣٧) والعَجَل : "السرعة، وخَلْق الإنسان منه استعارة لتمكن هذا الوصف من جبلّة الإنسانية، شبهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة لتكوين موصوفه" [3] ، وكما يقول الشهيد سيد قطب- رحمه الله تعالى- عن الإنسان والعجلة في تفسيره: "... فالعجلة في طبعه وتكوينه، وهو يمد ببصره دائمًا إلى ما وراء اللحظة الحاضرة يريد ليتناوله بيده، ويريد ليحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به ولو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه؛ ذلك إلا أن يتصل بالله فيثبت ويطمئن، ويكل الأمر لله فلا يتعجل قضاءه، والإيمان ثقة وصبر واطمئنان" [4] والإنسان مطبوع على العجلة، ومن عجلته أن يسأل الشر كما يسأل الخير، ولو استجاب له ربه لهلك بدعائه، ولهذا قال تعالى:﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾(يونس آية ١١) ولكن من حلمه ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم، إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، في حال ضجرهم وغضبهم، أي: لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، فلا ينبغي الإكثار من ذلك [5] .

---

(1) انظر: لسان العرب -مادة عجل- ج١١،ص٥٠٨.

(2) آفات على الطريق،ج١،ص٥٧.

(3) التحرير والتنوير،ج١٧ ص٦٨.

(4) في ظلال القرآن،ج٤،ص٣٣٧٩.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٢،ص٦٠١.

فالعجلة إذن: هي التقدم بالشيء قبل وقته، وضدها الأناة: وهي التثبت وعدم العجلة.

وليس معنى ذلك أن كل سرعة عجلة، إذ من الأمور ما يتطلب السرعة، وإلا فات أوانها وليس كل بطء أناة محمودة، فلربما كانت الحكمة المحمودة في السرعة، ولربما كان البطء تخلفاً مذموماً، فإن الحكمة التي يأمر بها العقل الراجح، تكون بالقيام بالأعمال في أوقاتها وأزمانها التي تضمن بها المصلحة الفضلى، لكن الإنسان مفطور على حب استعجال الأشياء قبل أوانها، فهو مخلوق عجول، يبادر الأشياء قبل مواقيتها، ويسارع إليها قبل أوانها، ويحب العاجلة، وإن كانت قليلة حقيرة، ويفضلها على الآجلة وإن كانت كثيرة جليلة، فكأن هذا الإنسان مخلوق من مادة العجل، قال تعالى:﴿**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ (الأنبياء آية ٣٧) [(١)] .

المطلب الثاني

حقيقة العجلة

إن العجلة هي صفة ذميمة في سلوك الإنسان، تظهر بأشكال مختلفة، بمعنى أنّ الإنسان - وقبل أن يوفر مقدمات العمل- يُقدم على تحصيل النتيجة، وهذا العمل لا يترتب عليه سوى الفشل، أو يثمر ثمرة ناقصة.

وهذا كما لو أنّ الإنسان قطف الثمرة قبل نضجها، فإنه يحرم نفسه من طيب هذه الثمرة أو تكون ذات فائدة قليلة، أو أنّه يقوم بنثر البذور على الأرض قبل أن يحرثها، فتكون النتيجة تلف البذور أو قلّة المحصول الزراعي.

والعجلة في الغالب مذمومة، إذ إنها تقوم على فورة النفس، وعدم التدبر والتفكر في المآلات وتفنيد الخيارات، والبحث في العواقب كقوله تعالى لموسى: ﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى**﴾(طه آية ٨٣) "حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة سابقاً أي: وقلنا له أي شيء عجل بك عن قومك، فتقدمت عليهم، فالعجلة نقيصة في نفسها، فكيف من أولي العزم اللائق بهم مزيد الحزم" [(٢)] . وقد تأتي على سبيل المدح في قوله تعالى:على لسان موسى عليه السلام ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾(طه آية ٨٤) طلبا لقربك ومسارعة في رضاك، وشوقاً إليك، فقد مدحه الله في هذا المقام [(٣)] .

---

(1) انظر:الأخلاق الإسلامية،ج١،ص٣٨٩.

(2) روح المعاني،ج١٦،ص٣٥٣.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن،ص٣١٧ .

وإذا كانت صفة الاستعجال، أو العجلة صفة جُبِلَ الإنسان وفُطر عليها،إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حذره منها، كما قال ربنا تعالى:﴿**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾(الأنبياء آية ٣٧)

والمقصود بالعجلة هنا في غير أمور الآخرة، قال الله تعالى لنبيه r ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾(القيامة آية ١٦-١٧) فأمره سبحانه بعدم العجلة، وذلك بمسابقة المَلَك جبريل u في قراءته، فقد تكفَّل سبحانه وتعالى أن يجمع له القرآن في صدره، وأن ييسر له بيانه [1]، وبيِّن أنَّ العَجَلة مذمومة، ولو وقعت في أهم الأمور وأصل الدين، قال سبحانه وتعالى:﴿ **وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾(طه آية ١١٤) وفي ذلك حث على زيادة طلب العلم الديني والدنيوي بدل الاستعجال، فهو الأنفع للمؤمن [٢].

وبين تعالى أن العجلة من طبع الإنسان؛ لتنبيهه على ضرورة التعامل بضدها، فقال عزَّ وجل :﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾ (الإسراء آية ١١) وأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتأني في جميع الأمور، والتثبت منها، فقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾(الحجرات آية ٦).

ويتبين من ذلك أن العجلة ليست من النقائص في تكوين فطرة الإنسان، لأنها تمثل في الإنسان عنصرا مهما من حوافز الجد والعمل، ولكنها تغدو من النقائص حين يسيء الإنسان إدارتها، أو يهملها، إذ المفروض أن تكون خاضعة لعقل الإنسان وإرادته، فإذا انعكس الأمر أصبحت من الآفات النفسية التي يعاني منها الإنسان، وأصبح الطلاق من ثمارها، وقتل الأبرياء من آثارها، واليأس من أضرارها وترك الدعاء من مظاهرها، وحينئذ تحتاج إلى علاج.

المطلب الثالث

أسباب العجلة

للعجلة أسباب منها:

أولاً: النشأة الأولى قد ينشأ الاستعجال عند الإنسان بدافع الخلقة قال تعالى:﴿**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾(الأنبياء آية ٣٧) وقد ينشأ من فورة الإيمان عند مبتدئ في الطريق في لحظة رأى فيها انتفاش الباطل أو غلبة المعصية والظلم، ثم لم يتدبر في عواقب فعله، واستعجل أمره، فوقع

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج،ص٥٧٧.

(2) انظر:روح المعاني،ج١٦،ص٣٩٢.

في الخطأ، وخالف الصواب، واعتمد على رأيه في تقدير المواقف، فزلت قدمه.

ثانياً: الدافع النفسي : وتظهر العجلة عند الإنسان في كل أمر من أموره التي تندفع إليها نفسه برغبة ملحة، حتى في دعائه ربه، فإن قصر نظره، وعدم تبصره بعواقب الأمور يجعلانه يتصور بعض الأشياء خيراً له، فيدعو الله تعالى بها، ظاناً أنها خير، مع أنها في حقيقة الأمر شر له، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾(الإسراء آية ١١) وهذا من جهل الإنسان وعجلته، حيث يدعو على نفسه، وأولاده وماله بالشر عند الغضب، ويبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء في الخير، ولكن الله - بلطفه - يستجيب له في الخير ولا يستجيب له بالشر، [1] فإذا لم يعمل الإنسان على ضبط نفسه، وإلجامها بالعقل، والتخفيف من غلوائها، فإنها تدفعه لا محالة إلى الاستعجال.

ثالثاً: الحماس، أو الحرارة الإيمانية : ذلك أن الإيمان إذا قوي، وتمكن من النفس، ولد طاقة تندفع – إذا لم يتم السيطرة عليها- إلى أعمال تؤذي أكثر مما تفيد، وتضر أكثر مما تنفع، لذلك وجه الله تعالى النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين في المرحلة المكية إلى الصبر على ما يقوله من كَذبه من سفهاء قومه، وعلى قوة التحمل، فقال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً** ﴾(المزمل آية ١٠)، [2] وهناك كثير من الآيات تدل على ذلك، ولكن الباحثة اختصرت للإيجاز.

رابعاً: الغفلة عن سنة الله تعالى مع العصاة والمكذبين: ذلك أن من سنة الله تعالى مع العصاة والمكذبين، الإمهال وعدم الاستعجال: قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً** ﴾(الكهف آية ٥٨) "أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب الله على من يتوب، فيتغمده برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو آخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل، والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخرت عنها مدة طويلة"، [3] ومن سننه كذلك معهم أنه إذا أخذهم لم يفلتهم، قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**﴾(الأنفال آية ٥٨)، ومن سننه أيضا : أن أيامه ليست كأيامنا هذه :﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾ (الأنفال آية ٥٩) وإذا غفل الإنسان عن هذه السنن استعجل [4] .

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٢٨٣.

(2) انظر:تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٦٣٨.

(3) تيسير الكريم الرحمن،ص٣٠٠.

(4) انظر: آفات على الطريق، ج١،ص ٦٣-٧٥.

خامساً: اتباع الهوى : إن هذا الخُلق الذميم حال سائر الأخلاق الرذيلة الأخرى، ينبــع مــن اتباع الهوى في الأساس، فالإنسان إذا تحرّك بوحي أهوائه، فإنــه عــادةً ولأجــل تحــصيل مطامعه ورغباته النفسية يستعجل في ذلك، والغالب أنّ الهوى لا يسمح له بأن يتدبر عواقــب الأمور، ويتأمل في الطريق السليم في الوصول إلى مقصده، ولهذا السبب فإنه يلقــي بنفــسه بصــورة عشــوائية في هــذا الاتجاه ويركض خلف إرضــاء النــوازع الذاتيــة والأهــواء النفسية وبالتالي يتورط فيمــا لا تحمــد عقبــاه، فتكــون العجلة ثمرة غيــر حــسنة مــن ثمرات اتباع الهوى، وحب الإنسان للعاجلة – وهي الدنيا- وتركه الآخرة، هو أيــضا ثمــرة غير حسنة من ثمرات اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ** ﴾ (القيامة آية ٢٠-٢١) [1].

سادساً: ضعف صفة الصبر في الإنسان، فإذا فَكر العقل في شيء محبوب استعجل حــصوله بداعي المحبة، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية، ولا تخلــو أحــوال الإنسان عن هذين، فلا جرَم إن كان الإنسان عَجولاً بالطبع، فكأنه مخلوق من العَجْلة، ثــم إن أفراد الناس متفاوتون في هذا الاستعجال على حسب تفاوتهم في غور النظر والفكر ولكــنهم مع ذلك لا يخلون عنه [2] .

ثــم إن تســويلات الشــيطان، وخــداع رفــاق الــسوء والمتملقــين والكــاذبين والحســاد والنماميــن هــي بدورهــا من العوامــل المهمــة للوقــوع فــي دائــرة الاستعجال والتسرع.

يتبين مما سبق أن العجلة والتسرع لدى الأقوام والشعوب البشرية المختلفة في ضوء القرآن صفة سلبية، وتقع في مقابل القيم الأخلاقية الإيجابية من الصبر والمثابرة والتأني، إلى أن تتوفر مقدمات العمل، وأنّ الصبر والتأني يُعد من أهم الفضائل الأخلاقية والإنسانية، وهي الفضيلة التي كانــت متوفــرة لدى جميع الأنبياء العظام وقادة البــشرية فــي خــط الحــق والإيمان.

---

(1) انظر: الأخلاق الإسلامية،ج١،ص٣٩١.

(2) انظر: التحرير والتنوير،ج١٧،ص٦٨.

المطلب الرابع

آثار العجلة على النفس

للعجلة والتسرع آثار سلبية منها :

١- العجلة صفة تؤدي دائماً في ذاتها وآثارها إلى قلق الإنسان، وانزعاجه وتــورث الأســى والأسف في مشاعره وأحاسيسه والندامة من أعراضها.

٢- إن المتطبع بالعجلة والسرعة في سلوكه الاجتماعي يكون حاداً متعصباً متكلفاً للأمــور، بخلاف الحكيم المتأني، فإنه يكون ساكناً متئداً وسهلاً ليناً يضع الأمور في مواضــعها، ويتلمس من الطرق أيسرها.

٣- العجلة طريق للفوضى والهزيمة، لأن النتائج لم تقم على تأصيل أصيل ولا على دراســة متأنية، ومن ارتجى رفع الفوضى عن نفسه، فإنه مطالب أولاً بالتأني والنظــر والتفكــر في عواقب الخطوات القادمة قبل أن يخطوها، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَــدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَــذَا قُــلْ هُــوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (آل عمران آية١٦٥) .

تبعة الهزيمة عليهم بما ارتكبوا من عصيان أمر الرسول، ومن العجلة إلى الغنيمة، وبعد أن أمرهم بالرضا بما وقع، وَذَكَّرَهم النصر الواقع يوم بدر، عطف على ذلك هنا إنكــارُ تعجّبهم من إصابة الهزيمة إيّاهم [1] .

٤- سوء الظنّ بكلّ شيء حتّى بالتقدير الإلهي: فمن المعطيات السلبية الأخرى للعجلة، حالــة اليأس الّتي تصيب الإنسان عندما لا ينال مقصوده ولا يتسنّى له تحصيل النتيجــة مــن عمله، وقد يفضي به هذا الحال إلى أن يسيء الظنّ بكلّ شيء حتّى بالتقــدير الإلهــي، فقوله تعالى:﴿ **سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾(الأنبياء آية ٣٧) الخطاب هنا موجه إلــى المسلمين الذين كانوا يستبطئون حلول الوعيد الذي توعد الله تعالى به المكذبين، ومناسبة موقع الجملتين، أن ذكر استهزاء المشركين بالنبي **r** يُهيج حنق المسلمين عليهم فيودوا أن ينزِل بالمكذبين الوعيد عاجلاً، فخوطبوا بالتريث وأن لا يستعجلوا ربهم؛ لأنه أعلــم بمقتضى الحكمة في توقيت حلول الوعيد وما في تأخير نزوله مــن المــصالح للــدين، وأهمها مصلحة إمهال القوم حتى يدخل منهم كثير في الإسلام.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير،ج٤،ص١٦٠.

والمعنى : وعد بأنهم سيرون آيات الله في نصر الدين، وذلك بما حصل يوم بدر من النصر وهلاك أئمة الشرك وما حصل بعده من أيام الإسلام التي كان النصر فيها عاقبة المسلمين .

وتفرع على هذا الوعد نهي عن طلب التعجيل، أي عليكم أن تكلوا ذلك إلى ما يوقته الله ويؤجله ولكل أجل كتاب، فهو نهي عن التوغل في هذه الصفة وعن لوازم ذلك التي تفضي إلى الشك في الوعيد [1] .

ولغرض التصدي لهذه الرذيلة الأخلاقية وعلاجها أو الوقاية منها فقبل كلّ شيء يجب التفكر في هذه العواقب الوخيمة والآثار السيئة لحال الاستعجال والتسرع.

فلو أنّ الشخص تفكر في هذه الأمور والآثار السيئة، فإنه سيدرك حتماً أنّ الاستعجال في العمل، مضافاً إلى أنه لا يوصله إلى مقصده ولا يحصل على غايته بسرعة، فإنه قد لا يحصل عليها أبداً فيما بعد.

وهكذا فإنّ الأضرار الناشئة من العجلة والتسرع أكثر من أن يتصورها الإنسان، والضرر والخسارة الّتي يدفعها الإنسان العجول في واقع الحياة من الإمكانات المادية والأضرار النفسية والمعنوية أكثر من أن تحصى.

يتبين من خلال ما سبق أنّ التأني هو عطية إلهية، وموهبة ربانية للإنسان، بينما العجلة هي صفة شيطانية تدفع بالإنسان إلى طريق الخسران، والزيغ في حركة الحياة، وتضيع عليه الفرص الثمينة، وتكثر اشتباهاته، وتكون عاقبته إلى الندم والهلكة، في حين أنّ النقطة المقابلة لها، أي التأني والصبر والتدبر يقود الإنسان إلى الفلاح والسعادة والاستفادة الكبيرة من الفرص الثمينة في حياته الدنيوية، وكفى بهدي القرآن دليلاً ومرشداً في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ (الحجرات آية ٦).

---

(1) انظر:التحرير والتنوير،ج١٧،ص٦٨.

المبحث التاسع

آفة الغضب

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الغضب.

المطلب الثاني :حقيقة الغضب.

المطلب الثالث : أسباب الغضب.

المطلب الرابع: أثر الغضب على النفس.

المطلب الأول

تعريف الغضب

الغضب لغة:

نَقِيضُ الرِّضَا، وقد غَضِبَ عليه غَضَباً ومَغْضَبَةً، وأَغْضَبْتُه أَنا فتَغَضَّبَ، وغَضِبَ له أي غَضِبَ على غيره من أَجله، وذلك إِذا كان حَيّاً، فإِن كان ميتاً قلت غَضِبَ به. وقيل الغَضَبُ من المخلوقين شيءٌ يُداخِل قُلُوبَهم، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق، وقد تكرر الغضب في الحديث من اللّه ومن الناس، وهو من اللّه سُخْطُه على مَن عَصاه وإِعْراضُه عنه ومعاقبته لـه، ورجلٌ غَضِبٌ وغَضُوبٌ وغُضُبٌّ بغير هاء، وغُضُبَّة وغَضُبَّة بفتح الغين وضمها وتشديد الباء، وغَضْبانُ يَغْضَبُ سريعاً، وقيل شديد الغَضَب، والأُنثى غَضْبَى وغَضُوبٌ، وغاضَبْتُ الرجلَ أَغْضَبْتُه وأَغْضَبَنِي، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً**﴾(الأنبياء آية ٨٧) قيل مُغاضِباً لربه، وقيل مُغاضِباً لقومه وقيل الأَوّل أَصَحُّ لأَن العُقُوبة لم تَحِلّ به إِلاَّ لمُغاضَبَتِه ربَّه (١) .

الغضب اصطلاحاً:

انفعال للنفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوؤها ويسخطها دون خوف، والوصف منه غَضبان، نجد ذلك فيما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم وصفاً لغضب موسى **u** حينما عاد إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل :﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً** ﴾ (الأعراف آية ١٥٠)، الأسف : انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنها وما تكرهه مع انكسار الخاطر، والوصف منه أسِف، وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى؛ لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم، فانفعاله المتعلّق بحالهم غضب، وهو أيضاً يحزنه وقوع ذلك وهو في مناجاة الله تعالى (٢) .

والغضب نوع من أنواع النشاط النفسي ولون من ألوان الانفعال وغريزة من الغرائز التي أودعها الله في طبيعة البشر، والغضب شعلة من النار، والإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال تعالى:﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ (الأعراف آية ١٢) فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاشتعال، والحركة والاضطراب.

---

(1) انظر: لسان العرب،ج١،ص٧٦٠.

(2) انظر:التحرير والتنوير،ج١٦،ص٢٨١.

والغضب: حالة نفسية وحين تدخل عملية الإثارة تختلف الاستجابة من شخص لآخر، ويتفاوت سلوكه عن آخر ونفسية عن أخرى، ولكن يبقى الغضب حالة إثـارة النفس، ربما يؤدي إلى ردود فعل لا تحمد عقباها، وذلك لأن النفس تتحول عن طورها الطبيعي إلى الهيجان، والانفعال، ومن ركودها إلى الغليان والثورة والتوتر الشديد وحب التخريب وشهوة الانتقام والهدم والإعراض عن الوقار والرزانة، لكن هذه الثورة النفسية سرعان ما يخمد لهيبها، وتنطفئ نارها، ويلحق الإنسان بعد ذلك ندم على ما بدر منه في تلك الحالة، وهو فضل من الله على الناس أن جعلهم بهذه الصورة بحيث لا تدوم الآثار النفسية للغضب معهم طويلا، ولو لم يكن المرء كذلك أي لم يكن يندم على السلوك الانفعالي الحالي للغضب لاحتاج إلى ممارسة العلاج النفسي [١] .

المطلب الثاني

حقيقة الغضب

حقيقة الغضب: هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام، فمتى غضب الإنسان صارت ثوراناً يغلي به دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعلى البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، ولذلك احمرّ الوجه والعين والبشرة، فكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها، وعرف الإمام الغزالي _رحمه الله تعالى- قوة الغضب فقال: قوة الغضب محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام، وبين أن هذه القوة تتوجه عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها، وهذا الانتقام هو قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به، إلا أن المؤمن يستفز بالإساءة إليه ويصفح عن المعتدي، قال تعالى : ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾ [٢](الشورى آية ٣٧) أي إنهم "تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح" [٣].

والغضب قد يتصف بالإفراط أو التفريط أو الاعتدال.

أما الإفراط فهو: أن يخرج الغضب عن إطار العقل، والدين، وطاعة الله، فيعمي النظر والفكر والبصيرة، فلا يبقى مجال للاختيار، بل يصير صاحبه في صورة المضطر،

---

(1) انظر: أمراض النفس وعلاجها بالذكر،ص١١٢.

(2) انظر: إحياء علوم الدين،ج٣،ص١٦٧.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص٨٤١.

فيجره إلى المهالك وهو غضب مذموم.

وأما التفريط في الغضب فهو: أن تتصف ردة الفعل بالبرود واللامبالاة تجاه أمور يتحتم عليه شرعاً وعقلاً أن يغضب لها، والتفريط أيضا مذموم، يقول الشافعي- رحمه الله تعالى- "من استغضب فلم يغضب فهو حمار" (١) ومن فقد قوة الغضب والحمية فهو ناقص جدا، وقد وصف الله تعالى أصحاب النبي r بالشدة والحمية فقال:﴿ **أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾(الفتح آية ٢٩) والمعنى أن فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين، ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين، ويكون أحدهم غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن (٢)، قال تعالى:﴿ **ياأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ (التحريم آية ٩) وإنما الشدة والغلظة من آثار الحمية وهي الغضب.

والاعتدال في الغضب هو الوسط المعقول، أي أن يغضب في موطن الغضب كما لو كان غضبه لله أو بسبب ظلم ظالم، أو معتد أثيم، وهو الغضب المحمود الذي يجب على الإنسان أن يتحراه، ويصل إليه لأنه الصراط المستقيم، قال تعالى في وصف عيسى u : ﴿**وَسَيِّداً وَحَصُوراً** ﴾ (آل عمران آية ٣٩)عن عكرمة t قال السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه (٣).

فمن مال غضبه إلى الفتور، وشعر بضعف الغيرة، وخسة النفس بقبوله للضيم والذل، فعليه أن يعالج نفسه ليقوى غضبه، ومن مال غضبه من الإفراط حتى جره إلى التهور وارتكاب المعاصي، فعليه أن يعالج نفسه لينقص من حدة غضبه (٤) .

المطلب الثالث

أسباب الغضب

الغضب مرض يتسم به بعض الناس ممن لا يستطيعون التحكم بأنفسهم، فتصبح الحياة معهم جحيماً لا يطاق، بسبب عدم تحملهم وسرعة ثورانهم لأتفه الأسباب، ما قد يسبب فرقة بين الرجل وأهله، أو القطيعة بين الناس، وذلك بسبب ما يبثه الشيطان - أعاذنا الله منه - في قلب ذلك الشخص فيشحنه ويدفعه لارتكاب بعض الأمور التي سيندم عليها صاحبها فيما بعد، وهذا مما لا شك فيه جهل ينبغي لمن اتصف به أن يروض نفسه ويعودها

---

(1) إحياء علوم الدين،ج٣،ص١٦٧.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٢٩٦.

(3) انظر:المرجع السابق،ج١،ص٥٤٠ .

(4) انظر: إحياء علوم الدين،ج٣،ص١٦٧.

على التحمل والصبر والجلد، بل يجب عليه أن يكظم غيظه ويحبسه حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه، ولهذا مدح الله تعالى المؤمنين في قوله: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران آية ١٣٤) " المتجرعين للغيظ، الممسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه، فلا ينقمون ممن يدخل الضرر عليهم، ولا يبدون له ما يكره، بل يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الإنفاذ والانتقام وهذا هو الممدوح" [1] .

ومن أكثر الأسباب التي تؤدي إلى الغضب:

١- وسوسة الشيطان، يقول تعالى:﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(الأعراف آية٢٠٠) وأصل النزغ: الفساد، إما بالغضب أو غيره، والمعنى وإما يُغْضِبَنَّك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويغضبك فاستعذ بالله تعالى [2].

٢- العجب، والمزاح، والمماراة، والمضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعاً، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده، فيجتهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه [3] .

٣- التكبر والتجبر فهو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين [4] .

٤- شهوة الانتقام قد تدفع إلى الغضب، وشهوة العزة بالإثم قد تؤدي إلى رد الحق، ولكن إذا ما أحس الإنسان بشيء من هذا فعليه أن يدفع بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾(فصلت آية٣٤) أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، ولا شك أن هذا سيحتاج إلى الصبر وترويض النفس، ولكن العاقبة ستكون حميدة، والمثوبة من الله كبيرة :﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ (فصلت آية٣٥) [5].

---

(1) روح المعاني،ج٤،ص٩٢.
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٢،ص٤١٣.
(3) انظر: مختصر منهاج القاصدين ،ص١٨٠.
(4) انظر: إحياء علوم الدين ، ج٣،ص١٧٦.
(5) انظر:تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص١٤٦.

الفرق بين الغضب والحزن:

سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها، والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه، والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله، فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن، وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه، ولذلك أفضى الحزن إلى الموت، ولم يفض الغضب إليه، وهذا فرق بين الحزن والغضب [(١)].

المطلب الرابع

أثر الغضب على النفس البشرية

الغضب هو عدو العقل وغوله [(٢)]، وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان، وإذا غضب الإنسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة، فترى المرء يقتل إذا غضب وتنتفخ أوداجه ويفقد صوابه؟! فآثاره على الظاهر من حيث تغيير اللون وشدة الارتعاد في الأطراف واضطراب الحركة والكلام، وضيق الصدر واضحة، ويصور القرآن الكريم هذا المشهد حكاية عن يونس u عندما أرسل إلى قرية فدعا أهلها إلى الله فاستعصوا عليه، فضاق بهم صدراً، وغادرهم مغاضباً، ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم، قال تعالى :﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً**﴾(الأنبياء آية ٨٧) إن يونس u لم يصبر على تكاليف الرسالة، فضاق صدراً بالقوم، وألقى عبء الدعوة، وذهب مغاضباً، فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين، لولا أن ثاب إلى ربه! واعترف بظلمه لنفسه، لما فرج الله عنه هذا الضيق، ولكنها العناية الإلهية حفظته ونجته من الغم الذي لحق به .

وأصحاب الدعوات لا بد أن يحتملوا بتكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها، وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً، ولكنه بعض تكاليف الرسالة، فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا، ولا بد أن يثابروا ويثبتوا، ولا بد أن يكرروا الدعوة ويبدؤوا فيها ويعيدوا .

إنهم لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتو وجحود، فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة [(٣)] .

---

(1) انظر: من أدب الدنيا والدين،ص٤٠٨-٤٠٩.

(2) انظر: إحياء علوم الدين،ج٣،ص١٦٦.

(3) انظر: في ظلال القرآن،ج٤،ص.٢٣٩٣ .

- أما آثاره على اللسان فيكون بالسباب، وإطلاقه فحش الكلام.

- آثاره على الأعضاء: ويكون ذلك بالضرب، والتمزيق، والجرح، وقد يصل إلى القتل، وإن لم يتمكن من المغضوب عليه، انهال على نفسه ضربا وإيذاء، ويقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلى ذاته، ويصور القرآن مثالاً واقعياً وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ** ﴾(آل عمران آية ١١٩) [1] .

- آثاره في القلب: ويكون ذلك بالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة والعزم على إفشاء الأسرار والانتقام من المغضوب عليه، [2] ولذلك وجب معرفة مكانته ليمكن علاج المذموم منه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(الفتح آية ٢٦) ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله تعالى عليهم من السكينة، ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة في هدوء ووقار، تضفي على تلك القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة برداً وسلاماً وطمأنينة وارتياحاً [3] .

- حينما يتملك انفعال الغضب من الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال التي يندم عليها بعد هدوء الغضب، وقد صور القرآن الكريم ذلك بعد هدوء موسى **u** في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ الأعراف آية ١٥١) [4].

فعلى الإنسان أن يملك نفسه عند الغضب ويعلم أن ذلك مدخل من مداخل الشيطان، ويتذكر قول الرسول **r** : (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [5].

ولقد أنزل الله في كتابه العزيز شفاءً لذلك الداء، فقال الله تعالى:﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (فصلت آية ٣٦)، فمن نابه شيء من

---

(1) انظر: القرآن وعلم النفس،ص٧٤.

(2) انظر: إحياء علوم الدين،ج٣،ص٢٠٨.

(3) انظر: في ظلال القرآن،ج٦،ص٣٣٢٩.

(4) انظر: القرآن وعلم النفس،ص٧٤.

(5) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب التحذير من الغضب،ح رقم ٤٣١،ص١٣٠٩.

الغضب فعليه أن يسرع بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، لأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

و قد حذر النبي r من الغضب ومن ذلك قوله r : للرجل الذي قال لـــه أوصـــني: قال: (لا تغضب) فردد عليه مراراً قال: (لا تغضب)، [1] وسُئل بعض ملوك الفــرس بــم دام ملككم ؟ فقال : لأنا نعاقب على قدر الذنب لا على قدر الغضب، فالغضب المنهـــي عنـــه هـــو الغضب للنَّفس؛ لأنه يصدر عنه الظلم والعدوان، وقد ورد أن النبي r كان لا يغـضب لنفـسه، فإذا انتهكت حرمة من حرمات الله غضب لله [2] .

وما أجمل الحلم والأناة، وقد أمر الإسلام الإنسان بأن يسلك مـسلك الحلـم والتعقـل والرزانة بحيث لا يكون ليناً فيعصر ولا يابساً فيكسر، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَـا غَـضِبُوا هُـمْ يَغْفِرُونَ**﴾ (الشورى آية ٣٧).

لذا لا بد من الوسطية هنا واستعمال الحكمة، فالغضب عواقبه وخيمة، كما أنه دليـل على الضعـف، وتحكـم النفس والشيطان، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّـا آسَـفُونَا انتَقَمْنَـا مِـنْهُمْ** ﴾ (الزخرف آية ٥٥).

(آسَفُونَا) معناه أغضبونا وأسخطونا، والمراد بالأسف الغضب ويـدل علـى ذلـك إطلاق الأسف على أشد الغضب في قوله تعالى:﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَـى قَوْمِـهِ غَـضْبَانَ أَسِفاً**﴾ (الأعراف آية ١٥٠) [3] .

يتبين من خلال ما سبق أن الغضب المذموم له آثار سيئة على شخـصية الإنـسان، وعقله واتزانه، فالغضب يطفئ التفكير والعقل، وله عواقب وخيمـة علـى وحـدة المجتمـع وترابطه، وتماسكه، إذا كان لغير الله تعالى، والغضب المحمود هو غـضب لله تعـالى عنـد انتهاك حرماته، فالمسلم يغضب لله تعالى ولدينه، ويتحرك قلبه لانتهاك حرماته.

"وإذا كانت زيادة الغضب دالة على المرض النفسي، فكذلك فإن نقص الحمية يولد قلة الأنفة، وضعف النخوة في الدفاع عن العرض والوطن، واحتمال الذل من الأخـساء وصـغر النفس والدناءة" [4] فللغضب المحمود فوائد كثيرة منها: الغـضب لحمايـة المـصالح العامـة وخصوصاً الدينية كالمحافظة على الدين، والمحافظة على العرض، والمحافظة على الـوطن الإسلامي من كيد المعتدين، ومؤامرات المستعمرين، ولولا هذه الظاهرة التـي أودعهـا الله

---

(1) صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب الحذر من الغضب،ح رقم ٤٣١،ص١٣٠٩.

(2) انظر: التحرير والتنوير،ج١،ص١٩٨.

(3) انظر:روح المعاني ،ج٢٥،ص١٤٠-١٤١.

(4) نحو علم نفسي،ص١١٥.

تعالـــى فـــي الإنســـان لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله تعالى، أو امتهن دينه، أو أراد عدو أن يغتصب أرضه، ويستولي على بلاده.

وفي نهاية الحديث عن آفات النفس تجد الباحثة أن هناك العديد من الآفـــات النفـــسية مثل العزلة والغفلة والنسيان واليأس وتوهم المرض والأرق... الخ، ولكنها اقتصرت بالحديث عن هذه الآفات النفسية التي ذكرتها حسب الخطة.

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في تزكية النفس البشرية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التربية الإيمانية .

المبحث الثاني : ضبط الشهوات والاندفاعات النفسية .

المبحث الثالث : التغيير من وحي القرآن الكريم .

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في تزكية النفس البشرية

الإنسان من جسد وروح وبها كانت كرامته، ولو خُلِّيَ وفطرته لاستقام على الحــق، وسلم من آفات الهوى، والنفس سر من أسرار الله أكبرها القرآن، وأولاها اهتمامــاً عظيمــاً، محيطاً بخصائصها، ناصحاً لها، وتختلف النفوس باختلاف عطاء الله لهــا، وتوفيقــه تعــالى إياها، وقد فطرها الله على معرفته معرفة قائمة على الحق، ثابتة فــي القلــب، ودعــا إلــى تزكيتها، والتوحيد أزكى ما تسمو به، والعمل الصالح عون على صلاحها، والخلوة أمكن فــي محاسبتها والعودة الدائمة إلى نورها وهداها، والكون مصدر إمداد لعقيدة المؤمن، يزيده بــالله صلة، وللنفس إصلاحاً، وأينما اتجه المؤمن رأى من آيات الله ما يدعم إيمانه، ويدفعه إلى الله دفعاً، حتى تميز القرآن الكريم بمنهج تربوي كوني يصله بالكون كآيات محــسوسة، ويتأملــه كمخلوق شاهد على عظمة الله، محدثاً بكماله، داعياً إلى حسن عبادته، وتوثيق الصلة به،

واستيفاءً لبيان هذا المنهج كانت المباحث الثلاثة التالية: ولكن قبل البدء بهذه المباحث رأت الباحثة أن تبين معنى التزكية المقصودة هنا بأنها تعني: تطهيرها وغلبة صفات الخيــر عليها، وتخليها عن الأوصاف المذمومة، وتحليها بالأوصاف المحمودة، حتــى يبلــغ المــسلم درجة الإحسان، والمقصود بالإحسان ما جاء في الحديث الــصحيح الــذي رواه عمــر بــن الخطاب **t** عن رسول الله **r** عندما جاءه جبريل وسأله عن الإسلام والإيمان ثم قــال لــه : (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [١] .

---

(1) صحيــح البخــاري ، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي **r** عن الإيمان والإســلام والإحــسان،ح رقم ٥٠،ص٢٦.

المبحث الأول

التربية الإيمانية

التربية الإيمانية: عملية منظمة تهدف إلى إحداث تغييرات مرغوب بها في سلوك الفرد من أجل إحداث تطور متكامل في شخصيته من جميع جوانبها :الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية الروحية لتمكينه من القيام بحق الخلافة في الأرض والإسهام الفاعل في عمارتها وفق منهج الله تعالى وتحقيق الغاية من وجوده وهي عبوديته لله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات آية٥٦) وهذه التربية تعلق القلب بالله، وتُخلّصه من عوالق الدنيا وزخرفها وقوتها وحولها إلا بالله، وتُطهر النفس وتزكيها، فلا يكون لها تعلق بمال أو جاه أو سلطان أو رفعة أو مكانة أو شهرة، إنها التربية التي تعُنى أكثر ما تُعنى بإصلاح القلب واستقامته، وتحقيق عبوديته لله جل وتعالى، [١] فإن صلاح القلب يلازمه صلاح السلوك قال الرسول **r** (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [٢] ومع هذا فهي تربية شاملة تُطهر القلب، وتُزكّي السلوك، وستبين الباحثة ذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول

اعتماد المنهج القرآني على الوقاية

الوقاية خير من العلاج، حكمة عظيمة ذات مدلول كبير، وهي لا تعني الوقاية في باب الصحة الجسمانية فحسب، بل تشمل الوقاية في جميع الأمور الدينية والدنيوية، إلا أن الوقاية في الأمور الدينية أهم بكثير؛ إذ يترتب عليها فوز العبد في الدار الآخرة أو هلاكه، فيجب على المسلم أن يقي دينه مما يخدشه أو يضر به، وعليه أن يقي نفسه من غضب الله وأليم عقابه، إن الوقاية تشمل معنى الصيانة والحماية، إنها حفظ ورعاية، وستر وحماية، مأخوذة من وقاه من الشيء أي صانه، ووقيت الشيء إذا حفظته وسلمته من الأذى، كما قال الله جل وعلا: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً**﴾(الإنسان آية ١١) أي: "صانهم من شدائده" [٣] ، وقوله تعالى:﴿**وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ** ﴾(الرعد آية ٣٤) أي من

---

(1) انظر:علم النفس التربوي في الإسلام،ص٨٦.

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه،ح رقم ٥٢،ص٢٦.

(3) الأساس في التفسير، ج١١، ص٦٢٩١.

دافعٍ، ووقاه اللهُ وِقاية بالكسر أَي حَفِظَه [١] .

أهمية الوقاية:

ولابد للوقاية أن تكون شاملة للأبدان والقلوب والعقول؛ لأنه ما الفائدة إذا صحت الأبدان وضلت العقول! وما الفائدة إذا سلمت الأجساد وزاغت القلوب، فلا بد للوقاية أن تشمل الإنسان كله، وتشمل الفرد وحده كما تشمل المجتمع.

إنها وقاية تغير وجه الحياة لتجعلها مبنية على الأمن والسلامة باطناً وظاهراً، وتعالج الأمراض من أسبابها، وتوقف الخطر من منابعه، وهذه هي المهمة الأعظم التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تتوفر إلا في وحي الله عز وجل الذي أكرمنا به وأنعم علينا به.

الأسس التي تبنى عليها الوقاية:

"الإسلام عالج بالغذاء قبل أن يعالج بالدواء، وعالج بالحمية قبل أن يستعمل مشرط الجراح" [٢] فالوقاية تقوم على أمرين اثنين مهمين: **أولهما التقوية**: وهي التي تماثل في الطب التغذية، وقبل تحقيق أول أسباب الوقاية لا بد أن يكون هناك قوة في البدن، ثم بعد ذلك يأتي الجانب الآخر **وهو الحماية**، وهي عند أهل الطب الحمية، فإنه لا بد أولاً من أسباب قوة توفر لهذه الذات قوة في الجوانب المختلفة، ثم المحافظة على هذه القوة التي أنشئت بذلك الغذاء بحمايتها من العوارض والأسباب التي تنقص تلك القوة أو التي تضعفها، ومنهج الإسلام يقوي الإنسان بإيمانه وإسلامه ويقينه بالله (عز وجل) وفيه زكاة نفسه، وطهارة قلبه، ورشد عقله، وحسن قوله، وصلاح عمله، فتجيء الشرائع كأنما هي سياج أمني حافظ لتلك القوة، قبل أن يصيبها ضرر، وكأنما هي خطوط أولية للدفاع عن التي تليها؛ حتى يبقى المؤمن في حصن من إيمانه، وفي سياج من إسلامه، وفي قوة من يقينه بإذن الله سبحانه وتعالى.

أولاً الوقاية من الشح:

شمل القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل جانب الحماية والتحذير والوقاية النفسية من أمراض كثيرة وعلل عديدة من أهمها: شح النفس وأمراض القلب؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشرآية٩)"ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في

---

(1) انظر: لسان العرب،ج١٥،ص٤٧٢.

(2) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية،عبد الرحمن واصل،ص١٦٥.

جميع ما أمر به، فإنه إذا وُقي العبدُ شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله تعالى ورسوله r ففعلها طائعاً منقاداً منشرح بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله تعالى عنه، وإن كان محبوباً للنفس تدعو إليه وتتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفوز والفلاح" [1] .

ثانياً الوقاية من الهلع:

ولقد وصف سبحانه وتعالى النفس بالهلع فقال: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً**﴾ (المعارج آية ١٩) ثم فصل سبحانه وتعالى العناصر التي تقي الإنسان من الهلع تفصيلا كاملاً من خلال آيات سورة المعارج، وبعض هذه العناصر مصرح به لفظاً وبعضها يفهم عن طريق اللزوم الفكري والاستنتاج الذهني، وفيما يلي بيان لهذه العناصر:

العناصر التي تقي الإنسان من الهلع:

العنصر الأول: حسن الصلة بالله تعالى، والتزام مراقبته، وذلك بالمداومة على الصلاة المستوفية لكل الشروط وهو ما دل عليه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ **إِلا الْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ (المعارج آية٢٢-٢٣) وهذا العنصر المصرح يستلزم عنصراً غير مصرح به، ولكنه لا يتم إلا به، ألا وهو عنصر الإيمان بالله تعالى، وبصفاته واسمائه الحسنى، والإيمان بقضائه وقدره، والإيمان بعدله وفضله وحسن ثوابه.

العنصر الثاني: حسن تأدية الحقوق لأربابها، وقيام الإنسان بما يجب عليه تجاه الفقراء والمساكين وذوي الحاجات الخاصة، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى:َ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ (المعارج آية٢٤-٢٥)، وهذا العنصر المصرح به يستلزم عنصراً غير مصرح به، ألا وهو كفهم عن أكل أموال الناس بالباطل، وعن كل كسب حرام .

العنصر الثالث: التصديق بيوم القيامة، وما أعد الله تعالى فيه من جزاء، والخوف من عذاب الله تعالى، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ* وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**﴾ (المعارج آية٢٦-٢٨).

العنصر الرابع: حفظ الفروج من المعاصي والمحرمات التي نهى الله تعالى عنها، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾(المعارج آية ٢٩-٣٠)

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٤٧.

العنصر الخامس: رعاية الأمانات والعهود، والوفاء بهـا، والبعـد عن الخيانـة في الأمانـة أو النكث في العهود، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ**﴾(المعارج آية ٣٢-٣٣).

والعنصر الأخير: تكرير للعنصر الأول، وهو المحافظة على الصلاة؛ للدلالـة علـى أهميـة الصلاة في البداية والنهاية، وتوكيد للصلة بالله تعالى، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾(المعارج آية ٣٤).

ثم أبان الله تعالى عاقبة هؤلاء الذين استثناهم من عموم الإنسان الهلوع، فقال تعـالى: ﴿**أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ**﴾(المعارج آية ٣٥).

فمن استجمع هذه العناصر استطاع أن يتخلص من الهلع الـذي يبعـده عـن كمالـه الإنساني، ويبعده عما خلق من أجله [1] .

ثالثاً الوقاية الأخلاقية:

وهناك وقاية أخلاقية تسلم الإنسان من الفواحش والفتن، قـال تعـالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُـواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ (الأنعام آية ١٥١)النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهـي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها فالإسلام يعمل على تجفيف منابع الفتن والفساد [2] ، وقـال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِـشَةً وَسَـاء سَبِيلاً** ﴾ (الإسراءآية٣٢)، والتعبير القرآني بقوله: (وَلاَ تَقْرَبُواْ) تعبير دقيق يؤكد علـى إيـصاد كل باب يمكن أن يوصل في نهايته إلى ساعة الفاحشة في المجتمع المسلم، يعني: لا تفعلـوه ولا تقربوا منه، أي: لا تفعلوا ما يؤدي إليه أو يقرب منه، فالنهي أعظم وأشمل، والوقاية أتـم وأكمل، فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه [3] وهناك كثير من الآيات التي تبين هـذا الوجه وتحث عليه، وتأتي الوقاية الاجتماعية التي تسلم المجتمع من الأمراض التي تفتك بـه وتقطع أواصره وتجعل الشحناء في القلوب والبغضاء في النفوس؛ فيـأتي قـول الله سـبحانه وتعالـى:﴿**يَا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّـسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً**﴾ (الحجرات آية ١٢) وهذه الآيات هي في التحذير والوقاية، وفي التنبيه على الأمر اليسير الذي قد يكون ظناً يجول بالخاطر ويحوك في النفس، وإذا به ينتقـل مـن

---

(1) انظر:الأخلاق الإسلامية،ج١،ص٣٨٧-٣٨٨.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٢٨٣.

(3) انظر: المرجع السابق،ص٤٨٩.

طور إلى طور حتى يدفع إلى التجسس والتحسس، ثم يدفع إلى الغمز، واللمز، والغيبة والنميمة، ثم يدفع إلى التباغض والتدابر، ويؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، لما يؤدي إليه أيضاً من المشاكل الاجتماعية الخطيرة من التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس [1] . وقال تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾(آل عمران آية ١٠٣)، فأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة حماية من الفرقة حتى يبقى المجتمع متماسكاً مترابطاً، [٢]

رابعاً الوقاية الاقتصادية:

الوقاية الاقتصادية في أن يكون الإنسان المسلم متبعاً لشرع الله في بيعه وشرائه وكسبه وإنفاقه، كما أخبر الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (البقرة آية ٢٧٨)، والله سبحانه وتعالى يسوق الآيات في كثير من جوانب الحياة ليعلمنا ما الذي يدعو إليه إيماننا، وما الذي يرسمه لنا إسلامنا، ثم ليحذرنا ويقينا ويسلمنا من الزيغ والضلال والانحراف عن ذلك، ويكشف لنا ما يؤول إليه الأمر، أو ما آل إليه الأمر بالفعل، لمن ارتكب مثل ذلك من أهل الكفر والضلال؛ فإن العاقبة تكون وخيمة، والخاتمة تكون شر خاتمة.

ويتبين مما سبق أن في القرآن الكريم منهجاً واضحاً لهذه الوقاية، وتأكيداً عليها، وتنبيهاً على أهميتها، وتنبيهاً بخطر التهاون فيها، وكما يقدم لنا المنظور الإسلامي النموذج الذي يكفل لنا الوقاية من الاضطرابات النفسية، فإنه يقدم أيضا العلاج لما يمكن أن يصيب الإنسان من أمراض واضطرابات، وقد ثبت أن تقوية الوازع الديني واللجوء إلى الله والتمسك بالعقيدة والإيمان القوي بالله تعالى من الأمور التي تفيد عملياً في علاج حالات الاكتئاب، والقلق والاضطرابات النفسية.

المطلب الثاني

الترغيب والترهيب

بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فُطر عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٠٩.

(2) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٥٨١.

ومن ذلك يمكن تعريف الترغيب والترهيب كما يلي : "الترغيب: وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة، خيرة، خالصة من كل الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله تعالى.

والترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله تعالى عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله تعالى به، أو تهديد من الله تعالى يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي." (١)

ولقد حفلت الآيات القرآنية بالحض على الطاعات والتحذير من المنكرات، عن طريق الترغيب والترهيب، لكي تنقاد النفس وتنزجر وتسارع إلى ما فيه مرضاة الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ* لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ *وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ* أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ* لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ**﴾ (الزمر آية ١٥-٢٠). وهكذا تتوالى مشاهد الترغيب والترهيب في هذه الآية الكريمة، الترغيب والبشارة لمن استقام على طاعة الله تعالى، والنذير والوعيد والتخويف الشديد لمن أعرض عن هدي الإسلام وحاد عن طريق الحق، والمتأمل لهذه الآية الكريمة لا بد أن تهتز أعماق نفسه وتتيقظ فطرته، وهو يرى هذا التقابل بين مشاهد النعيم المقيم لأهل الجنة وما فيها من غرف من فوقها غرف مبنية، ومشاهد الشقاء والعذاب لأهل النار، وهم يحترقون في طيات تلك الظلل المعتمة من فوقهم ومن تحتهم (٢) .

مميزات الترغيب والترهيب القرآني :

يمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بميزات منها: (٣)

---

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص٢٥٧.

(2) انظر: في ظلال القرآن، ج٥،ص٣٠٤٥-٣٠٤٦ .

(3) انظر: أصول التربية الإسلامية،ص٢٥٩.

١ - يعتمد الترغيب والترهيب القرآني على الإقناع والبرهان، فلا يوجد آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا ولها علاقة بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر على الغالب، أو فيها توجيه خطاب للمؤمنين.

٢ - يكون الترغيب والترهيب مصحوباً بتصور فني رائع بنعيم الجنة، أو لعذاب جهنم بأسلوب واضح يفهمه الجميع.

٣ - يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، كعاطفة الخوف من الله تعالى التي أمر بها، قال تعالى:﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(الأعراف آية ٥٥-٥٦)، ومن الإحسان في الدعاء أن يكون مقروناً بالخوف والطمع، خوفاً من عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه، والدعاء بمعنى السؤال أو بمعنى العبادة، لا بد أن يجمع في النفس معنى الخوف والرجاء ظاهراً أو باطناً [(١)] .

لقد مدح الله تعالى عباده الذين يخافونه، ووعدهم بالثواب العظيم في قوله تعالى: ﴿**فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾(آل عمران آية ١٧٥)، أي: "فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه، المستجيبين لدعوته.

وفي هذه الآية بيان وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، وهذا هو الخوف المحمود . " [(٢)]

وعلى تربية هذه العاطفة -الخوف والرجاء- بُنيت بعض العبادات، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (المائدة آية٩٤) فقال: ﴿ **لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ علماً ظاهراً للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب، وأنه تعالى يبتليهم بالصيد

---

(1) انظر: روح المعاني ،ج٨،ص٣٠٦.

(2) تيسير الكريم الرحمن،ص١٤٤.

يغشاهم في رحالهم، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرًا وجهراً ليظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره [١] .

وقد اعتنى القرآن في دعوته للإيمان بعقيدة التوحيد بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في نعيم الجنة الذي سيحظي به المؤمنون، وبترهيبهم من العقاب أو العذاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم، وآيات الترغيب التي تصف نعيم الجنة تبعث في المسلمين الأمل في الحصول على هذا النعيم، وتدفعهم إلى التمسك بالتقوى والإخلاص في أداء العبادات والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله وعمل ما يرضي الله ورسوله r آملين أن يكونوا من أهل الحنة.

والآيات التي تصف عذاب جهنم تبعث فيهم الرهبة من هذا العذاب الأليم الذي ينتظر الكافرين والمنافقين والعاصين لأوامر الله تعالى.

ويلاحظ أن القرآن لا يعتمد فقط في إثارة الدافع لقبول الإسلام على تخويف الناس وترهيبهم من العذاب الأليم في نار جهنم، وإنما يعتمد أيضاً في نفس الوقت على ترغيبهم في الاستمتاع في نعيم الجنة، وذلك لأن الترهيب وحده، أو الترغيب وحده قد لا يكون مفيداً الفائدة المرجوة في تعديل السلوك، وتوجيهه، فاستخدام الترهيب وحده قد يؤدي إلى طغيان الرهبة على النفس فتيأس من رحمة الله، واستخدام الترهيب وحده قد يؤدي إلى استيلاء الأمل في رحمة الله على النفس مما قد يوكلها إلى الدعة والتهاون والغفلة.

ولا تقتصر آيات الترغيب والترهيب في القرآن على ذكر النعيم الذي سيلقاه المؤمنون، والعذاب الذي سيلحق بالكافرين في الحياة الآخرة فقط، بل إنه يذكر أيضاً ما يناله المؤمنون من خير، وما يلحق بالكافرين من ألم وعذاب في الدنيا أيضاً ومن هذه الآيات التي تذكر ما يناله من خير في الحياة الدنيا، قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ**﴾ (هود آية٥٢) رغبهم نوح u بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات بعد أن حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين [٢] .

وقوله تعالى:﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**﴾ (نوح آية ١٠-١٢) هذا مقام

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٢،ص١٤٧.

(2) انظر:روح المعاني،ج١٢،ص١٢٠.

الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، بقوله تعالى: ﴿**مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً** ﴾ (نوح آية١٣) "أي لا تخافون من بأسه ونقمته" [1]، ومن الآيات التي تذكر ما يصيب الكافرين من عذاب في الحياة الدنيا قوله تعالى:﴿ **وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ**﴾ (الرعد آية ٣١)، الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه [2].

وذكرت بعض الآيات الأخرى حدوث الثواب للمؤمنين ووقوع العذاب للكافرين في الدنيا والآخرة معاً، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ **فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران آية ١٤٨) وقوله تعالى: ﴿ **لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ** ﴾ (الرعدآية٣٤) [3] .

وهكذا كان المسلمون متأثرين بدافعين قويين، أحدهما يدفعهم إلى القيام بالعبادات والتكاليف وكل ما يأمرهم به الشرع، والآخر يدفعهم إلى تجنب القيام بالذنوب والمعاصي وكل ما ينهاهم عنه الشرع، وهذا الشعور يجعل الإنسان على استعداد تام للطاعة التامة لله تعالى والرسول ﷺ وتجنب كل ما ينهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ .

المطلب الثالث

تجديد النفس بالتوبة

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق، مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويعتنى العلاج النفسي في مثل هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن تصوراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب، فيراها في ضوء جديد، بحيث لا يرى فيها ما يبرر شعوره بالذنب والنقص، فيخف تأنيبه لنفسه، ويصبح أكثر تقبلاً لذاته، فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي.

ويمدنا القرآن بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب، ألا وهو التوبة، فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله، فتخف حدة قلقه.

---

(1) تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٦٢٠.

(2) انظر:تيسير الكريم الرحمن،ص٤٤٣.

(3) انظر: القرآن وعلم النفس ص ١٥٦- ١٥٧ .

ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخــرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه، وزيــادة ثقتــه فيهــا، ورضاه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه.

إن إيمان المسلم بأن الله (جل شأنه) يقبل التوبة ويغفر الذنوب، وأنه لا يخلف وعــده، يدفعه إلى الاستغفار والتوبة، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي، أملاً في مغفرة الله ورضوانه. وإذا تاب المسلم توبة نصوحاً، والتزم بطاعة الله وعبادته وبالعمل الــصالح، ارتــاح بالــه، واطمأنت نفسه، وزال عنه الشعور بالذنب الذي يسبب القلق واضطراب الشخصية [١].

والتوبة: هي التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي، والندم على كــل ذنــب ســالف، والعزم على عدم العودة إلى الذنب في المستقبل، قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَــى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً**﴾ (التحريم آية ٨) والتوبة النصوح كما يقول ابن كثير:هي التوبــة الــصادقة الجازمة التي تمحو ما قبلها من السيئات، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات، وذلــك بــأن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل ذلك في المستقبل. ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه [٢] .

وقد حث الرسول r على التوبة وعلى المداومة عليها باستمرار، فقال:(يأيها النــاس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم والليلة إليه مئة مرة) [٣] .

والتوبة بهذا المعنى هي رجوع الإنسان عن إثمه وذنبه، فيُخرج مــن نفــسه حــلاوة الفعل الذي كان سبباً في معصيته وانحرافه خروجاً أبدياً، حتى كأنه لم يكن هو الذي اقتــرف هذا الذنب، قال تعالي: ﴿**وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً** ﴾ (الفرقان آيــة٧١) فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية، وتنتهي بالعمل الــصالح الــذي يثبــت أن التوبــة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقــلاع عــن المعصية، فالمعصية عمل وحركــة، ويجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركــة، وإلا حنــت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وهذه لمحــة فــي مــنهج التربيــة القرآني عجيبة، تقوم على خبرة عميقة بالنفس الإنسانية، ومن أخبر من الخالق بمــا خلــق؟ سبحانه وتعالى!

---

(1) انظر: نحو علم نفس إسلامي ص١٩٣ وما بعدها.

(2) انظر:تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص٥٧٠

(3) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ح رقم ٦٧٥٣،ص١٣٢٧.

إذ يستطيع بالتوبة أن يتخلص من أمراضه وآفاته، ويرجع إلى صحة نفسه، وسلامة من قلبه معافى من كل مرض [١] .

"والتوبة واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو من معصية، ولو خلا عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، وإن خلا عن ذلك، لم يخل عن وساوس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، ... وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وأما أصل ذلك فلا بد منه." [٢] قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (النورآية٣١) فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً أو باطناً إلى ما يحبه، ودل هذا أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الخطاب للمؤمنين جميعا، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ**﴾ حث على الإخلاص بالتوبة أي: "لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة "[٣] .

ومن ثمار التوبة الندم، ويتحدد الندم في العزم على :

عدم العودة إلى الإثم. والبعد عن الرذائل، والفرح بإتيان الخير والتوبة عن الشر، وبذلك يصدق في التائب قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة آية٢٢٢)" من ذنوبهم على الدوام" [٤] .

ومن شروط التوبة أن تقع من المكلف قبل أن يصل إلى حالة لا تمكن الحياة بعدها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ** ﴾ (النساءآية١٨) "وذلك أن التوبة في هذه الحالة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار" [٥] ، وإذا اهتدى العبد الصادق إلى طريق التوبة، فإنه يصلح ما بينه وبين غيره ويسترضي خصومه، ويعمل على إذلال كِبر نفسه فيتقبل الآلام بصدر رحب ويسعى لراحة الناس بقدر ما يستطيع .

ثم إنه يسعى إلى الله بأنواع الطاعات، فيقوم الليل، ويصوم النهار، ويؤدي الفرائض، ويزيد كل يوم في مجاهدته، ويوجب على نفسه تحمل أعمال جليلة، ويمتنع عن اللقمة الحرام،

---

(1) انظر: في ظلال القرآن،ج٥،ص٢٥٨٠.

(2) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٥١-٢٥٢.

(3) تيسير الكريم الرحمن،ص٦١٦.

(4) المرجع السابق،ص.٩٢.

(5) نفس المرجع،ص١٦٠.

ويواظب على تلاوة الذكر، ولا ينظر إلى المحرمات، ولا يسأل أحداً شيئاً عملاً بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحا**﴾ (التحريم آية٨).

إذن التوبة تجديد عهد مع الرب سبحانه وتعالى، تغسل الإنسان من أوحاله القديمة، ومخالفته الماضية، وأعماله السيئة ليبدأ من جديد ميلاداً جديدا، ويؤيد ذلك حديث الرسول **r** في قوله (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [١]) [٢] .

"وقد ثبت لدى علماء النفس والطب النفسي أو الصحة النفسية، أن التوبة تشفي من كثير من الأزمات والأمراض النفسية، لأنها تعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفسه، ومع مبادئه ومثله الأعلى، ومع مجتمعه القائم على المثل الأعلى الذي هو عبادة الله تعالى في النظام الإسلامي، ومراقبته، كما أنها تربي المجتمع على التسامح بين أفراده، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(النورآية٢٢)، وكان أبو بكر قد أقسم ألا يعود إلى عطاء مسطح الذي روج الإفك، وهو اتهام عائشة -رضي الله تعالى عنها- وألا يتصدق عليه بعد ذلك، وكان قبل ذلك يتعهده بالصدقة، فلما نزلت هذه الآية في حق أبي بكر وأمثاله قالوا :بلى نحب أن يغفر لنا، وعفا وصفح عمن تكلم في عرض ابنته، لأن التوبة وطلب المغفرة من الله تعالى قد علمته أن يصفح عن الناس كما يحب أن يغفر الله تعالى له ويصفح عنه" [٣] .

ويتبين مما سبق أن التوبة جعلها الله تعالى تطهيراً مستمراً للنفوس، وعودة للإيمان باطمئنان وراحة، عندما تسرف النفوس في الابتعاد عن أوامر الله تعالى وتعاليم شرعه، وهي مدخل إيماني واسع تحث عليها المصادر الشرعية في مواطن كثيرة، ومما يطمئن النفس البشرية أن التوبة مقبولة ما لم تغرغر الروح، وفي ذلك يقول **r** (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) [٤] وهذه بشارة مريحة تبعث

---

(1) صحيح مسلم،كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب ، ح رقم ٦٨٨٣،ص١٣٥٢.

(2) انظر: نحو علم نفس إسلامي ص١٩٣ وما بعد ها .

(3) أصول التربية الإسلامية ، ص٥٦.

(4) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، ح رقم ٣٤٦٠،ص٨٠٢.

الأمل، وبذلك يتبين أهمية التوبة كوسيلة عمليـــة لتزكية النفس، وترقيتها في مقامات القــرب من الله تعالى.

المطلب الرابع

تربية عواطف المحبة والخوف والرجاء

أولاً المحبة: تبنى التربية الاجتماعية على أساس عواطف اجتماعية، أهمها المحبـــة، وتتبــع المحبة من تربية الأبوين للناشئ، فإن وهباه ما يحتاج من الحب والعطف والعناية أصبح عنده استعداد لمحبة الآخرين، وإن لم يرويا عنده الحاجة إلى أن يحب، ظهر عنده الشذوذ والتبــرم والسخط على الآخريـــن، وإلى هذه المحبة أضافت التربية الإسلامية محبة الله تعالى ينبوعـــاً لا ينضب من ينابيع العاطفة الصادقة، وعلى أساس محبة الله تعالى يحب المؤمن كــل مــن يشاركه في الولاء لله تعالى ومحبته وطاعته والانقياد لشريعته، وهذا ما يسمى الحب في الله، وله في النفس أثر عظيم وسعادة نفسية، قال فيها بعض الزهاد: لو يعلم الملوك ما نحـــن فيـــه لحاربونا عليه، وفي معنى ذلك يقول r (ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكـــون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه منه، كما يكره أن يقذف في النار [1]) [2] .

والحب كما ورد في القرآن الكريم على دربين:

الأول :حب الله، ومن الله تعالى: وهو الحب الحق من عبادة، ورضا، وشكر، وإسقاط التـــدبير ومجاهدة لله تعالى بالعمل الصالح، تقرباً إليه، ووسيلة لمرضاته، وعملاً بأمره.

قال تعالى: ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ (المائدةآية٥٤)، وقال أيـــضا:﴿ **رَّضِـــيَ اللّـــهُ عَـــنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ﴾ (المائدةآية١١٩).

الثاني: حب الدنيا وما فيها : كحب الـــنفس، والـــشهوات، والمـــال، والفـــساد فـــي الأرض، والعدوان، والإسراف في اللذات، والشره، والطمع.

---

(1) صحيـــح البخـــاري، كتـــاب الإيمـــان، بـــاب من كره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار ، ح رقم ٢١،ص١٨.

(2) انظر:أصول التربية الإسلامية وأساليبها،ص١٦٤-١٦٥.

يقول تعالى:﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ (آل عمران آية١٤)، و"المعنى تقليل الدنيا وتحقيرها، والترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة." (١)

والحب الإلهي: هو الذي يهدف إليه علم النفس الإسلامي؛ لأنه يحقق الصحة النفسية، أما حب الإنسان: فهو نتاج هذا الحب الإلهي، فالأصل هو الحب الإلهي، أما الحب الإنساني فحب في الله تعالى، وفي طريقه، وهو ألفة ومودة ورحمة، قال تعالى:﴿ **إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾ (آل عمران آية١٠٣).

وقال تعالى:﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ (طه آية٣٩) حببتك إلى عبادي، حتى عدوّك جعلته يحبك لتربى بعين الله وتغذى على عينه (٢).

وقال تعالى:﴿ **وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ (الروم آية٢١).

والمحبة بهذا المعنى إثراء للعلاقات الإنسانية، وثمرة لصحة المجتمع، وتعاون على البر والصلاح، وألفة وإخوة بين الناس، ومودة ورحمة بين الأزواج والأقارب والأرحام .

فالمحبة تستهدف الحياة الأخلاقية المثلى، بالإضافة إلى كونها أصلاً من أصول الدين، قال تعالى:﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ (الحجرات آية٧).

وبدون هذه المحبة الإلهية تتبدد الروابط الإنسانية، وترتبط بالمصالح المادية والفوائد النفعية، فيقوى في النفس الحب الشهوي، ويعظم طلب الدنيا، واللذات الحسية، كما قال تعالى:﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً**﴾ (الفجر آية٢٠) وقال تعالى :﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً**﴾ (يوسف آية٣٠) والمعنى: "وصل حبه إلى شغافها فغلب عليه" (٣) ، فامرأة العزيز هنا اندفعت إلى الحب الشهوي فهبطت إلى مرتبة الحيوان، لاتباعها أهواء النفس، التي جنحت فقادتها إلى الرغبة في الشهوة المحرمة (٤) .

والمحبة الصادقة: هي المحبة المحققة للأمن والأمل والطمأنينة، قال تعالى:﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾

---

(1) الجامع لأحكام القرآن،ج٤،ص٢٥.

(2)انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٣،ص٢٦٦.

(3) الجامع لأحكام القرآن،ج٩،ص١١٦.

(4) انظر: نحو علم نفسي،ص٢٤٧وما بعدها.

(آل عمران آية٣١)، وقيل: محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما، وقيل: محبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، قال الله تعالى : ﴿**فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ (آل عمران آية٣٢) أي: لا يغفر لهم، وقيل: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي **r** ، وعلامة حب النبي **r** حب السنة، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي **r** وحب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله **r** : (إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض [(١)]) [(٢)] .

ومن علامات صدق المحبة لله تعالى، أنه إذا ذكر الله تعالى خالياً وجل قلبه، وفاضت عيناه من خشية الله، قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (الأنفال آية٢).

وهكذا فإن المحبة الإلهية تهدف إلى طريق الخير والإحسان والمودة وتآلف القلوب، والتحلي بمكارم الأخلاق، ويهدف هذا الحب إلى تحقيق أمر الله تعالى، ومخالفة أهواء النفس، وحظوظها، وشهواتها، وتحقيق الصحة النفسية للإنسان في الدنيا والآخرة، وبذلك يستطيع تزكية نفسه بأعمال البر والمعروف، ويبتعد عن الشيطان ووساوسه، وهنا يحبه الله تعالى ويرضى عنه، فهو حب لله ومن الله وبالله وإلى الله تعالى.

ثانياً الخوف والرجاء: "وهما جناحان، بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود" [(٣)] .

وقد ورد ذكر الرجاء والرحمة مقروناً بالتخويف والوعيد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ**

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبداً حببه لعباده،ح رقم ٦٦٠٠،ص١٢٩٦.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن،ج٤،ص٤٠.

(3) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٩٧.

الْعَذَابُ الأَلِيمَ (الحجر آيــة٤٩-٥٠)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (الأعراف آية١٦٧).

وقد عبر القرآن الكريم عن وصف أصفياء الله تعالى من الأنبياء وعباده الــصالحين، فقال عنهم: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ (الأنبياء آية٩٠) .

وأثنى الله تعالى على عباده الصالحين في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُــونَ مَــا آتَــوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾(المؤمنون آية ٦٠) قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآيــة: "فهــؤلاء الذين أثنى عليهم الله تعالى هم الذين يعطون العطاء لمــستحقيه، ويقومــون بأعمــال البــر والطاعة، وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم إشفاقاً مما يعتريهم من تقصير، ولذلك جعلهم الله تعالى من السابقين لكونهم جمعوا بين إحسان العمل والخشية من المولى سبحانه، فهم مــع إحسانهم مشفقون خائفون" (١) .

وقال ﷺ (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحــد، ولــو يعلــم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أبدا (٢))." (٣)

التلازم بين الخوف والرجاء:

الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف عند المؤمن؛ لأن كل خــائف راج، وكل راج خائف، والخوف ليس ضد الرجاء، بل رفيق له، ولهذا حسن وقــوع الرجــاء فــي موضع يحسن فيه وقوع الخوف، كما قال تعالى: ﴿**مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً** ﴾ (نوح آية١٣) كثيــر من المفســرين قالــوا في هــذه الآية: مالكم لا تخافون لله تعالى عظمــة (٤) ، فكــل راج خائــف من فوات مرجــوه ، فأطلق اســم أحدهمــا على الآخر، وهــذا يفــسر مــدى ارتباط الرجــاء بالخــوف، وأن الراجي خائــف من فوات مطلوبـــه ورحمـــة الله تعــالى وجنتــه، فهنــاك تداخل عجيب بين مقامات الإيمان في قلب المؤمن، والخوف بــلا رجــاء: يأس وقنوط.

---

(1) تفسير القرآن العظيم،ج٣.ص٤١٦.

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات ،باب خلق الله مائة رحمة، ح رقم٣٥٤١،ص٨٠٤.

(3) انظر:علم النفس التربوي ، ص٢٢١.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص٦٢٠.

وقال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا يَكْسِبُون** ﴾(الجاثيةآية١٤) وقوله (لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ) أي: لا يخافون وقائع الله تعالى بهم، كما وقعت في الأمم الذين من قبلهم من التدمير والإهلاك [١] .

فينبغي على الإنسان أن يجمع بين الخوف والرجاء، الخوف من عقاب الله تعالى وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور، والرجاء في رحمته فلا ييأس من عفوه، وأن يبادر إلى التوبة النصوح، ويدعو ربه وهو موقن بالإجابة، وأن يكثر من الاستغفار، ويذكر الناس به ليعودوا إلى ربهم تائبين خاضعين.

العلاقة بين المحبة والخوف والرجاء:

"المحبة: هي الرأس، والخوف والرجاء هما الجناحان، والعبد يسير إلى الله تعالى بالمحبة والخوف والرجاء" [٢] ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، وكل محب راج خائف بالضرورة، فهو يرجو من يحبه أن يعطيه ما ينفعه، ويخاف أن يسقط من عينه وأن يطرده ويبعده.

ويجمع الله تعالى بين هذه المقامات الثلاثة في قوله تعالى:﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾ (الإسراء آية ٥٧)، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه [٣]، وبالخوف يعرف الله تعالى، وبالرجاء يعرف لله إكرامه [٤] .

وهكذا ينبغي أن تُربى العواطف باعتدال واتزان، فلا يتمادون في المعاصي مغترين برحمة الله تعالى ومغفرته، مسوفين توبتهم إلى الله تعالى، ولا ييأسون من رحمته بدعوى أن المجتمع كله منغمس في المعاصي، منحرف عن الإسلام الصحيح، فيتركون العمل بشريعة الله والدعوة إليها، بخاصة في وقتنا الحاضر الذي طغت فيه المادة على النفوس، وازداد الرجاء عند الناس، وبهذا تحقق هذه العواطف دورها في تزكية النفس، يقول تعالى:﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت آية ٦٩).

---

(1) انظر:سلسلة أعمال القلوب،٧٥.

(2) المرجع السابق،ص٢٣٣.

(3) انظر: المرجع السابق،ص٧٨.

(4) انظر: الأساس في التفسير،ج٦،ص٣٠٨٤.

المبحث الثاني

ضبط الشهوات والاندفاعات النفسية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تهذيب النفس بالعبودية لله تعالى.

المطلب الثاني: الجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الثالث: محاسبة النفس وتذكر عيوبها.

المطلب الأول

تهذيب النفس بالعبودية لله تعالى

أصل العبادة: التذليل، من قولهم طريق معبد، أي مذلل بكثرة الوطء عليه، ومنه أُخذ العبد لذله لمولاه.

والعبادة الخضوع والتذلل والاستكانة، وفي اللسان : "أصل العبودية : الخضوع والتذلل" (1).

"والعبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود، لا يعرف منشأها، واعتقاده بسلطة له عليه لا يدرك تفهمها وماهيتها، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطة به، ولكنها فوق إدراكه، فمن ينتهي إلى أقصى الذل لملك من الملوك لا يقال إنه عبده، وإن قبل موطئ أقدامه" (2).

قال الطبري- رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى:﴿**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**﴾(المؤمنون آية ٤٧) "يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتمرون لأمرهم، ويدينون لهم. والعرب تسمي كل من دان لملك عابدا له" (3) وفي هذا يقول القرآن الكريم:﴿**وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (الرعد آية١٥-١٧) يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجُد له كلّ شيء طوعاً من المؤمنين، وكرهاً من المشركين، ويقرر أنه لا معبود بحق سواه (4) .

فهذه هي حقيقة العبادة في الإسلام، إنها معنى مركب من عنصرين : غاية الخضوع لله تعالى، مع غاية المحبة له سبحانه.

والله سبحانه وتعالى أمر الناس بعبادته حتى تقوم الساعة، والعبادة تشق على النفس، وذلك لمغالبة الهوى والشيطان، ومخالفة أهواء النفس.

---

(1) لسان العرب ،ج٣،ص٣٣٥.

(2) العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ، ص٣٠-٣٢.

(3) جامع البيان،ج٢٥،ص١٨.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج٢ص٧٤٨.

والنفس البشرية حسب تركيبها ونزوعها إلى الهوى تأبى العبادة، لذلك كانت العبادة عملاً لصلاحها، ومنازعة لشهواتها.

والله تعالى أعلم بجبلات النفس، ونزعاتها الظاهرة والباطنة وأعرف بالعلاج لأمراضها وآفاتها، وما يتوجب على النفس تجنبه للابتعاد عن الأهواء والسقوط في براثن الغواية والضلال.

فالعبادة شريعة الله في خلقه، أمرهم بها وهي تحتاج إلى المعاناة والمكابدة، ودوام المجاهدة عليها ظاهراً وباطناً حتى ينتقل الإنسان إلى الحياة الأخرى ملاقياً ربه، ليثاب على عمله ويلحق بالصالحين والمؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ (الحجر آية ٩٩) أي: الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، وهذه الحقيقة الأساسية الكبيرة هي التي يجب أن يصدع بها أصحاب الدعوة الإسلامية، ولا يخفوا منها شيئاً؛ وأن يصروا عليها مهماً لاقوا من بطش الطواغيت وتململ الجماهير [١] .

ويحدد الله سبحانه وتعالى غاية الإنسان من هذه الحياة الدنيوية، حتى يعلم الناس كل الناس، لماذا خلقهم الله تعالى في هذه الدنيا؟ فيقول تعالى:﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات آية٥٦) "هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه" [٢] .

وهذا التحديد الإلهي لرسالة الإنسان في هذه الدنيا يجعله عارفاً بطريقه الواضح الفطري السليم دون لبس أو تلبيس، فلقد أعلمه الله به، فليس له على الله حجة بعدما أرسل إليه الأنبياء والمرسلين ليبشروه ولينذروه، وليوضحوا له ما غمض من أمر هذه الدنيا، بحيث يصبح كل شيء واضحاً أمامه، وأنه مسؤول عن أفعاله وأعماله بعد توجيهه وإرشاده إلى طريق الله.

وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (النازعات آية ٣٧-٤١) .

فالعبادة بهذا المعنى هي عمل لله تعالى، وهي الموصل على الحقيقة إلى نعيم الآخرة، وهي ليست أشكالاً ورسوماً وحركات، إنما هي إيثار وعدل وصدق وإخلاص وبر وطاعة

---

(1) انظر :في ظلال القرآن،ج٤،ص٢١٥٦.

(2) تيسير الكريم الرحمن،ص٩٠٤.

وذكر لفضل الله تعالى ونعمه، وهي كذلك رضاً بالابتلاء، وإسقاط لتدبير العبد مع ربه، وتوكل عليه بالكلية في كل أمر وفعل، كما أنها صبر على الفاجعات، وصبر على المحبوب والمكروه جميعاً.

والعبادة تُدخل على النفس السكينة، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي خوف ورجاء، خوف من وعيد الله ورجاء في وعده، فإذا لم ير العبد ربه، يوقن أن الله يراه.

فالعبادة بهذا المعنى ليست مقصورة على التكاليف والفرائض الشرعية والمقررة، إنما هي صدق للنية وإخلاص في العمل لله.

ولذلك يكون المصلون في الصلاة الواحدة، وبين الواحد والآخر مثلما بين السماء والأرض؛ إذ بينهم الطائع والمرائي، والمخلص والعاصي، فليست العبرة إذن بتأدية الصلاة بالحركات والأشكال ولا بالتمتمة بكلمات، والقلب خال من الصدق والإخلاص، قال تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (الأنفال آية ٢) وهم يتوكلون على الله تعالى، لا يرجون سواه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يسألون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه [١] .

والعبادات أسمى أهدافها وغاياتها صلاح الفرد والجماعة، عندما تمارس بالتقوى والخشوع والتواضع والتراحم والتكافل.

وهكذا كلما أخلص المرء العبودية لله وجد نفسه مهتدياً إلى سر وجوده، ووجد مع ذلك سعادة روحية لا تدانيها سعادة تتمثل فيما سماه الرسول **r** (حلاوة الإيمان)، فقال:(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا) [٢] .

وإن لهذه الحلاوة طعماً لا يتذوقه إلا من عرف الله، وآثره على كل ما سواه .

والعبادات من شأنها تهذيب النفس والابتعاد عن الآثام، والمعاصي فتُدخل على النفس السكينة وتشعر بالأمن والطمأنينة، وفي هذا ما يحفز الإنسان على السعي إلى مرضاة الله تعالى.

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا ينعم ولا يبتهج ولا يلتذ، ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه.

---

(1) انظر:تفسير القرآن العظيم،ج٢،ص٤٢٣.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب،ح رقم٥٨،ص٤٧.

وبهذا يتبين أن الذي يذوق طعم الإيمان الحق ويزهر في قلبه مصابيح اليقين لا ينظر إلى العبادة على أنها مجرد خضوع أو تنفيذ أوامر فحسب، إنه يجد فيها تلذذاً بمناجاة الله وطاعته، وإن المؤمن ليجد في عبادة ربه في ساعة الشدة سكينة لنفسه، وأنساً لوحشته، وانشراحاً لصدره، وتخفيفاً لكاهله كما قال تعالى لرسوله : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ [1] (الحجر آية ٩٧-٩٩) .

النفوس الزكية تعبد الله لأنه أهل للعبادة فهو لذاته مستحق للعبادة، والعبادة ليست مجرد وسيلة لتهذيب النفس فحسب، بل هي عبادة مطلوبة لذاتها، وغاية في نفسها، كما أوضح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات آية ٥٦).

فالمقصود بالعبادة أن يعرف الإنسان نفسه فقيراً إلى الله تعالى، لا حول ولا قوة إلا بربه، ولا اعتماد إلا عليه سبحانه.

وأما صلاح النفس، وزكاة الضمير، واستقامة الأخلاق، فهي ثمرة لازمة للعبادة الحقة، وليست علة غائبة لها؛ لهذا قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ﴾ (البقرة آية ٢١) **وقال تعالى**:﴿**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ**﴾ (العنكبوت آية ١٦) [2] فإنه لا يستحق أن ينفرد بالعبادة إلا الله تعالى، وفي هذا ما يحكم سلوك الفرد عن طريق ما يتقرب به من الخالق سبحانه من عبادات، ومعتقدات، وأخلاق، ومعاملات تسمو بسلوكه وتشعره بالأمن والطمأنينة، فإن في تقربه إلى الله تعالى ما يدخل السكينة إلى نفسه مصداقا لقول الحق تعالى في الحديث القدسي:(من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن آتاني يمشي آتيته هرولة) [3].

وينتج عن الخضوع والتسليم الإيماني؛ والتصديق بالرسل والشرائع الالتزام بمبادئ الدين ونظامه، والاهتداء بمنهجه وقيادته، فتؤثر كل هذه الحقائق تأثيراً إيجابياً على اتّجاه النفس إلى الله سبحانه وإذعانها لأمره، بتفويض الأمر إليه، والتوكّل عليه، والرِّضا بقضائه وقدره، والشكر على نعمه، وإخلاص الحبّ له .

---

(1) انظر: العبادة في الإسلام،ص١٠١.

(2) انظر:المرجع السابق، ص١١٦.

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع،ح رقم ٦٥٠٢، ص١٣٨٢.

إن هذه المواقف النفسية الّتي تظهر على سلوك المؤمن هي من أجلِّ مظاهر العبادة وأصدقها، فهي تمثل انعكاس الإيمان في أعماق الإنسان وتفاعله مع الذات، وتنمية شعور النفس الحقيقي بالعبودية لله، ورغبتها في التسليم والتوافق مع إرادته ومشيئته جلّ وعلا .

فعبادات الإسلام جاءت جميعها تزكية للنفس والبدن، وتطهيراً للذات، وتنمية للروح والإرادة، وتصحيحاً لنشاط الجسد والغريزة .

فكل عبادة في الإسلام لها أثرها النفسي والجسدي، ولها نتائجها التكاملية في مجالات الروح والأخلاق والعلاقات الإنسانية المتعدّدة.

- فشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. هذه العبادة تدعو النفس الإنسانية إلى الخضوع لله، والسعي إلى ضمان طاعته، وتلوذ من الشرور والآثام نحو عفوه وتوبته، وتكتسب الهدوء النفسي والرضا والطمأنينة والسكينة، وفي هذا ما يحفز على العمل الدائب والسلوك المتوافق.

- وقد جعل الإسلام الصلاة تنزيهاً للإنسان من الكبرياء والتعالي، وغرساً لفضيلة التواضع والحب للآخرين، ولقاء مع الله للاستغفار والاستقالة من الذنوب والآثام، وشحذاً لهمّة النفس وقيادتها في طريق التسامي والصعود، فوقوف الإنسان في الصلاة أمام الله سبحانه وتعالى في خشوع وتضرع يمده بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي، وانصراف العبد عن مشكلات الحياة من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفس، وراحة العقل، وهذه الحالة لها أثرها العلاجي المهم في تخفيف حدة التوترات العصبية التي تحدثها مشكلات الحياة اليومية وهمومها، وقد كان الرسول r يقول لبلال t حينما تحين أوقات الصلاة (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها) [١] أرحنا بها من هموم الدنيا، وتعب الدنيا، ومشاكل الدنيا، وهذا هو نفس الأسلوب الذي يستخدمه المعالجون النفسيون اليوم في علاج القلق، ويقوم الإنسان مباشرة بالتسبيح والدعاء إلى الله تعالى، وهذا يساعد على استمرار حالة الاسترخاء والهدوء النفسي لفترة ما عقب الصلاة، وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه، وهذه المناجاة أيضاً تساعد على التخلص من أي إزعاج أو أي قلق وهو في هذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي [٢] ، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾(غافر آية٦٠) فالدعاء باب من أبواب الخضوع؛ لأن العبادة خضوع، والمراد بالعبادة الدعاء، وإنما المؤمن يتضرع إلى الله تعالى في كل تقلباته، ويتوجه

---

(1) سنن أبي داود،كتاب الأدب،باب صلاة العتمة،ح رقم ٤٩٨٥،ص٧٤٧.

(2) انظر: القرآن وعلم النفس،ص٢٥٦وما بعدها.

إليه بالعبادة والدعاء، وذلك مما يشفي صدره من الكبر الذي ينتفخ به [١] .

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾(البقرة آية١٨٦) فمجرد اللجوء إلى الله تعالى يؤدي إلى تخفيف حدة القلق والتوتر، والدُّعاء فيه تنمية لقوّة الإحساس الروحي، وتوثيقاً للصلة الدائمة بالله والارتباط به والاعتماد عليه، ليحصل الاستغناء الذاتي بالله عمّن سواه، فيلجأ إليه المؤمن في محنه وشدائده، وعند إساءته ومعصيته. وبالإضافة إلى كل ذلك فإن لصلاة الجماعة الأثر العلاجي الذي يساعد على نمو شخصية الفرد، وعلى نضجه الانفعالي كما يشبع حاجته إلى الانتماء الاجتماعي، والتقبل الاجتماعي مما يؤدي إلى الوقاية من القلق الذي يعاني منه بعض الناس نتيجة شعورهم بالوحدة والعزلة وعدم الانتماء للجماعة، وتؤدي صلاة الجمعة نفس الدور الوقائي والعلاجي من الأمراض النفسية، وكذلك الوضوء فيه تطهير للنفس من أوساخها وأدرانها.

- والصوم أيضاً فيه ترويض للجسد، وتقوية للإرادة على رفض الخضوع للشهوات، والسقوط تحت وطأة الاندفاعات الحسّية الهلعة، وفيه تربية وتهذيب للنفس، وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم، ويؤدي إلى بث روح التقوى فيه [٢] ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(البقرة آية١٨٣) أي لعلكم تتقون المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها، لما فيه من زكاة النفوس، وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وخشية الله في السر والعلن، لأن الصائم لا رقيب عليه سوى ضميره [٣] .

إن استمرار التدريب على ضبط الشهوات والسيطرة عليها مدة شهر كل عام، لا شك سيعلم الإنسان قوة الإرادة والعزيمة، وأداء الواجبات دون رقابة عليه، وفي الصيام تدريب على الصبر وعلى الجوع والعطش، والامتناع عن الشهوات، وللصيام فوائد كثيرة وعظيمة.

- والزكاة تطهر النفس من دنس البخل والطمع والأثرة وحب الذات والقسوة على الفقراء، وهي تزكي النفس، أي تنميها وترفعها بالخيرات والبركة، يقول تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾(التوبة آية١٠٣)، يقول البيضاوي-رحمه الله تعالى- في تفسيره: "خذ من الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهرهم بها من الذنوب والأوضار، وتنمي بتلك الصدقة حسناتهم حتى يرتفعوا بها إلى مراتب المخلصين الأبرار" [٤] .

---

(1) انظر:روح المعاني ،ج٢٤،ص١٢٤.

(2) انظر: القرآن وعلم النفس،ص٢٥٦وما بعدها.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم،ج١،ص.٣١٩ .

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج١،ص١٧٠٠.

- والمسلم الذي يؤدي فريضة الحج، تستثار مشاعره عند زيارة الأماكن المقدسة وأداء الفريضة فيها، وتمد النفس بطاقة روحية هائلة تزيل كروب الدنيا وهمومها، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة، حيث تسمو النفوس البشرية عن ملابسات الأرض وشهواتها ومطامعها، وتتجرد لله خالصة، تتوجه إليه أن يتقبلها في عبادة ويمنحها مغفرته ورضوانه، وتمتزج مشاعر الناس بالأحاسيس المرهفة، والخضوع الإرادي، والخشوع التام والسكينة المتواصلة، وهذه المشاعر تهز الوجدان وتصل إلى أعماقه وتعمل على تنقية وتصفية الكيان النفسي من الأدران والخطايا، إلى الجوهر المشرق المستضيء بنور الله تعالى، حيث أودعه الله ليتصل به ويلقاه، إنها العبادة التي تطهر النفس وتخلصها من كثير من أوضارها، وفي الحج تدريب على ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعاتها، [1] يقول تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾(البقرةآية١٩٧) فيه التخصيص لأولي الألباب بالخطاب بعد حث جميع العباد على التقوى؛ لأن أرباب الألباب هم القابلون لأوامر الله، الناهضون بها، ولب كل شيء خالصه، فعلى العاقل تخليص العقل من الشوائب، وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول إلى أعلى المراتب [2].

وبقية العبادات الأخرى لها نفس الأثر في تزكية النفس، وشأن الفرائض في ذلك شأن النوافل التي لها الأثر الفعال في تزكية النفس، وتقوية الصلة بينه وبين ربه -عز وجل-.

وهكذا فإنّ العبادات في الإسلام تأتلف جميعها ضمن وحدة تعبّدية فتكون منهاجاً متكاملاً لتطهير النفس والروح، وتصحيح مسيرة الجسد ونشاطه، تمهيداً لكمال بشري يؤهل الإنسان للعيش سعيداً في هذه الحياة ومنعماً في الآخرة.

(1) انظر : القرآن وعلم النفس،ص٢٦٤وما بعدها.

(2) انظر: فتح القدير،ج١،ص٢٩٨.

المطلب الثاني

الجهاد في سبيل الله تعالى

تعريف الجهاد: "الجهاد مشتق من الجهد وهو الطاقة والمشقة، والاجتهاد:أخذ النفس ببذل الطاقة، وتحمل المشقة في العبادة" [(١)] .

وقال الراغب الأصفهاني [(٢)] :و"الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ (الحج آية ٧٨) وقوله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾ (التوبة آية٤١). فمجاهدة النفس فطمها وحملها على خلاف هواها المذموم، وإلزامها تطبيق شرع الله تعالى أمراً ونهياً [(٣)]. قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ (العنكبوت آية٦٩) وهي آية مكية، ومن المعلوم أن جهاد الكافرين قد شرع في المدينة المنورة، وهذا يدل على أن المراد من الجهاد هنا جهاد النفس، وقال العلامة المفسر ابن جزي في تفسير هذه الآية: "يعني جهاد النفس من الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان" [(٤)]. وقال العلامة المفسر القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "قال السدي [(٥)] وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال" [(٦)].

وعن فضالة بن عبيد [(٧)] **t** قال: قال رسول الله **r** : (المجاهدُ مَنْ جاهد نفسَهُ في الله) [(٨)].

---

(1) بصائر ذوي التميز،ج٢ ،ص٤٠١.

(2) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، ابو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني)، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل(أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي (٥٠٢هـ-١١٠٨م) الأعلام للزركلي، ج٢، ص ٢٥٥.

(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة –جهد-ج٢، ص٤٠١.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل،ص٤٠٤.

(5) السدي، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي، الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، قيل أنه مات في سنة سبع وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٢٦٥.

(6) الجامع لأحكام القرآن، ج١٣،ص.٢٤٢.

(7) فضالة بن عبيد، ابن نافد بن قيس بن صهيب، القاضي الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي، صاحب رسول الله **r** من أهل بيعة الرضوان، ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمارة إذا غاب، وله عدة أحاديث عن عمر وعن أبي الدرداء ، قيل أنه مات سنة ثلاث وخمسين.انظر:سير أعلام النبلاء، ج٢ ص ١١٧.

(8) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد،باب في فضل من مات مرابطاً، ح رقم ١٦٢١.

وقد ورد الجهاد في القرآن الكريم على معان عدة :

الأول: مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً**﴾(الفرقان آية ٥٢) أي: "جاهدهم بهذا القرآن حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به" [١].

الثاني: مجاهدة الكفار بالقتال، وقد ورد فيه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً** ﴾(النساء آية ٩٥).

الثالث: مجاهدة النفس والشيطان، وهو أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾(العنكبوت آية ٦٩)، وقد قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:"الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون" [٢]، وقال الإمام الفخر الرازي-رحمه الله-:"من جاهد بالطاعة هداه الله سبل الجنة" [٣].

وهناك آيات كريمة أخرى تشمل المعاني الثلاثة، منها قوله تعالى:﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾(الحج آية ٧٨).

قال الإمام ابن كثير:"وجاهدوا في الله،أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم.. فالله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم .. وما كلفكم مالا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم" [٤].

وقد بين الإمام ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- أنواع الجهاد وأقسامه فقال: (الجهاد - شرعاً- بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، ثم قال: فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب، أما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب) [٥].

وهكذا نجد أن الجهاد يشمل مجاهدة العدو الداخلي والخارجي، وأن مجالاته كثيرة من أبرزها:

١- المجاهدة باللسان والبيان عن طريق الحجة والنصح والدعوة والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) جامع البيان، ج١٩، ص٢٣.

(2) تفسير القرآن العظيم،ج٣،ص٦٧١.

(3) التفسير الكبير،ج٢٥،ص٩٤.

(4) تفسير القرآن العظيم،ج٣،ص٣٩٨.

(5) فتح الباري، شرح صحيح البخاري،كتاب الجهاد السير، مقدمة باب فضل الجهاد والسير، ج٦،ص٣.

٢- المجاهدة بقتال الأعداء وبذل النفس والمال في سبيل الله.

٣- مجاهدة النفس والشيطان وقمع تسلطها، وقد جعل الله سبحانه الفلاح متعلقاً بتزكية النفس، فقال تعالى:﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**﴾(الشمس آية ٩)، كما جعله متعلقاً بالجهاد، فقال سبحانه:﴿ **جَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(المائدة آية ٣٥)، وجعله أيضاً متعلقاً بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عز وجل: ﴿**و لْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران آية ١٠٤).

فطريق الفلاح هو طريق الدعوة والجهاد، وهو نفس طريق تزكية النفس لا يختلفان، ومن هنا كان الجهاد بأنواعه وسيلة عظمى لتزكية النفس [١].

وقد أمر الله عباده بالجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام، ولقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة في الأمر بالجهاد وبيان فضله ومنزلته، وما أعده الله للمجاهد من أجر عظيم، والتأكيد على أهمية الجهاد في تقوية الإيمان والتحقق بالصدق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾(الحجرات آية١٥) أي: "من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك على الإيمان التام في القلب؛ لأن من جاهد غيره على الإسلام والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك من باب أولى وأحرى؛ وأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه" [٢] .

منزلة الجهاد:

الجهاد في سبيل الله في أعلى المنازل وأسماها بعد الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿ **انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(التوبة آية٤١) "وقد أمر الله بكلا الأمرين فمن استطاعهما معاً وجبا عليه، ومن لم يستطع إلاّ واحداً منهما وجب عليه الذي استطاعه منهما " [٣] .

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ** ﴾(التوبة آية١١١).

---

(1) انظر: المستخلص في تزكية النفس،ص١٣٣.

(2) تيسير الكريم الرحمن،ص٨٩٣.

(3) التحرير والتنوير،ج١٠،ص٢٠٧ .

وعن أبـــي هريرة t قال: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قـــال: (لا تستطيعون، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول : لا تستطيعون، ثم قال : مثـــل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتـــى يرجع المجاهد في سبيل الله) [1] .

ثم إن الإسلام يعدّ الجهاد طريق المؤمنين إلى الجنة، وســبيلهم إلـــى مرضـــات الله تعالـــى ونعيـــم الآخـــرة، وإن تـــرك الجهاد والتخلي عنه يورث الذل والخنـــوع والهـــوان، فقال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِـــي سَـــبِيلِ اللّـــهِ ذَلِكُـــمْ خَيْـــرٌ لَّكُـــمْ إِن كُنـــتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(التوبة آية٤١).

فالجهاد في سبيل الله تعالى فريضة محكمة إلى يوم أن يرث الله تعالى الأرض ومـــن عليها،لا تقوم قائمة الإسلام إلا به ولا تصان كرامة المسلمين إلا تحت رايته، ولا عز لهم إذا ما تهاونوا في شأنه واستسلموا للآراء المضللة المنادية بتركه وإبطاله.

وعلى هذا فالجهاد أربع مراتب:

جهاد النفس - وجهاد الشيطان - وجهاد الكفار - وجهاد المنافقين [2].

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى- من خلال حديثه عن مراتب الجهـــاد: إن جهـــاد الكفار في المعارك هو قمة الجهاد وكماله، بل هو قمة الإيمان وهو ثمرة جهاد طويـــل مـــع النفس والشيطان وتربية لها على الصبر والتضحية وقوة الصلة بالله -عز وجل- ولا يـــصبر على جهاد الكفار وينتصر عليهم إلا أولئك الذين انتصروا على أنفسهم والشيطان في جهادهم لهما، وكان لهم نصيب من جهاد البيان وقول الحق والصبر على الأذى فيـــه؛ إذ إن معركـــة الجهاد مع الكفار إن هي إلا ساعات أو أيام حاسمة لكنها ثمرة لمعركة ســبقتها مـــع الـــنفس والشيطان، وجهاد بالعقيدة مع الباطـــل بفضحـــه، وبيـــان ما يضاده من الحق وقد يـــستغرق ذلك سنوات أو أجيالاً، وهذا أمر لا بد منه، وهـــو ضرب من ضـــروب الجهـــاد، وإعـــداد للجهاد الحاسم مع الكفار.

وإن الكُمَّل من الناس في باب الجهاد من قام بمراتب الجهاد كلها وأعد نفسه بجميـــع متطلبات الإعداد للانتصار على النفس والهوى؛ والذي هو ممهد للانتصار على الكفـــار فـــي ساحات الوغى، وممهد للدخول في ذروة سنام هذا الدين، والثبات أمام الأعداء، والاســـتجابة لداعي الجهاد، والتضحية في سبيل الله -عز وجل- بالمال والنفس عند النداء، لتكـــون كلمـــة

(1) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ح رقم٤٧٦٢،ص٩٥٤.

(2) انظر: زاد المعاد ، ج٢،ص٣٩.

الله هي العليا وليكون الدين كله لله، ولكن لا يسارع إلى ذلك إلا من كان له جهاد سابق مع نفسه وهواه وكان النصر له عليها.

إن الجهاد بمعناه العام لا يسقط عن المسلم المكلف؛ فكما مر في مراتب الجهاد أن جهاد النفس والشيطان ضرب من ضروب الجهاد - وهو الممهد لجهاد الكفار - والجهاد بهذا المفهوم لا يسقط عن أي مسلم.

وجهاد النفس والشيطان هما الأصلان لجهاد الكفار، والانتصار على الكفار في ساحات القتال هو نتيجة للانتصار على النفس والشيطان قبل ذلك، بل إن جهاد النفس والشيطان يستغرق العمر كله؛ إذ لا بد منه قبل منازلة الكفار، وأثناءها، وبعدها [1] .

بعد أن تبين صفات المؤهلين للجهاد اتضح بذلك أهمية الإعداد الإيماني للمجاهدين حتى يلقوا عدوهم وهم مستعدون معنويًا وإيمانيًا لذلك.

فالأصل في الإعداد الذي يسبق جهاد الكفار هو جهاد النفس والشيطان، والمعركة معهما مستمرة ومتواصلة منذ بلوغ المسلم سن التكليف إلى أن يوافيه الأجل، فهو إذن جهاد لا يتقيد بوقت، بل هو مطلوب قبل ملاقاة العدو وأثناء ملاقاته وبعد ملاقاته، والنصر على الأعداء في معارك القتال مرهون بالانتصار على النفس والشيطان في معركة الجهاد معهما.

ويتبين من خلال ما سبق أن الجهاد بمفهومه العام يتضمن جهاد العدو الداخلي بمجاهدة النفس، وجهاد العدو الخارجي بالدعوة والقتال، وجهاد الكلمة بالنصح والتذكير، والدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل منها يكمل الآخر ويعضده، فمن ادعى الانشغال بأحدهما عن الآخر فقد أخطأ وفرط.

أثر الجهاد في تزكية النفس:

عندما يجاهد المسلم في سبيل الله سبحانه بلسانه وماله ونفسه، ويبذل جهده في إعلاء كلمة الله تعالى بكل ما أوتي من قوة، وبجميع المجالات الممكنة، بما فيها الدعوة والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لهذا الجهاد آثاره العظيمة في تزكية النفس، والتي تتجلى في الجوانب التالية:

١- الجهاد تحرير للنفس من حب الحياة والتعلق بها، وبيع لها في سبيل الله، وتدريب عملي على الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة، والتشوق لما أعده الله لعباده في الجنة، وهذا من أعظم ما يهدف إليه القرآن في تزكية النفس.

---

(1) انظر: زاد المعاد، ج٢، ص٣٨،٣٩.

فالمجاهد يبيع نفسه لله تعالى ابتغاء مرضاته، والله سبحانه واهب الأنفس والأموال ومالكها يكرم عباده المجاهدين بأن يشتري منهم ما وهبهم إذا بذلوها في سبيله.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(التوبة:١١١-١١٢).

وهكذا يتضح أن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة، والله سبحانه قد عقد الصفقة، واشترى هذه الأنفس والأموال وهو مالكها سبحانه، وجعل الثمن في تلك التجارة الرابحة جنة عرضها السماوات والأرض، ولكن هذا الجهاد ليس مجرد اندفاع للقتال، إنما هو قمة تقوم على قاعدة الإيمان والعمل الصالح، فالله سبحانه وصف المجاهدين، الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بصفات جليلة:﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ..** ﴾ إلى آخر الآية.

ومجمل هذه الصفات أن الجهاد في سبيل الله يشمل جهاد الأعداء، وجهاد النفس، وجهاد الشر والفساد، وبذلك ينطلق المجاهد من قيود التعلق بالدنيا والتثاقل إلى الأرض، وينفر باذلاً نفسه وماله في سبيل الله [1] .

قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ (التوبة آية٣٨).

وقال سبحانه:﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾(النساء آية ٧٤).

٢- الجهاد تمحيص للنفس وتدريب لها على الصبر والفداء: إن حكمة الله سبحانه اقتضت أن تتعرض النفوس للتمحيص ليظهر ثباتها ويستقيم حالها، ولا شك أن اكبر ميدان لهذا التمحيص هو ميدان الجهاد.

قال تعالى: ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ* أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ**

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٢،ص٥٧٦، في ظلال القرآن،ج٣، ص١٧١٤.

﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ* وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (آل عمران آية ١٤٠-١٤٣).

فالشدائد والمحن تربي النفوس كما تكشف عن معادنها وتظهر درجة ثباتها، ولذلك كان ميدان الجهاد المقياس الحقيقي الذي يعرف به المؤمن درجة التزكية التي ارتقت إليها نفسه، فإن لاحظ فتوراً أو إحجاماً عن البذل والفداء، وصدته نفسه عن كل جهاد يخدم به دينه فهو في بداية الطريق، ولا بد له من ترويض النفس ومجاهدتها وتدريبها على الصبر والثبات، وتقوية إيمانها بالله واليوم الآخر، وإن لمس فيها همة وقوة، فهذا مؤشر على ترقي النفس في مقامات التزكية، فالشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس، وطبائع الغبش فيها والصفاء، عندئذ يتميز الصف، وتتكشف في دنيا الناس دخائل نفوسهم، وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك، فإن حقيقة النفس تظهر في الشدة لا في الرخاء، ولذلك كان الجهاد هو المحك الذي يكشف عن معدن النفس ليسارع صاحبها إلى تدارك ما فيها من نقص، فينبغي للمسلم أن يشد أزر نفسه ويقويها لتكون أهلا لتحمل أعباء الجهاد [١] .

٣- الجهاد عزة للنفس وقوة لها: الجهاد أعظم وسيلة لتنمية العزة في نفس المسلم، وتقوية كيانها وتطهيرها من الذلة والمهانة، وكان الخمول وغيره من الصفات المهلكة للفرد والمجتمع، ولقد بين سبحانه أن المؤمن عزيز الجانب لأنه يستمد العزة من إيمانه بربه وتمسكه بدينه، قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (المنافقون آية ٨)، وعزتهم بكون الرسول r فيهم وبتأييد الله رسوله r وأوليائه لأن عزّة الله هي العزّة الحق المطلقة، وعزّة غيره ناقصة، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يُقهرون إذا أراد الله نصرهم، فإذا تخلى المسلم عن الجهاد، وشغل بالدنيا عن الآخرة تعودت نفسه الذلة والهوان والاستكانة والخنوع [٢] .

وبهذا يتضح أن الجهاد، وإن كان شاقاً على النفس، إلا أنه وسيلة عظمى لصلاحها وتزكيتها، ومن جاهد إنما يعود نفع ذلك على نفسه، والله غني عن عمله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ (العنكبوت آية ٦).أي: "أن ما يلاقيه من المشاق لفائدة نفسه ليتأتى له الثبات على الإيمان الذي به ينجو من العذاب في الآخرة " [٣].

---

(1) انظر: في ظلال القرآن،ج١،ص٤٨١.

(2) انظر: التحرير والتنوير،ج٢٨،ص.٢٤٩ .

(3) المرجع السابق،ج٢٠،ص.٢١٠ .

المطلب الثالث

محاسبة النفس

المحاسبة والمراقبة قريبة من التوبة، والمحاسبة في معناها الظاهر أن يُعِين الفرد في كل يوم وليلة وقتاً يحاسب فيه نفسه بموازنة طاعاته ومعاصيه، ليعاتب نفسه ويقهرها إذا وجدها في هذا اليوم والليلة مقصرة في طاعة واجبة، أو مرتكبة لمعصية، ويشكر الله تعالى لو أتت بجميع الواجبات ولم يصدر منها معصية، ويزيد الشكر لو صدر منها شيء من الخيرات والطاعات، قال تعالى: ﴿**ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحشرآية١٨) ومعنى : ﴿**وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ**﴾، هو أمر بالمحاسبة للنفس على ما قدمت لغدها المنتظر، ومحاسبة النفس - التي يحفزنا إليها القرآن الكريم- تقوم على إيضاح الخبيث من الطيب، وتعرف صاحبها بريائها أو صدق أفعالها، وترشد النفس إلى ترك أمراضها، والمؤمن دائما يبحث عن ذاته ويحاسبها، ويضعها دائماً موضع الاتهام عندما تتظاهر بالتقوى، وهو دائم الذكر لله تعالى لا ييأس من رحمته، أو يستسلم لأهوائه أو يقنط، فينقطع عنه الرجاء من الله.

ومحاسبة النفس من أبرز الوسائل التي ينبغي على العبد أن يداوم عليها ليترقى في مقامات التزكية، فعليه أن يحاسب نفسه، وينظر في أعماله، فما وجد من خير حمد الله عليه وعزم على المزيد منه، وما وجد من سوء ندم عليه وسارع إلى التوبة منه توبة صادقة [(١)].

فمحاسبة النفس تعني النظر والتأمل فيما عمل المسلم من أعماله، وما قدم من خير أو شر، مع النظر في النية والقصد، وبهذا تشمل المحاسبة الماضي والحاضر والمستقبل، وإن كانت في ظاهرها لا تشمل إلا الماضي والحاضر فقط، فلا بد لكل مسلم أن يكون له مواقف مع نفسه يحاسبها، ويعاتبها ليأمن شرها ويتحكم في قيادها، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح للتأكيد على محاسبة النفس وبيان أهميتها وآثارها النافعة في التزكية، والأصل في محاسبة النفس قوله تعالى :﴿**ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحشرآية١٨) .

- يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- "وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿**ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾، يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال: أهي من الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه؟

---

(1) انظر: نحو علم نفس إسلامي ،ص ٢٧٢-٢٧٣ .

قال قتادة: ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد، والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها " [1] .

ويقول سيد قطب - رحمه الله- تعالى :"والتقوى حالة في القلب يشير إليها اللفظ بظلاله، ولكن العبارة لا تبلغ تصوير حقيقتها، حالة تجعل القلب يقظاً حساساً شاعراً بالله في كل حالة، خائفاً متحرجاً مستحيياً أن يطلع عليه الله في حالة يكرهها، وعين الله على كل قلب في كل لحظة، فمتى يأمن أن لا يراه؟!

(وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه، ومجرد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله، بل صفحة حياته، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها، وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته؛ لينظر ماذا قدم لغده في هذه الصفحة، وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف، ومواضع نقص، ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير، وبذل من جهد، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلا، ونصيبه من البر ضئيلا؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكف عن النظر والتقليب!

ولا تنتهي الآية التي تثير كل هذه المشاعر حتى تلح على القلوب المؤمنة بمزيد من الإيقاع:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، فتزيد هذه القلوب حساسية ورهبة واستحياء، والله خبير بما تعملون " [2]ويقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..**﴾أي:"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية" [3] ويقول السعدي: "وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة" [4] .

قال تعالى: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ (القيامة آية١-٢) .

---

(1) إغاثة اللهفان،ج١ص١٠١.

(2) في ظلال القرآن،ج٦،ص٣٥٣١.

(3) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٩٧ .

(4) تيسير الكريم الرحمن،ص٩٤٩.

قال مجاهد: اللوامة هي التي تندم على ما فات وتلوم نفسها.

وقد أقسم الله بها وذكرها مع يوم القيامة دلالة على شرفها ومنزلتها وبياناً لـضرورة المحاسبة وأهميتها، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قوله تعالى:﴿**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾" لا تلقى المؤمن إلا وهو يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ مـاذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه" [1] .

وقال تعالى: ﴿ **بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾(القيامةآية١٤-١٥) أي: شاهد ومحاسب، ﴿ **وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾ فإنها معاذير لا تقبل، فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئاً، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره، وجميع جوارحـه بما كان يعمل، ولأن استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه، فالإنسان بصير بعيوب نفـسه، ولـو تظاهر بالأعذار وجادل عن نفسه فلن ينفعه ذلك يوم القيامة وهذه إشارة إلى ضرورة الرجوع إلى النفس ومحاسبتها وكشف عيوبها قبل فوات الأوان [2] .

وكان عمر بن الخطاب **y** قال كلاماً مشهوراً قد حذر من الإهمـال فـي محاسـبة النفس، لأنه يقود إلى الهلاك يوم القيامة، فقال:(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعـرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) [3] .

- ويروى عن ميمون بن مهران [4] قال **:**" لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسـبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك" [5] .

- وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿**وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾(الكهف آية ٢٨)" أضاع نفسه وغـبن، مـع ذلك تراه حافظاً لماله مضيعاً لدينه" [6].

---

(1) تفسير القرآن العظيم،، ج٤، ص٦٥٢.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٩٩٨.

(3)انظر: إغاثة اللهفان،ج١، ص٩٤.

(4) ميمون بن مهران، الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي، أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرقة، وحدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابـن عمر، وعدد كثير، وأرسل عن عمر والزبير، قيل: إن مولده عام موت علي **t** سـنة أربعـين، وثقـة جماعة.انظر: سير أعلام النبلاء ج٥، ص ٧١.

(5) المرجع السابق،ج١، ص٩٤.

(6) نفس المرجع،ج١، ص٩٥.

- ويقـول الإمـام ابن القيم - رحمه الله تعالى - "وقد مثلت النفس مع صـاحبها بالـشريك؛ فكما أنه لا يتم مقصـود الشـركة من الربح إلا بالمشارطة على ما يفعل، والإشراف عليـه ومراقبته ثانياً، ثم بمحاسبته ثالثاً، ثم يمنعـه من الخيانـة إن اطلـع عليـه رابعـاً؛ فكـذلك النفس: يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة – وهي العـين، والأذن، واللـسان، والفـم والفرج واليـد والرجـل - هي مراكب العطب والنجاة؛ فمنها عطب مـن عطـب بإهمالهـا وعدم حفظهـا، ونجـا من نجـا بحفظها ومراعاتها، فحفظها أساس كـل خيـر، وإهمالهـا أساس كل شر.

قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُـمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ (النور آية٣٠).

وقال تعالى:﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُـغَ الْجِبَـالَ طُولاً**﴾(الاسراءآية٣٧).

وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾(الاسراءآية٣٦) وقال تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُـواْ الَّتِـي هِـيَ أَحْـسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً**﴾(الاسـراءآية٥٣)، وقـال تعـالى: ﴿**ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيـرٌ بِمَـا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحشرآية١٨).

فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح انتقل منها إلى مطالعتهـا، والإشـراف عليهـا ومراقبتها، فلا يهملها؛ فإنه إن أهملها لحظة رتعت في الخيانة ولا بـد، فـإن تمـادى علـى الإهمال تمادت في الخيانة حتى تذهب رأس المال كله، فمتى أحـس بالنقـصان انتقـل إلـى المحاسبة؛ فحينئذ يتبين له حقيقة الربح والخسران، فإذا أحس بالخسران وتيقنه استدرك منهـا ما يستدركه الشريك من شريكه من الرجوع عليها بما مضى، والقيام بالحفظ والمراقبـة فـي مراقبته ومحاسبته، وليحذر من إهماله" (1) .

وهذا القول يدل على أن المؤمن لا يستغني عن المحاسبة بحال من الأحوال، وعليـه أن يحاسب نفسه وهو خائف حزين، منكسر القلب على ما فرط في جنب الله تعالى في الدنيا، خوفاً من قولها يوم القيامة، وذلك قوله تعالى: ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ**﴾ (الزمرآية٥٦).

---

(1) إغاثة اللهفان، ج١، ص٩٦-٩٧.

ومما يعين على هذه المحاسبة والمراقبة أمور منها:

١ - المداومة المستمرة في محاسبة النفس:

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- : " إنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غدا." [١] "فإن حاسبوا أنفسهم اليوم أصبح الحساب غداً يسيراً، والحساب اليسير صاحبه ناج، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ*فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً** ﴾ (الانشقاق آية٧ -٩) أما قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً**﴾ (الطلاق آية٨) فهذا الحساب الشديد نتيجة عدم المحاسبة الآن" [٢] .

٢ - استشعار المراقبة الدائمة لله عز وجل للعبد:

واستشعار هذه المراقبة الربانية كفيل أن يوقظ المسلم من غفلته ويجعله في خشية دائمة من سوء أعماله ويقوي إرادته على محاسبة نفسه ومجاهدتها.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾(ق آية١٦-١٨).

وقال عز وجل: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾(الحديدآية٤). وقال عز وجل: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾(غافرآية١٩).

وقد عرف الإمام ابن القيم (المراقبة) فقال: "المراقبة دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه...، والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات، فكيف بحال المريدين؟ فكيف بحال العارفين؟" [٣] .

ويقول السعدي [٤] -رحمه الله تعالى- :"وإذا علموا أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد." [٥]

---

(1) إغاثة اللهفان، ج١،ص٩٦-٩٧.

(2) سلسلة أعمال القلوب، ص٢٦٨.

(3) مدارج السالكين،ج٢،ص٦٤.

(4) السعدي، الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي من قبيلة تميم ولد في بلدة عنيزة في القسيم، وتوفي بها عام ١٣٧٦هـ، انظر التيسير للسعدي، ص ١٢-١٥.

(5) تيسير الكريم الرحمن،ص٩٤٩ .

٣- الإيمان بالحساب والسؤال يوم القيامة:

المحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر، وأن الله تعالى سيحاسب العباد يوم القيامة، ويسألهم عما قدموا من خير أو شر، ويجد الإنسان أعماله وقد أحصيت عليه لا يغيب منها شيء ولو كان مثقال ذرة، وقد حذرنا الله تعالى ذلك اليوم في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾(البقرة آية ٢٨١) [1] .

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى- :"معرفته، إن ربح هذه التجارة، سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب تعالى، فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم؛ فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاحظ لها، يمكن أن يشتري بها كنزاً من الكنوز، لا يتناهى نعيمه أبد الآباد؛ فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسراناً عظيماً لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، كما في قوله تعالى:﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾ (آل عمران آية٣٠)" [2] . واحذروا يوم تجدُ كل نفس عملها من الخير أو الشر حاضراً أمامها، فُتسَرُّ بالأول وتتمنى للثاني أن يكون بعيداً عنها حتى لا تراه، خوفاً من العقاب، وهي مواجهة تأخذ المسالك على القلب البشري، وتحاصره برصيده من الخير والسوء. وتصور له نفسه وهو يواجه هذا الرصيد، ويود - ولكن لات حين مودة! - لو أن بينه وبين السوء الذي عمله أمداً بعيداً أو أن بينه وبين هذا اليوم كله أمداً بعيداً، بينما هو في مواجهته، آخذ بخناقه، ولات حين خلاص، ولات حين فرار! [3] .

ومن الأشياء التي تعين على المحاسبة التفكر في أسئلة يوم القيامة، ليس سؤال المذنبين فقط، فالله تعالى قال : ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ*عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الحجر آية ٩٢-٩٣) قيل: "يُسأل العباد سؤال توبيخ وتقريع عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين" [4] .

---

(1) انظر:سلسلة أعمال القلوب،ص٢٥٧.

(2) إغاثة اللهفان، ج١،ص٩٦-٩٧.

(3) انظر: في ظلال القرآن،ج١،ص٣٨٦.

(4) تفسير أبي السعود،ج٤،ص٣١٥.

وقال تعالى:﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ** ﴾(الأعراف آية ٦)، أي:أن حساب يوم القيامة دقيق وعادل، فيسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلغوا [١] .

وقال تعالى:﴿ **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً**﴾ (الأحزاب آية ٨)، فإذا سُئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟ وسؤال الصادقين عن صدقهم تكريم لهم، وشهادة بأنهم أدَّوْا ما عليهم [٢].

لذلك إذا أراد العبد أن يحاسب نفسه، فليتذكر هذه المشاهد وليتخذ العبرة منها حتى تقوى في نفسه الهمة على المحاسبة.

أنواع محاسبة النفس :

ومحاسبة النفس نوعان نوع قبل العمل ونوع بعد العمل:

أولاً: محاسبة النفس قبل العمل :"إن للنفس إرادة وعزيمة وهَم، فمن أصدق أسماء الإنسان الحارث والهمام، لأن النفس تهم وتحرث، فلها هم ولها عمل، فيبدأ بالمحاسبة على ما هَم به وأراده، وما خطر بباله، فإذن المحاسبة تبدأ من مرحلة الخواطر، والإرادات، والعزائم، وهذه محاسبة قبل العمل" [٣] .

ولذلك يقول الحسن البصري -رحمه الله تعالى- " رحم الله عبداً وقف عند همه يحاسب، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر ولم يعمل العمل" [٤] .

وهذا النوع مهم جدا في إيقاع الأعمال على الإخلاص، وبدون المحاسبة تقع هذه الأعمال بدون إخلاص، فيهلك الإنسان، فهو يعمل تحت قوله تعالى: ﴿**عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ* تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً**﴾(الغاشية آية ٣-٤)، فما استفاد من العمل شيئاً مع أن ظاهره أعمال صالحة لكن ليست لله تعالى [٥] .

ثانياً: محاسبة النفس بعد العمل: وهي على ثلاثة أنواع، أحدها : محاسبتها على طاعة قصرت فيها فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله تعالى ستة أمور، وهي الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول **r** فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود

---

(1) انظر: جامع البيان، ج١٤،ص٦٧.

(2) انظر: تفسير أبي السعود، ج٥،ص٣٩٦.

(3) سلسلة أعمال القلوب، ص٢٧٠.

(4) إغاثة اللهفان،ج٢،ص٩٨.

(5) انظر:سلسلة أعمال القلوب، ص٢٧٠.

منة الله تعالى عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله، فيحاسب نفسه: هل وفّى هذه المقامات حقها ؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحا، أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر (١) .

كيف تتم المحاسبة:

الواجب على المؤمن أن يكون محاسباً لنفسه دائماً قبل أن يقول قولاً أو يفعل فعلاً، وبعد أن يقول أو يفعل، هذا هو الأصل في المحاسبة: أن تكون مصاحبة للمؤمن ما دام حيا، وهذا من علامات توفيق الله تعالى لعبده، فمحاسبة النفس هي عماد اليقظة قبل العمل وبعده، يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- : "وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض، فإذا تذكر فيها نقصاً تدارك، إما بقضاء أو بإصلاح، ثم يحاسبها على المناهي: فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت به رجلاه، أو بطشت به يداه، أو سمعت أذناه : ماذا أردت بهذا؟ ولم فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟" (٢) .

وهكذا يتبين أن محاسبة النفس طريق الخلاص، ولا يحصل الصلاح إلا بها، عليها تدور السعادة، وبها تكون النجاة في الدنيا والآخرة، لذلك كانت محاسبة النفس جزءاً من تزكية النفس وهذه المحاسبة دليل حياة هذه النفس، دليل أنها نفس يقظة، وليست نفساً نائمة، فهي نفس لوامة وليست نوامة، وإذا أهمل الإنسان نفسه ولم يحاسبها فقد ضيع نفسه؛ لأنه في هذه الحالة لم يحرص على خير يقوم به، ولم يمتنع من شر يفعله، فسيسير في ركاب الشيطان والعياذ بالله تعالى؛ لأن الشيطان سيوسوس له، ذلك قوله تعالى: ﴿ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾(الناس آية ٤-٥) والذي يقف ضد هذه النفس هي النفس المحاسبة، النفس الحية التي تراقب صاحبها وتحاسبه وتؤنبه وتعاقبه قبل عقاب الله تعالى في الآخرة.

---

(1)انظر: إغاثة اللهفان،ج١،ص٩٨-٩٩ .

(2) المرجع السابق،ج١،ص٩٩.

المبحث الثالث

التغيير من وحي القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : قاعدة القرآن الكريم في التغيير النفسي.

المطلب الثاني: كيفية التغيير.

المطلب الأول

قاعدة القرآن الكريم في التغيير النفسي

إن لله سبحانه سنناً في الآفاق والأنفس، من أدركها وأحسن التعامل معها وصل إلى مبتغاه، ومن تنكب طريقها وعاندها غلبته، ولذلك أمر الله تعالى عباده بالسير في الأرض للتدبر في سننه التي خلت ليأخذوا منها، ويتعرفوا عليها ويستخدموها في التغيير الإيجابي، ومن ذلك أمره بالسير في آفاق الأرض، ودراسة تاريخ الأمم وأسباب هلاكها وصعودها، قال تعالى: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(آل عمران آية ١٣٧) ومن سنن الله تعالى في خلقه سنة التغيير، التي جعلها الله تعالى العقد الذي ينظم حركة الإنسان فرداً وجماعة، وقد بعث الله تعالى الأنبياء وأرسل الرسل من أجل تغيير حركة التاريخ الإنساني لتكون متوائمة مع سنن الله تعالى، المؤدية إلى خلافة الإنسان في الأرض، وعمارتها بالمعتقدات الصحيحة، والأفكار القويمة، والأعمال السديدة، فقال تعالى:﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**﴾(الإسراء آية ٧٧) وهذه السنن لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾(الرعد آية ١١) وهذه سنة وقاعدة اجتماعية سنها الله تعالى ليسير عليها الكون وتنتظم عليها أسس البنيان، أي أن الله تبارك وتعالى إذا أنعم على قوم بالأمن والعزة والرزق والتمكين في الأرض، فإنه -سبحانه وتعالى - لا يزيل نعمه عنهم، ولا يسلبهم إياها إلا إذا بدلوا أحوالهم، وكفروا بأنعم الله، ونقضوا عهده، وارتكبوا ما حرم عليهم، هذا عهد الله، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فإذا فعلوا ذلك لم يكن لهم عند الله عهد ولا ميثاق، فجرت عليهم سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل، فإذا بالأمن يتحول إلى خوف، والغنى يتبدل إلى فقر، والعزة تؤول إلى ذلة، والتمكين إلى هوان، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، وإنها لحقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سننه، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرفهم؛ وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم [١] .

ومن قواعد التغيير أيضا في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنفال آية ٥٣) يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج٤،ص.٢٠٤٩.

بسبب ذنب ارتكبه، فهذه آلية التغيير في هـذه الحيـاة الدنيـا، يبـدأ الإنسـان بـالتغيير، فيغير الله ما به [١].

والتغيير في اللغة يقع على وجهين أحدهما: تغير صفة الشيء بدون تغير ذاته، كما تقول: غيرت داري، أي إذا أخربتها، وعمرتها عمارة أخرى، فالذات موجودة إلا أنك غيرت الصفة.

والتغيير أيضاً له معنى آخر: وهو التغيير إلى بدل آخر - تغيير الذات- كما تقول غيرت غلامي، غيرت سيارتي ودابتي إذا أتيت بسيارة أخرى، أو بغلام آخر- تغير الذات- فإذن التغيير المطلوب هو تغيير الصفة، وأما تغيير الذات فلا يمكن تغييرها [٢]، قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ**﴾(الانفطار آية ٦-٧-٨) فالله تعالى هو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم فعدله وركبه تركيباً قويماً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، ثم جعله سوياً مستقيماً معتدل القامة، منتصباً في أحسن الهيئات والأشكال، فلا يستطيع أن يغير ذاته، ولكن يستطيع تغيير صفاته، فإذا كانت صفات الإنسان التي يتصف بها صفات قبيحة، فإنه يستطيع أن يغير تلك الصفات القبيحة إلى صفات حسنة، والذي يبدأ التغيير هو الإنسان [٣].

والتغيير غير التطوير، فالتطوير يكون دائماً للأفضل، والتغيير إما أن يكون للأفضل، وإما للأسوأ، وهذا يشمل سنة التغيير من الفساد إلى الصلاح، ومن الصلاح إلى الفساد.

ويبين الله تعالى مزيد فضله ووعده، أنه لا عقاب من دون جريمة، فقال: إن الله لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية، فيزيلهما عنهم، وينتقم منهم إلا بتغيير ما بأنفسهم، بأن يكون منهم الظلم والمعاصي والفساد وارتكاب الشرور والآثام التي تهدم بنية المجتمع، وتدمر كيان الأمم، قال رسول الله ﷺ : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب) [٤] وهذا مؤكد بقوله تعالى:﴿ **وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ**

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٢،ص٤٧٢.

(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن،ص٤١٣.

(3) انظر:تيسير الكريم الرحمن،ص١٠١٣.

(4) سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ،ح رقم ٢١٦٨،ص٤٩٠.

خَآصَّةً﴾(الأنفال آية ٢٥) [١] هذا هو التغيير للأسوأ.

ولكن هناك التغيير للأحسن، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى : "وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة" [٢] .

هذه هي سنة الله في الخلق، لا يتغير حالهم للأحسن أو للأسوأ إلا بأنفسهم وبإرادتهم، وبأعمالهم ومعتقداتهم.

من هنا كانت مسؤولية التغيير كبيرة، وهي مسؤولية جماعية ومسؤولية فردية، فالفرد يبدأ بالتغيير للأسوأ، فإذا وافقه القوم، ولم يأخذوا على يديه، يعمهم الله بالعقاب، قال الدكتور وهبة الزحيلي: "وواقع التاريخ الإسلامي في القرون الماضية يدل دلالة واضحة على أن الله تعالى لم يغير ما كان عليه حال الأمة الإسلامية من عزة ومنعة، ورفاه واستقلال، وعلم وتفوق في السياسة والاقتصاد والاجتماع، إلا بعد أن غيروا ما بأنفسهم، فحكموا بغير القرآن، وأهملوا دينهم وتركوا سنة نبيهم r ، وقلدوا غيرهم، وضعفت روابط التعاون بينهم وساءت أخلاقهم، وانتشرت الموبقات بينهم، وقد وعد الله الأرض لمن يصلحها بقوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ (الأنبياء آية ١٠٥)، أي الصالحون لعمارة الأرض وهم الذين قاموا بما أُمروا به، واجتنبوا ما نُهوا عنه، وهم أمة محمد r " [٣] .

وآيات القرآن الكريم تحدثت كثيراً عن سنة التغيير في المجتمعات إما بشكل واضح كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾(الرعد آية ١١)، وقوله تعالى :﴿ **وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾(آل عمران آية ١٤٠) أو بشكل ضمني كقوله تعالى:﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾(الرحمن آية ٢٩).

وتحدث القرآن عن الأقوام السابقين وتبدل أحوالهم إلى الأسوأ بسبب كفرهم، وهذا ما يُسمى بالتغيير السلبي كما في قوله تعالى :﴿ **وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا**

---

(1) انظر: التفسير المنير،ج١٣،ص١٢٤.

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٣٨.

(3) التفسير المنير:ج١٣،ص١٢٤.

كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(النحل آية١١٢) "فهذه البلدة لم يكن فيها زرع ولا شجر ولا رزق، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها رغداً من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى الخير وإلى أفضل الأمور، وينهاهم عن أسوأ الأمور، فكذبوه، وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم." [1] وذلك قوله تعالى:﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (البقرة آية١١٧) .

وبهذا يتبين معنى التغير الحاصل في النفس، المستوجب لتغير النعمة:

- إنه تغير من الإيمان إلى الجحود والنكران.
- ومن العمل الصالح إلى اكتساب الأيدي للخطايا.

فإذا حصل هذا التغير ابتداء من الإنسان، ثم انتشر إلى الآخرين، حصل التغير في الجماعة والأمة.

وتحدث القرآن الكريم كذلك عن التغيير الإيجابي عندما ينجي المؤمنين والرسل ويورثهم الأرض، ويمكن لهم فيها بعد مراحل الضعف والخوف والفقر [2] كما في قوله تعالى:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾(النور آية٥٥) "هذا وعد من الله r بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنّهم بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة، فإنه لم يمت رسول الله r حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية - وهو المقوقس - وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة" [3] .

وقال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف آية٩٦).

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٨١.

(2) انظر: منهج التغيير الإسلامي،نافذ سليمان الجعب ، ص٢ .

(3) تفسير القرآن العظيم،ج٣،ص٤٩٢.

فالشروط المذكورة في هذه النصوص للتغيير من حال النقمة إلى حال النعمة هي: الإيمان والتقوى والعمل الصالح وعبادة الله وحده لا شريك له.

وبهذا يصلح الإنسان كله والجماعة والأمة، وتستحق وعد الله تعالى: بالاستخلاف، والتمكين والأمن والبركات من السماء والأرض، وبهذه الأمور يتحقق: العدل والأمن والكفاية والصلاح، فالنظام القرآني وسيلة لتغيير ما في النفس، ليس نفس الفرد الواحد فحسب، بل الحاكم والجماعة والأمة؛ أي استصلاح للجميع، ليكونوا أخيارا، ليحصل تغير الأحوال من النقمة إلى النعمة، وهذا التغير هو تغيير ما بالنفوس، فالحل القرآني نشاطه يبدأ من تغيير النفس بالإصلاح والتزكية، ليمتد بعده إلى كافة النشاطات، بما فيها السياسي.

فإنه لما كان هذا هو هدف القرآن، كانت الأمة الآخذة بهذا الطريق مرحومة في نفسها، وفيما بينها، ينتشر فيها العدل والأمن والكفاية والصلاح، وهذا تاريخ الخلافة الراشدة شاهد.

لكن لما كان هدف الأمة ليس إصلاح النفس، كانت الأمة في أمر مريج، من اللغط، والخلاف والخلط، وفيها من الفساد والظلم ما لا ينكره أحد؛ لأن الإصلاح لم يتجه إلى الجذر والأصل، بل إلى الفرع.

فالمتبعون للحل القرآني، يقومون بما عليهم من التحقق بالشروط، وعنده ينتهي دورهم، ثم يأتي دور الثواب الإلهي، ومنه تغيير الحال إلى النعمة والرحمة، فقد يأتي سريعاً، وقد يتأخر لحكمة إلهية؛ امتحاناً أو لخلل في الشروط، كما في هزيمة أحد:

- ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران آية ١٦٥) فهذا التأخر ليس إخلافا، لكن إعلاماً للأمة والجماعة المؤمنة: أن مهتمهم تنتهي عند تحقيق الشروط، أما النتيجة فأمرها إلى الله تعالى، هو أعلم بوقتها، فربما تذهب الجماعة والأمة لمّا تر الثمرة، فما على المسلمين إذن إلا تحقيق ما أمروا به، ثم يترك الباقي عند الذي له الرحمة الواسعة، والحكمة البالغة.

والقرآن الكريم يؤمن بحتمية التغيير، ويميز بين تغيير إيجابي وتغيير سلبي، ويعتبر أن كليهما يخضعان لسنن كونية تحكم مسيرة المجتمعات، وعلى الإنسانية أن تكتشفها وتسخرها لصالحها، ولم يكتف برسم النظريات لكنه جعل من النظرية تطبيقا عملياً في أرض الواقع، [1] وهذا سوف تتحدث عنه الباحثة في المطلب الثاني من هذا المبحث.

---

(1) انظر: منهج التغيير الإسلامي، ص٢٥.

فقول الله تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(الرعد آية ١١) هذه الآية تعكس قاعدة نفسية؛ لأنها تتعامل مع النفس، فالتهيؤ النفسي كما هو واضح في الآية يعتبر البداية، لكن مفتاح التغيير هو الوعي، فالوعي يغير من نمط التفكير وهذا ينعكس على السلوك لإحداث التغيير.

وهذه الآية الكريمة تشكل قاعدة عامة على صعيد المجتمع، مفادها - كما هو واضح - أن التغيير النفسي هو الأساس في حركة الأمة، أو إن التكوين الفكري والنفسي للإنسان هو الذي يموّن التاريخ بالحركة ونوع هذه الحركة، وأن أي انقلاب اجتماعي أو تاريخي في حياة الأمم إنما يترتب على انقلاب فكري نفسي داخلي، ولا بد أن يحدث تغيير معنوي بتغيير الأفكار والمفاهيم والاتجاهات النفسية.

ويتبين من خلال ما سبق أن القاعدة الإلهية في تغيير الواقع وتحسين الظروف المادية، التي يعيشها الناس من رخاء وأمن وصحة وتمكين ونصر وغير ذلك، كلها لا تحدث إلا إذا أحسن الناس إيمانهم وإسلامهم وعبوديتهم لله عز وجل، ولهذا فإن التغيير النفسي الحقيقي هو الذي يتجه إلى تغيير تدين الناس، وتزكية أخلاقهم، وإحسان صلتهم بربهم، وهذا أولى الأولويات، وما يكون من اهتمام بتنمية حياة الناس المادية، فهو أمر مصاحب لتزكية النفوس وإصلاح القلوب، عملاً بقول الله تعالى:﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ* وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ (البقرة آية٢٠٠-٢٠٢). وإنه لجدير بالدعاة إلى الله في هذا الزمان، وفي كل زمان أن يقفوا طويلاً عند هذه السنة؛ فهي الأساس المهم، والمنهج الصحيح للدعوة والتغيير، بل هي أم السنن الربانية في البناء والتغيير.

المطلب الثاني

كيفية التغيير

العناية بالفرد والأسرة من أهم وسائل تغيير المجتمع، ذلك أن الفرد والأسرة هما القاعدة الأولى، والعصب الأساسي في بناء المجتمع، فإذا صلح الفرد والأسرة، صلح المجتمع، وما المجتمع في الحقيقة إلا مجموعة من الأسر التي هي بدورها مجموعة من الأفراد.

فإصلاح الفرد والأسرة وسيلة أساسية، ومرحلة ضرورية لإصلاح المجتمع لا يجوز إطلاقا تجاوزها، أو الاستغناء عنها.

وإصلاح الفرد والأسرة غاية في ذاته ووسيلة إلى غيره، فهو غاية في ذاته؛ إذ إن مبادئ القرآن وتعاليمه وتكاليفه تهدف إلى إصلاح الفرد، وبالتالي إصلاح الأسرة، ثم تجعل من ذلك وسيلة لإصلاح المجتمع الذي يتكون من الفرد والأسرة.

أولاً تغيير الفرد:

الفرد هو اللبنة التي يتكون منها البناء الاجتماعي كله، فهو خلية في جسد المجتمع الكبير وسلامة الجسد منوطة بسلامة خلاياه، ولهذا اشتدت عناية القرآن بالفرد في كل مراحل حياته، ولم يبخل عليه بالتشريع والتوجيه،لأنه أساس الأسرة والمجتمع [(١)].

فإذا صلح الأفراد صلحت الأسر، وإذا صلحت الأسر صلحت الجماعات والأمم.

"ومثل المجتمع البشري كمثل البنيان المرصوص، ومثل الأفراد فيه كمثل اللبنات للبنيان، فإذا كانت اللبنات قوية متينة وكانت المادة التي تربط بينها قوية الربط والإحكام، قام منها بناء قوي مكين، فالعمل الأول من البناء يجب أن يتجه إلى اللبنات وإعدادها." [(٢)]

وصلاح الفرد له أهميته القصوى في الإسلام، وله شأنه الكبير في صلاح المجتمع، والأمة القوية تتأثر بقيمة الفرد في المجتمع، ومن الخطأ البالغ إهمال هذا الفرد وعدم الاعتناء به. وهو تغيير مهم، لأن الفرد إن لم يتغير تغيراً حقيقياً داخليا، سار مع الجماعة سير الغنمة مع القطيع، وأصبح عبئاً على القوم، قال تعالى:﴿ **لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾(التوبة آية ٤٧)، أي لم يزيدوكم بخروجهم إلا فسادًا وضرًّا، ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين،(يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) أي هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم، فالفرد الفاسد يمثل عبئاً على الجماعة، ويحدث إرجافاً وشقاً للصفوف ويكون نواة لتجميع المرجفين والجاهلين والمفسدين والمحبطين، فيحدث تصدعاً في الجبهة الداخلية [(٣)] .

---

(1) انظر:منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، ص٣٤١ .

(2) الإيمان والحياة، ص٢٠١.

(3) انظر، تيسير الكريم الرحمن،ص١٩٤.

فإذا أراد الفرد أن يكون صالحاً فليصلح نفسه، وإن أرادت مجموعة أن تكون صالحة، فلتصلح نفسها، وإن أرادت أمة أن تكون صالحة قوية، فلتبدأ بالنفوس تصلحها، يقول تعالى في ذلك: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (الشمس آية٧-٨)، ثم يرتب النتيجة فيقول:﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ (الشمس آية٩-١٠).

ويقول- تعالى- في صلاح الأمة وفسادها:﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(الرعد آية ١١) ويؤكد ذلك بقوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنفال آية ٥٣) فصلاح النفوس هو صلاح الأمة، وتغيير النفوس هو تغيير الأمة، لهذا جاء القرآن يقرر هذا المعنى [1].

ويتبين من ذلك أن حجر الزاوية في منهج التغيير "هو إصلاح النفس، وهو الأداة، وعلى هذه القاعدة جاء القرآن الكريم، فعني بالنفس الإنسانية، يصلحها ويحببها في الحق والعدل والجمال، ويبغض إليها القبح والشر والباطل، حتى تكون نفسا فاضلة خيرة" [2] .

"لهذا كان كل بناء أو إصلاح أو تغيير اجتماعي، لا يقوم على إصلاح الأنفس وإيقاظ الضمائر، وتربية الأخلاق، أشبه ببناء على كثبان من الرمال" [3] .

"وكما أن العضو الواحد في الجسم إذا فسد كان الجسم كله عرضة للتلف وهدفاً للهلاك، فكذلك الأفراد في المجتمعات.

وقد وضع القرآن لإصلاح الفرد ركيزتين مهمتين هما: العقيدة والعبادة.

للعقيدة القوية المتينة دور كبير في إصلاح الفرد وتزكيته، والعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي وضعه القرآن لتكوين الفرد المسلم، وهي القوة الدافعة للحياة، ومنها يستمد المسلم طاقته، وبها يحدد طريقه وغايته" [4] .

فلقد نزل القرآن الكريم لتغيير أفكار الناس واتجاهاتهم وسلوكهم، ولهدايتهم، وتغيير ما بهم من ضلالة وجهل، وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم، ومدهم بأفكار جديدة عن طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة، وبقيم وأخلاق جديدة، ومثلٍ عليا للحياة، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى :"إن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ آثاره في حياة الجماعة الواقعية،

---

(1) انظر:حديث الثلاثاء، الإمام حسن البنا،٣٣١.

(2) المرجع السابق، ص٤٠٢.

(3) الإيمان والحياة، ص٢٠٢ .

(4) منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ص٣٤١.

ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والشعائر التعبدية، وتصحيح العقيدة ينشئ آثاره الطيبـــة فـــي صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها" [١] .

وقد نجح القرآن نجاحاً عظيماً في التأثير في شخصيات الناس، وفي تغييرها تغييـــراً كبيراً كانت له نتائج بعيدة الأثر في وضع أسس جديدة لنظام حياة الإنسان الشخصية، ولنظام العلاقات الإنسانية سواء في داخل الأسرة، أو في المجتمع عامة، نجح القرآن نجاحاً لا نظير له في جميع عصور التاريخ في إحداث تغييرات عظيمة الأثر في شخصيات المسلمين وفـــي المجتمع الإسلامي، فقد نجح القرآن - في فترة وجيزة من الزمن- في تكـــوين الشخـــصية الإنسانية المتكاملة المتزنة الآمنة المطمئنة التي استطاعت بطاقتها الجبارة، التي تولدت عـــن هذا التغير الذي حدث فيها، أن تهز العالم وتغير مجرى التاريخ، فكيف استطاع القـــرآن أن يعالج نفوس العرب؟ وأن يغير شخصياتهم؟

***طريقة القرآن الكريم في إصلاح نفوس الأفراد:**

تعتمد طريقة القرآن في إصلاح نفوس الأفراد على أمرين وهما:

١ - الإيمان بعقيدة التوحيد:

فأول شيء أراد القرآن أن يغيره في نفوس العرب هو العقيدة؛ ولـــذلك فـــإن آيـــات القرآن التي نزلت بمكة في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية كانت تهدف أساســـاً إلـــى تأكيد عقيدة التوحيد، وكان أسلوب القرآن الفائق في بلاغته بما لم يعهد العرب بمثلـــه مـــن قبل، واستدلالاته العقلية المقنعة فيما يعرض من القضايا والأحكام، وما جاء فيه من قصص وأمثال توضح المعاني، وتبسطها وتقربها إلى الأذهان، وتثيـــر فـــي المـــستمعين الاهتمـــام والانتباه وما استخدمه القرآن من أساليب الترغيب والترهيب لإثـــارة الـــدافع إلـــى الـــتعلم، وتكرار بعض المعاني لتأكيدها في الأذهان، كل ذلك كان له أكبر الأثر في تقبل الناس للدين الجديد، وفي إيمانهم بعقيدة التوحيد وقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولـــى فـــي إحداث تغيير كبير في الشخصية فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عـــن ذاته، ويملأ قلبه بالحب لله تعالى وللرسول r وللناس من حوله، وللإنسانية عامة [٢].

فإن الأمم لا تنهض من كبوة، ولا تقوى من ضعف، ولا ترتقي من هبوط، إلا عنـــد تربية أصيلة حقه أو بعد تغيير نفسي عميق الجذور، يحول الجمود فيها إلى حركة، والغفـــوة إلى صحوة، والموت إلى حياة، تغيير في عالم النفس، تغيير نفسي لا بـــد أن يـــصاحب كـــل

---

(1) في ظلال القرآن ،ج٤، ص٢٢٢٣.

(2) انظر:القرآن وعلم النفس، ص٢٥٢- ٢٥٤.

حركة أو نهضة أو ثورة سياسية أو اجتماعية ومن غيره تكون النهضة أو الثورة كلاماً أجوف يتبدد في الهواء، سنة قائمة من سنن الله تعالى في الكون، قررها القرآن الكريم في عبارة وجيزة بليغة في قوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(الرعد آية ١١)، ولكن هذا التغيير أمر ليس بالهين اليسير، إنه عبء ثقيل تنوء به الكواهل، فإن الإنسان مخلوق مركب معقد، ومن أصعب الصعب تغيير نفسه أو قلبه أو فكره، فصنع هذا الإنسان أمر عسير غير يسير.

ولكن الإيمان كان له الأثر الكبير الذي لا يُنكر في تغيير النفوس تغييراً تاما، وينشئها خلقاً آخر، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، وهي منثورة على مدى التاريخ وفيها الدلالة الأكيدة على أن الإيمان مفتاح القلوب، وعلاج الأرواح، ومن النماذج على ذلك سحرة فرعون كيف تغيرت شخصياتهم هذا التغيير، وكيف تحولت نفوسهم هذا التحول، لقد كانت همتهم مشدودة إلى المال، ويصور القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾(الشعراء آية ٤١)، وكانت آمالهم متعلقة بفرعون قال تعالى:﴿**فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ**﴾(الشعراء آية ٤٤) كان هذا منطقهم قبل أن يؤمنوا، فلما ذاقوا حلاوة الإيمان، واطمأنت نفوسهم وانشرحت به صدورهم كان جوابهم لفرعون بعد أن بالغ في تهديدهم ﴿ **قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾(طه آية ٧٢) ويعلق ابن عباس- رضي الله عنهما- على هذا الموقف العجيب، والتحول المذهل من سحرة فرعون، فيقول" أصبحوا سحرة، وأضحوا مؤمنين، وأمسوا شهداء" (1) لقد تغير الاتجاه، تغير المنطق، تغير السلوك، تغيرت الألفاظ، أصبح القوم غير القوم، وما ذلك إلا من صنع الإيمان.

لقد حار المؤرخون من الغربيين والمستغربين في فهم السر العجيب الذي حول هذه الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم، ومن قبائل بداوة إلى أمة حضارة، وهيأ لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتح لها باب السيادة على معظم الدنيا القديمة في عشرات من السنين لا عشرات من القرون.

ولكن العارفين لا يدهشون ولا يحارون، فالسر معروف، والسبب معلوم، فإن مرده هو الإيمان الذي صبه محمد ﷺ في نفوس أصحابه، فنقلهم من حال إلى حال، من وثنية إلى توحيد، ومن جاهلية إلى إسلام، فالعقيدة الإسلامية هي الدافع الذي لا يشبهه دافع آخر في تسيير دفة الحياة البشرية، ولكنها لا تدفع إلا من يعتنقها ويقبل عليها ويعزم على تطبيقها

(1) الدر المنثور، ج٣، ص٥١٥.

في واقع حياته [1] .

٢ - العبادة:

وقد تحدثت الباحثة عن تأثيرها في تهذيب النفس وبالتالي إمكانية تأثيرها في تغيير الإنسان إلى الأفضل [2] .

وهكذا ترى قدرة القرآن الكريم في اتخاذ أقوى الوسائل لتزكية الفرد وتغييره، من خلال التمسك بالعقيدة، والعبادة، اللتين يبلغ الفرد المسلم بهما قمة الهداية والرشاد، ليصبح فرداً صالحا، وعضوا فاعلاً لأهله ولأمته، وبذلك يصنع القرآن اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ويخطو الخطوة الأولى التي لا بد منها لبناء مجتمع سليم على أساس متين.

وبهذا يتضح الطريق الأمثل للتغيير، إنه طريق واحد يتوجب على الأمة الإسلامية أن تسلكه،إنه طريق الإيمان.

ثانيا : تغيير الأسرة:

عني المنهج القرآني بالحديث عن الأسرة عناية بالغة؛ إذ إنها أخطر وحدة اجتماعية في بناء الأمة، وأهم لبنة في بناء المجتمع المسلم.

"والأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر الحياة، وتتعامل مع الحياة" [3] .

"لذلك عمل الإسلام جاهداً على أن تكون البيئة التي ينشأ فيها الفرد بيئة تقية نقية تصان فيها الحقوق، وتتحقق فيها الفضائل.

ولقد كان وضع الأسرة قبل الإسلام وضعاً مشيناً،لا قيمة فيه للمرأة، ولا مكانة فيه للوالدين، ولا عناية فيه بالأبناء، وليس هناك إلا القهر والاستبداد من جانب الرجل.

فجاء الإسلام بمبادئه السامية، وتوجيهاته الراشدة، فانتشل الأسرة من حضيض العدم، وارتفع بها إلى القمة السامقة، وأعطى لكل ذي حق حقه، ووضع الأسرة في مكانتها التي تليق بها في الحياة.

---

(1) انظر: الإيمان والحياة، ص.٣١٢وما بعدها.

(2) انظر :ص١٨٢من هذه الرسالة.

(3) في ظلال القرآن،ج١، ص٢٣٥.

وقد عاشت الأسرة الإسلامية قوية سعيدة هانئة مستقرة حينما ترسمت مبادئ الإسلام، ووضعته من نفوسها موضع التقدير، ومن سلوكها موضع التنفيذ، ونشأت في كنفها أجيال من الرجال في كل الميادين، وكانت تلك المبادئ تقوم في نفوس المؤمنين بها مقام القانون، فكان الأب يعرف مكانه من ابنه، وكان الابن يعرف حدوده من أبيه، وكانت الزوجة تعترف بقوامة الرجل، وكان الرجل يؤدي حقوق المرأة، وكانت تسود الأسر والبيوت روح المحبة والسعادة" [(١)] .

وتم ذلك من خلال العلاقة السليمة بين الزوجين، ومن ثم رعاية الأبناء رعاية قائمة على منهج الله تعالى ثم بر الوالدين.

وقد عني القرآن الكريم بالعلاقة الزوجية عناية بالغة فهي عصب الأسرة التي يترتب عليها نجاح الحياة الزوجية والأسرية أو فشلها.

وقد صور القرآن الكريم العلاقة الزوجية تصويراً يشع منه العطف، ويفوح منه العبير، ويشيع فيه الندى، فقال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(الروم آية ٢١)، أي " من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة، وهي المحبة، ورحمة، وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك." [(٢)]

ولأهمية الزواج البالغة وضرورته الملحة لإقامة الحياة السعيدة، فإن القرآن حث عليه ورغب فيه، حيث قال تعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(النور آية ٣٢) .

وقال ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) [(٣)] .

وأوجب الله سبحانه المعاشرة بالمعروف، وبين أنها من أهم حقوق المرأة على الرجل وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً**

---

(1) منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ص٣٥١-٣٥٢.

(2) تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص٦٨٢.

(3) صحيح مسلم،كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه،ح رقم ٣٢٨٨،ص٦٥١.

وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾(النساء آية ١٩) "فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال" [١].

وأوجب أيضاً التسريح بالإحسان إذا فشلت الحياة الزوجية، ووصلت إلى طريق مسدود، ففي هذه الحالة يلجأ إلى الدواء المر الذي لا مفر منه حفاظاً على الأسرة من أذى قد يطول ويتضاعف، وذلك قوله تعالى: ﴿ **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً ...**﴾(البقرة آية ٢٢٩)، أي الإمساك بالرجعة وحسن المعاشرة، أو إطلاق مصاحب له من جبر الخاطر وأداء الحقوق" [٢] .

" وقد عمل القرآن جاهداً على أن يسود المعروف والجميل والحسنى جو الحياة الأسرية، سواء اتصلت حبالها، أو انفصمت عراها" [٣] .

وقد عنى القرآن الكريم برعاية الأبناء، وطالب الوالدين بالمحافظة عليهم، وتربيتهم التربية السليمة القائمة على منهج القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾(التحريم آية ٦) "ووقاية النفس عن النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، ووقاية الأهل بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب" [٤].

وأمرهم الله تعالى بحسن تربيتهم، وذلك بغرس العقيدة في نفوسهم، وتدريبهم على العبادات والأخلاق الكريمة، وذلك قوله تعالى:﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ (طه آية ١٣٢).

"فالأبناء قطعة من الآباء والأمهات، فلا يضحي أحدهم بجزء منه، ويدعه يذهب إلى النار، وأنه آية على أدبه وخلقه، فلا يجعل هذه الآية سيئة المنظر والمخبر ذكر بعد موته، فلا يترك بعد موته إلا أحسن وأفضل الذكريات، وأنه إن صلح كان رحمة له، وخيراً وبركة

---

(1) تيسير الكريم الرحمن،ص٨٠.

(2) روح المعاني، ج٢،ص٢٠٤.

(3) في ظلال القرآن،ج١،ص٢٥٠.

(4) روح المعاني،ج٢٨،ص٢٣٢.

عليه وسعادة في الدنيا والآخرة [١]" يقول الرسول r : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث،إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [٢] .

"ومن أهم الحقوق التي عني بها القرآن حقوق الوالدين، وبرهما، وحسن الصلة بهما، لأن الوالدين نواة الأسرة، والأسرة نواة المجتمع، ومن المجتمعات تتكون الأمة بأسرها، فإذا كانت الأسرة قوية، تتراحم فيما بينها وتتعاطف، كان المجتمع قوياً، متماسكاً، متراحماً، وإذا تفككت الأسرة ودب بينها النزاع والخلاف، واستحكمت العداوة والبغضاء، وجدت آثاره بوضوح في المجتمع ككل، ولذلك عني القرآن بالوالدين وحقوقهما، وبين قدرهما " [٣] وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ (الإسراء آية ٢٣-٢٤) .

والمتتبع لكتاب الله تعالى يجد أن الله تعالى قرن - في كثير من الآيات - الأمر بعبادته بالإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ (النساء آية ٣٦).

ويجد كذلك أن الله تعالى حينما طلب من عبده أن يشكره على نعمه، وفضله وإحسانه، لم يطلب الشكر لذاته فقط، بل قرنه بالشكر للوالدين، فقال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ (لقمان آية ١٤).

وبهذا كان القرآن الكريم وما يزال يرتفع في سموه، ومبادئه بالوالدين لدرجة أن جعل البر بالوالدين عبادة يتقرب العبد بها إلى ربه، ولا يكون العبد ناجياً يوم القيامة إلا إذا كان باراً بهما طائعاً لهما في دنياه [٤] .

وهكذا ترى حرص القرآن الكريم الشديد، وعنايته البالغة بتغيير وإصلاح الفرد والأسرة، وصولاً بذلك إلى تغيير وإصلاح المجتمع.

---

(1) طريق النجاة، محمد عبد الفتاح عفيفي،ص٢١٦.

(2) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ،ح رقم ٤١١٤،ص٨٠٧.

(3) طريق النجاة، ص٢٠٢.

(4) انظر: المرجع السابق، ص٢٠٣.

ثالثا : تغيير المجتمع:

ومع التغيير الفردي يتم التغيير الجماعي حتى تتجمع الأمة حول مشروعها القومي وأهدافها العليا، وتدفع قاطرة التطوير والتغيير الإيجابي للأمام بقوة جماعية، هذه هي فلسفة التغيير في القرآن.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾(الرعد آية ١١) ما يدل على أن هــذه السنة اجتماعيــة لا سنة فردية، بمعنى أن كلمة (قوم) تعني الجمع أو الجماعة التي يطلق عليها "أمة" أو "مجتمــع"، ولا تعنــي فرداً معيناً، بدليل أن الله تعالى لم يقل (إن الله لا يغير ما بإنسان) ، ولا ما يدل علــى شخص فــرد، ســواء كــان رجلاً أو امرأة، مؤمناً أو كافرا، وإنما الحديث عن مجتمع،عن قوم، بكل خصائصه ومميزاتــه، بكل محتويات القوم أو المجتمع المعين أو الأمة، فهناك أمور في المجتمع لا بد من تغييــرها، حتى ينال الفرد نصيبه من هذا التغيير [١] .

والتغيير الذي ينشده كل مؤمن تغيير علمي، وتقني تعليمي تربوي أخلاقي، وفق منهاج الله، وبضوابط شرع الله، وهذا ما فعله المصطفى **r** مع صحابته، وما فعله صحابته بعد وفاته **r** حيث حاربوا المرتدين ونشروا الدين وعمروا الكون بنواميس الله في الخلق وفق منهاج الله فأسسوا حضارة علمية خلقية يتيه بها الزمان، والمكان ويسعد بها الإنسان، وعندما تغير المسلمون وفق منهاج أعداء الله من الأوروبيين المستعمرين غير الله عليهم وأصبحوا في ذيل العالم، وانتقلوا من القاطرة الأمامية إلى السيارات الخلفية المعدة للنفايات والحيوانات، ونقل المهملات.

ويتبين مما سبق أن تغيير المجتمع لا يكون إلا بتغيير الفرد والأســرة، والله ســبحانه سيغير ما بالقوم حتماً إن هم غيروا ما بأنفسهم، سنة الله تعالى: ﴿**فَهَــلْ يَنظُــرُونَ إِلا سُــنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ (فاطر آية ٤٣).

وما أحوج المسلمين اليوم إلى الرجوع لمنهج القرآن الكريم في تغيير الفرد والأسرة والمجتمــع، لا سيما بعد أن أعلنت المناهج البشرية إفلاسها، وأثبتت فشلها في إسعاد الفــرد أو بناء الأسرة أو تغيير المجتمع إلى الأفضل، فالمسلمون إذن عليهم واجب فردي، وواجــب جماعي أن يسعوا للوصول إلى القاطرة الأمامية وقيادة العالم، كما قادوه قروناً عــدة وفــق منهاج الله، وبنواميس الله في الخلق.

---

(1) انظر: حتى يغيروا ما بأنفسهم،ص٣٨.

هذه بعض الوسائل والطرق التي دل عليها كتاب الله تعالى في آياته الكريمة لتغيير الفرد والمجتمع، فيوم أن تأخذ الأمة بها، بصدق وإخلاص، وجد واجتهاد، وتصحو من غفوتها، التي طال عليها الزمن مع حسن التوكل على الله تعالى، فإن تغيير المجتمع يومئذ سيكون قريباً، والنصر قريباً بإذنه تعالى.

الخاتمة

الحمد لله الذي مكنني من إتمام هذا البحث رغم الأوضاع الصعبة التـــي مـــر بهـــا قطاعنا الحبيب، ولقد كنت في أثناء إعداد هذا البحث أشعر دائماً بتوفيق الله سبحانه وتعـــالى، فأتوجه بالشكر له سبحانه أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، فمن يتوكل علـــى الله فهـــو حسبه وكافيه وناصره، وأسأل الله سبحانه القبول، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم .

وبعد فهذه أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي خلُصت إليها:

أولاً : النتائج :

١- جاء ذكر النفس في القرآن الكريم مائتين وبضع وتسعين مرة في ثلاث وستين سورة في القرآن الكريم .

٢- ورد ذكر النفس في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وتعددت معانيهـــا بحـــسب ســـياق الآيات الكريمة الواردة فيها، إلا أن لهذه الكلمة في القرآن معنيين رئيسين تتفرع عنهمـــا سائر المعاني الأخرى .

المعنى الأول : بمعنى الإنسان جوانبه العقلية والنفسية والجسمية والروحية وهو الذي يقابـــل في القرآن الكريم (الآفاق) .

المعنى الثاني : النفس بمعنى الروح التي تسكن هذا الجسم وتوجهه، فإذا فارقتـــه حـــل بهـــا الموت.

٣- الصحة النفسية أمنية غالية ينشدها جميع الناس أغنياء وفقراء ، رجالاً ونساءً ، فمن شعر بها فهو في عيشة راضية، ومن فقدها أو انحرف عنها فهو فـــي عيـــشة ضـــنكى؛ لأن الشعور بالصحة النفسية يعني السعادة، والشعور بعدمها يعني التعاسة .

٤- تربية النفس وتهذيبها يؤدي إلى ترقي النفس من درجة إلى درجة، ومن منزلة إلى أخرى إلى أن يصل لدرجة يحبها الله تعالى ويرضى عنها .

٥- تشمل كل آية قرآنية تربية نفسية وروحية وعقلية وتطبيقية وتمرينية وتعويدية حَرِيـــة أن تعود الإنسان على أن يُمرن حواسه على الملاحظة والمشاهدة لما في الكون من مفـــاتن ومباهج كلها للإنسان منافع .

٦- الأمراض النفسية مثل غيرها من الأمراض ولا شك، وهي نوع مـــن الهـــم والابـــتلاء، والإيمان بالله تعالى إذا ثبت في نفس الإنسان فإنه يكسبه مناعة ووقايـــة مـــن الإصـــابة

بالأمراض النفسية، وقد بين القرءان ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن في قوله تعالى:﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(الرعد آية ٢٨) .

٧- إن صلة الإنسان بربه وتربيته على أساس من العقيدة السليمة واليقين الراسخ هي أهم جوانب التربية الروحية وأشدها خطراً وأعمقها أثراً في تكوين شخصية الإنسان المؤمن وهي أعظم قوة دافعة للعمل بما أمر الله به، والابتعاد عما نهى عنه، وهي أكبر قوة تصنع الخير في حياة المسلم وتطهر قلبه، وتسمو به إلى معارج الكمال، وتشعره أن الدنيا دار انتقال من حياة قصيرة فانية إلى حياة باقية سعيدة .

ثانياً : التوصيات :

على ضوء النتائج التي توصلت إليها الباحثة توصي بما يلي :

١- إن النفس الإنسانية من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة والاستقصاء، فعلى الباحثين استخلاص نظرية شاملة عن النفس الإنسانية لنعرف كيف تكون في صحتها ومرضها واستوائها وانحرافها، ونستثمر هذه المعرفة في معالجة هذه النفس على أساس سليم .

٢- ضرورة عمل سلسلة من الندوات تتعرض للآفات النفسية وماهيتها وآثارها الصحية والنفسية .

٣- ضرورة عناية علماء المسلمين بمبدأ الوقاية خير من العلاج وعمل برامج لذلك، تساعد في حل كثير من المشكلات النفسية كالقلق والاكتئاب والخوف والرعب واللامبالاة .

وبهذا أكون قد أنهيت بحثي مقرةً بضعفي وعدم إحاطتي، وأسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله قبولاً حسناً .

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
ثالثاً : فهرس الأعلام .
رابعاً : فهرس المصادر والمراجع .
خامساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾	١٩٧	١٨٨
﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ* وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٢٠٠-٢٠٢	٢١٠
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾	٢٠٤-٢٠٦	٩٨-١٤٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٢١٨	١٣١
﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	١٧٣
﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾	٢٢٩	٢١٧
﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾	٢٣٣	٢١
﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾	٢٣٥	٨٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾	٢٥٤	٩٦
﴿أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾	٢٥٨	٩٦
﴿وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾	٢٦٠	٤٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾	٢٦٤	١٤٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	١٦٨

الصفحة	رقمها	الآية
٧٩-٢٠١	٢٨١	﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾
٣١	٢٨٣	﴿لاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾
		آل عمران
١٧٦	١٤	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾
٢٢	٢٨	﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾
٧٧-٨٠-٢٠١	٣٠	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾
١٧٧	٣١	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
١٧٧	٣٢	﴿فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾
١٥٦	٣٩	﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾
١٧٦	١٠٣	﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾
١٩١	١٠٤	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٣٣	١٠٦	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾
١٢١	١١٢	﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾
١٢٦	١١٨	﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٥٩	١١٩	﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾
١٥٧	١٣٤	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٠٥	١٣٧	﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ﴾
٢٠٧-١٩٤	١٤٣-١٤٠	﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ* أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ* وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾
١٢	١٤٥	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾
١٧١	١٤٨	﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٥٨	١٥١	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾
٨٦	١٥٤	﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾
-١٥١ -٧٩ ٢٠٩	١٦٥	﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٥٠	١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
١٤٢ -١١٦	١٧٥	﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾
٣٣-٣٢ -١٠	١٨٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأُحْضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ﴾	١٢٨	٣٠- ٨٣
﴿كُونُـوا قوَامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلو عَلَى أنفُسَكُم﴾	١٣٥	١٧
﴿وَإِذَا قامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قلِيلاً﴾	١٤٢	١٤٠-١٤٢
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْـهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ﴾	١٧١	٣٤
المائدة		
﴿نحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾	١٨	١١٢
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١٢٧
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٣٠	٢٤- ٤١
﴿أَنَهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾	٣٢	١٥
﴿جَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣٥	١٩١
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٥	٢١
﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾	٥٢	٨٤
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	١٧٦
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾	٨٢	٦٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٩٤	١٧٠
﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾	١١٦	١٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾	١١٩	٥٠
﴿رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾	١١٩	١٧٦
الأنعام		
﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾	٧٠	١٢٩
﴿وكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ؟﴾	٨١	٥٨
﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	٥٧-٥٨
﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ﴾	٩٣	١٠- ١١- ٢١-٣٤
﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	٩٨	٣٩
﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾	١٠٤	٧٩
﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾	١١٢	١٣٥
﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ﴾	١٥١	١١٩
﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	١٥١	١٦٧
﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	١٦٤	٧٩
الأعراف		
﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	٦	٢٠١
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾	١٢	١٥٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٥-٥٦	١٦٩
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾	٩٦	٢٠٨
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	١٤٦	٩٥- ١٠٠
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾	١٥٠	١٥٤- ١٦٠
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٥١	١٥٩
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٦٧	١٧٨
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	١٧٩	٣٢- ٩٢
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٠٠	٨٦-١٥٦
الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٢	١١٨- ١٧٧- ١٨٤
﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾	٢٥	٢٠٦
﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	٤٧	١٣٨- ١٣٩
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٥٣	٢٠٥-٢١٢
﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾	٥٨	١٤٩
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ﴾	٥٩	١٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾	٣٠	٨٠
﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾	٥٤	٨٠-٨٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٧	٥٢
﴿الْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾	٩٢	٣٣
هود		
﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾	٥٢	١٧١
يوسف		
﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾	٣٠	١٧٧
﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾	٣٢	٢٢
﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥٣	١٥- ٢٤-٤١
﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾	٦٨	٢٤
﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾	٧٧	٨٩
﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ﴾	٧٧	٨٥
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً﴾	٨٣	٤١

الآية	رقمها	الصفحة
الرعد		
﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾	١١	١٧- ٢٣- ٢٠٥- ٢٠٧- ٢١٢-٢١٤
﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	١٥-١٧	١٨٢
﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.﴾	٢٨	١٧- ٤٤- ٥٧-٥٨
﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ﴾	٣٤	١٦٤-١٧١
إبراهيم		
﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾	٤٣	١٢١
الحجر		
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٢٩	٣٤
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾	٤٩-٥٠	١٧٨
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ*عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٢-٩٣	٢٠١
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	٩٧-٩٩	١٨٥ -١٨٢
النحل		
﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	٤	١٠٢
﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا	٥-٦	٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾		
﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾	١٦	١٥٠،٣٦
﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾	٢٣	١٠١
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾	٩٦	١٣٦
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾	٩٧	٨١
﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾	١٠٦	٣١
﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾	١١١	٧٧-٧٦
﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾	١١٢	٢٠٧
﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٧٧
الإسراء		
﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾	١١	١٤٩-١٤٨
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾	٢٤-٢٣	٢١٨
﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾	٢٥	٣٤-٢٣
﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾	٣١	١١٩
﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾	٣٢	١٦٧

الصفحة	رقمها	الآية
١٩٩	٣٦	﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾
١٩٩	٣٧	﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾
٦٤	٤٥-٤٦	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرءانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾
١٩٩	٥٣	﴿قُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾
١٧٩	٥٧	﴿أُولـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾
٢٠٥	٧٧	﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾
٤٥	٨٥	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾
٧٣	١٠٠	﴿وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً﴾
		الكهف
٢٢	٦	﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾
٨٩	٢٨	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾
١٩٨	٢٨	﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾
١٣٤	٣٦	﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾
٧٥	٥٤	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾
١٤٩	٥٨	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ

الآية	رقمها	الصفحة
بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾		
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾	١١٠	١٣٨-١٤٣
مريم		
﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾	٩	٤٧
طه		
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	٣٩	١٧٦
﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾	٤٦	٥٦
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾	٦٧	١١٦
﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	٧٢	٢١٤
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾	٨٢	١٣٢
﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾	٨٣	١٤٧
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾	٨٤	١٤٧
﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾	١١٤	١٤٧
﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾	١٢٣	١٠٨
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾	١٢٤	٤٤
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾	١٣٢	٢١٧
الأنبياء		

الصفحة	رقمها	الآية
١٤٦ -١٤٧ -١٤٨-١٥٠	٣٧	﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُون﴾
١٥٤ -١٥٨	٨٧	﴿وَذَا النُّون إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً﴾
١٧٨	٩٠	﴿إِنَّـهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾
٢٠٧	١٠٥	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُور مِن بَعْدِ الذِّكْر أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُـهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
		الحج
١٨٩ -١٩٠	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾
		المؤمنون
٥٣	١٢-١٦	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾
١٨٤	٤٧	﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾
١٧٨	٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾
١٠٦	٧١	﴿وَلَو اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾
١٣٥	٩٩	﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون﴾
		النور
١٧٤	٢٢	(وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)
١٩٩	٣٠	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾
١٧٣	٣١	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٢	٢١٦
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	٥٥	٢٠٨
﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾	٦١	٢٣
الفرقان		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾	٢١	٩٥
﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾	٥٢	١٩٠
﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾	٦٠	٩٩
﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾	٧١	١٧٣
الشعراء		
﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾	٤١	٢١٤
﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	٤٤	٢١٤
﴿إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٩	٣١-٩٠
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	١٩٣-١٩٤	٣٤
﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢١٥	٩٦-٩٩
النمل		
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾	١٤	١٥-٨٦
القصص		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فوَكَزَهُ مُوسَى فقضَى عَلَيْهِ قالَ هَذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطان﴾	١٥	٤١
﴿قالَ رَبِّ إنِّي قتلتُ مِنْهُمْ نفساً فأخَافُ أن يَقتُلُون﴾	٣٣	٢٢
﴿فإن لَمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ فاعْلمْ أنَّمَا يَتَّبِعُونَ أهْوَاءهُمْ وَمَنْ أضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بغَيْر هُدًى مِّنَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقوْمَ الظَّالِمِين﴾	٥٠	١٠٧
﴿وَقالُوا إن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أرْضِنَا أوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إليْهِ ثمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلكِنَّ أكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٥٧	١٢٠
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأحْسِن كَمَا أحْسَنَ اللَّهُ إليْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأرْضِ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	٧٧	١٣٦
﴿قالَ إنَّمَا أوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾	٧٨	١١٠
﴿فخَرَجَ عَلَى قوْمِهِ فِي زينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُريدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لنَا مِثْلَ مَا أوتِيَ قارُونُ إنَّهُ لذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾	٧٩	٩٦
﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُريدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٨٣	١٠٢
العنكبوت		
﴿وَمَن جَاهَدَ فَإنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إنَّ اللَّهَ لغَنِيٌّ عَنِ الْعَالمِينَ﴾	٦	١٦- ١٩٥
﴿وَإبْرَاهِيمَ إذْ قالَ لِقوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾	١٦	١٨٥
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإنَّ اللَّهَ لمَعَ الْمُحْسِنِين﴾	٦٩	١٨٠- ١٨٩- ١٩٠
الروم		
﴿أوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَأجَلٍ مُسَمًّى وَإنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لكَافِرُونَ﴾	٨	٢٧- ٥٥- ٥٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إذَا أنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ* وَمِنْ	٢٠-٢٣	٢٣-٥٣-

الصفحة	رقمها	الآية
٢٣ - ٨٨	٨	﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾
١١٧	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
٢١٩	٤٣	﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾
١٢٧	٤٣	﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾
		ص
٦٢	٧١-٧٢	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
٩٩	٧٦	﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾
		الزمر
١٦٩	١٥-٢٠	﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ* لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ *وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ* أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ* لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾
٦٦	٢٣	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾
٧١	٤١	﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾
١١- ٣٤-٣٥	٤٢	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
١٦	٥٣	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أن تقُولَ نفْسٌ يَا حَسْرَتَى على مَا فرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾	٥٥	٤٣- ٨٩- ١٩٩
﴿أليْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوًى لِلمُتَكَبِّرينَ﴾	٦٠	١٠١
﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	٦٢	٤٧
غافر		
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	١٩	٢٠٠
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	٣٥	١٠٠- ١٣٦
﴿إن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم ببَالِغِيهِ﴾	٥٦	٩٥
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	١٨٦
﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾	٧٥	١١٠
﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾	٧٦	١٠١
فصلت		
﴿لم شهدتم علينا﴾	٢١	٧٦
﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾	٢١	٧٦
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾	٢٦	٦٥
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	٣٤	١٥٧
﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾	٣٥	١٥٩
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٣٦	١٥٩
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ	٥٠	١٣١

الآية	رقمها	الصفحة
الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾		
﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ﴾	٥١	١١٤
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	٥٢	٥٤
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾	٥٣	٥٢- ٥٣
الشورى		
﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾	٣٧	١٥٥- ١٦٠
﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾	٤٨	١١٢
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾	٥٢	٣٤
الزخرف		
﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾	٥٥	١٦٠
الدخان		
﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾	٥٦	٥٠
الجاثية		
﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	١٧٩
﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٢٠	٥٢
﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾	٢٢	٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	٢٣	١٠٥- ١٠٨
محمد		
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	٢٠	١١٨
الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾	٤	١٧
﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٦	١٥٩
﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾	٢٩	١٥٦
﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾	٢٩	٣٣
الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾	٦	١٤٨- ١٥٢
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	٧	٣١- ١٧٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾	١٢	١٦٧
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا﴾	١٥	١٩١
ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٦-١٨	٨٦- ٢٠٠
الذاريات		
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾	٢٠	٥٢- ٥٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	٢٥-٢٦-٢٩
﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	٢٢	٥٤
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٧-١٦٤-١٨٣-١٨٥
النجم		
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾	٢٣	١٠٤
﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾	٣٢	١٦-١٣٤
الرحمن		
﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	١-٤	٥٣
﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	٢٩	٢٠٧
الواقعة		
﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ﴾	٧١-٧٣	٥٢
الحديد		
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾	٤	٥٦-٢٠٠
﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾	١٤	١٣١
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	٢١	٢٨
المجادلة		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	٨	٦٣
﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾	١٩	٨٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾	٢٢	٣٤
الحشر		
﴿ويُؤْثِرُونَ عَلَى أنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٩	١٥-٣٠-١٦٥
﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١٨	٨٠-١٩٦-١٩٩
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١	٦٤
الصف		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ*كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾	٢-٣	١٣٦
المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾	٨	١٩٥
التغابن		
﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾	١١	٣١-٥٧
الطلاق		
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾	٨	٢٠٠
التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٢١٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾	٨	١٧٢-١٧٤
﴿ياأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	٩	١٥٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾	١٠	١٤٩
المدثر		
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	٨٠
القيامة		
﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ*وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	٢	١٥- ٤١- ٤٣-٥٢- ١٩٧
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	١٦-١٧	١٤٨
الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾	١	٤٧
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيرا﴾	٢	٧٣
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾	٣	٧١- ٧٣
﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾	١١	١٦٤
المرسلات		
﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾	٢٢	١١١
النبأ		
﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾	٤٠	٤٣
النازعات		
﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾	٢٤	٩٩
﴿فَأَمَّا مَن طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	٣٧-٤١	١٠٤- ١٠٦- ١٠٨-١٨٣

الصفحة	رقمها	الآية
		التكوير
١٥	٧	﴿وَإِذَا النُفوسُ زُوجَتَ﴾
		الانفطار
١٣٤-٢٠٦	٦-٨	﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ برَبِّكَ الْكَرِيم* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾
		الانشقاق
٢٠٠	٧-٩	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه*فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾
		الأعلى
٥٠	١٣	﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾
١٣٦	١٧	﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾
		الفجر
١٧٧	٢٠	﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾
١٥- ٢٠-٤٤	٢٧	﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾
		البلد
٥٣	٨-٩	﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴾
١٢-٧٢-٧٤	١٠	﴿وَهَدَيْنَاه النَّجْدَيْنِ﴾
		الشمس
١٢- ٣٠- ٤٠- ٥٢- ٦٢-٧٣- ١٩١	٧-١٠	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾
		التين

الصفحة	رقمها	الآية
٧١-٧٤	٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
		العلق
٣٠	٥	﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
		البينة
١٣٨- ١٤٣	٥	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾
		قريش
١١٦- ١٢٠	٤	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾
		الفلق
١٢٤	١-٥	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ* وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾
		الناس
١٩٧	٤-٥	﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً : فهرس الأعلام

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، المؤلف فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٣- إحياء علوم الدين ، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، المتوفى ٥٠٥هـ ، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، المتوفى ٨٠٦م ، المكتبة التجارية الكبرى .

٤- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حنبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

٥- أدب الدنيا والدين ، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حيبي الماوردي البصري (٤٦٤-٤٥٠هـ) ، حققه ووضع فهارسه ياسين محمد السوسي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .

٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تفسير أبي السعود القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، المتوفى ٩٨٢هـ ، خرج أحاديثه وعلق عليه وضبط نصه ووضع فهارسه الشيخ محمد صبحي حسن حلاق ، إشراف مكتبة البحوث والدراسات ، دار الفكر .

٧- الإرشاد النفسي الديني ، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية ، الدكتور أسامة عطية المزيني.

٨- الأساس في التفسير ، سعيد حوى -رحمه الله- ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتع ، المؤلف عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

١٠- أصول علم النفس الحديث ،د فرج عبد القادر طه،القاهرة،دار المعارف،الطبعة الثانية،١٩٩٤م.

١١- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين خير الدين الزركلي ، ١٩٩٨م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

١٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، مؤسسة جمال ، بيروت ، لبنان ، تـأليف الإمـام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير ابن قـيم الجوزيـة ٦٩١-٧٥١هـ ، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ-١٩٦١م .
١٣- آفات على الطريق ، د. السيد محمد نوح ، دار الوفاء للطباعـة والنـشر والتوزيـع ، المنصورة ، الطبعة السابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
١٤- أمراض النفس وعلاجها بالذكر ، إعداد آمال سعدي قطينة ، إصدارات جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، دار مكتبة الحامد ٢٠٠٣م ، عمان ، الأردن .
١٥- الإيمان والحياة ، الدكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسـالة ، بيـروت ، الطبعـة السادسة ١٤١١هـ-١٩٨١م .
١٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجد الدين محمد بـن يعقـوب الفيروزآبادي ، المتوفى ٨١٧هـ ، تحقيق الأستاذ عبد الحليم الطحاوي، الكتاب الرابـع القاهرة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .
١٧- البيان في إعجاز القرآن علوم القرآن وأصول التفـسير دار عمـار،عمـان – الأردن، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
١٨- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسـلامي تأليف محمد عز الدين توفيق ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .
١٩- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
٢٠- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى ٧٩١هـ ، حققه وبـين الأحاديث الموضوعة والضعيفة والإسرائيليات فيه الشيخ عبد القادر عرفـات العـشّاء حسونة ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنـشر والتوزيـع ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
٢١- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى ٣٧٥هـ ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الدكتور زكريا عبد المجيد النواتي ، كلية اللغة العربية ، جامعـة الأزهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٢٢- تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، هذه النسخة موافقة لطبعة الشيخ الألباني ٧٠١-٧٧٤ هـ ، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
٢٣- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، الطبعة الثانية ، الناشر دار الكتب العلمية ، طهران .
٢٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨ه-١٩٩٨م
٢٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، فضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي ، الأستاذ بكلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٠٧هـ-١٣٧٦هـ -رحمه الله- ، قدم له فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار الحديث ، القاهرة .
٢٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى ٣١٠هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٢٨- الجامع لأحكام القرآن ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .
٢٩- حتى يغيروا ما بأنفسهم ، المؤلف جودت سعيد ، تقديم مالك بن نبي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، دار الثقافة للجميع .
٣٠- حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع .
٣١- خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ، وليد عبد الله زريق ، دراسات عليا في التربية وعلم النفس ، مطبعة اللداوي ، دمشق ١٩٩٦م ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة - حلب .
٣٢- الدر المنثور في التفسير المأثور ، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
٣٣- دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ، الدكتور توفيق محمد عز الدين ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، بدون طبعة .

٣٤- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني -رحمه الله -، دار الباز للنشر والتوزيع ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٣٥- ذم الهوى ، تأليف الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام أبي فرج علي الجوزي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى ١٢٧هـ ، قرأه وصححه محمد حسين العرب دون طبعة ، إشراف هيئة البحوث للدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣٧- زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، الإمام ابن قيم الجوزية ، الطبعة المصرية ، ومكتبتها .

٣٨- سلسلة أعمال القلوب ، الشيخ محمد صالح المنجد ، دار الفجر للتراث ، طبعة أولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، اعتنى بها قسم التحقيق بمركز الدكتور عبد الوارث الحداد للبحث العلمي .

٣٩- السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر ، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور ، د. زكريا أحمد الشربيني ، د. إسماعيل محمد الفقي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٢م .

٤٠- سنن ابن ماجة ، تصنيف أبي عبدالله بن يزيد الشهير بابن ماجة ٢٠٩-٢٧٣ه مكتبة المعارف للنشر التوزيع .

٤١- سنن أبي داود ، تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعبي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .

٤٢- سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى .

٤٣- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى .

٤٤- سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ-١٣٧٤م، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه مؤسسة الرسالة، ناشرون شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوس، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٤٥- السيرة النبوية ، ابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وعبد الحفيظ شلبي وإبراهيم البياري وآخرون ، طبعة جديدة مصححة وملونة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٤٦- الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي ، نزار العاني، عمان ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، طبعة١٩٩٥م .
٤٧- صحيح البخاري للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ - رحمه الله- طبعة دار الأرقم بن أبي الأرقم للنشر .
٤٨- صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ رحمه الله ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، لبنان ، بيروت .
٤٩- طريق النجاة ، دستور إسلامي للداعية المسلم محمد عبد الفتاح عفيفي إمام وخطيب مسجد عمر مكرم ، دار الاعتصام بدون طبعة .
٥٠- العبادة في الإسلام ، الدكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .
٥١- العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، أشرف على طبعها الأستاذ أحمد شاكر ، نشر زكريا علي يوسف ، مطبعة الامتياز .
٥٢- علم النفس التربوي ، د. شادية أحمد التل ، عمان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .
٥٣- علم نفس الدعوة ، تأليف دكتور محمد زين الهادي أستاذ الدعوة والإعلام بمعهد السلطان قابوس للدراسات الإسلامية ، الناشر الدار المصرية اللبنانية .
٥٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، معجم معاني كلمات القرآن الكريم ، تأليف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي ، المعروف بالسمين ، المتوفى سنة ٧٥٦هـ ، تحقيق محمود محمد السيد الدغيم ، صورة المخطوطة المحفوظة في خزانة مكتبة نور عثمانية في اصطنبول ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٥٥- العين ، أبي عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٥٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٥٧- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، المتوفى ١٢٥٥هـ ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٥٨- الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر ، ١٩٩٧م ، أ.د. عبد اللطيف العبد ، رئيس قسم الفلسفة الإسلامية ، أ.د. حامد طاهر ، عميد كلية العلوم .
٥٩- الفوائد ، الإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق حامد محمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
٦٠- في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، محمود قاسم ، الإنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م .
٦١- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، دار الشروق .
٦٢- القاموسى المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، دون طبعة .
٦٣- القرآن والطبائع النفسية ، علي حسن العماري ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر والإعلانات ، مطابع شركة الشرقية .
٦٤- القرآن وعلم النفس ، الدكتور محمد عثمان نجاتي أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة وجامعة الكويت وجامعة الإمام محمد بن سعود والإسلامي سابقاً ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٦٥- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .
٦٦- كتاب الروح، الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، خرج أحاديثه وعلق عليها ، وحققه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر ، مدرس مساعد بكلية دار العلوم ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

٦٧- كتاب الموطأ ، الإمام مالك بن أنس المتوفى ١٧٩٠هـ برواية يحيى بن يحيى بن كثير المتوفى ٢٤٣هـ ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، بيروت ، لبنان .

٦٨- كتاب دراسات في النفس الإنسانية ، الدكتور محمد قطب ، دار الشروق ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .

٦٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأويل أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون طبعة .

٧٠- الكليات ، أبي البقاء أيوب بن حسين موسى الحسيني ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أعده للطبع ووضع نهايته د. عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة .

٧١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ترتيب العلامة علاء الدين علي المتقي الهندي توفي ٩٧٠هـ ، طبعة بيت الأفكار الدولية .

٧٢- لسان العرب ، الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ، الإفريقي المصري ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧٣- مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة ، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ، رئيس التحرير محمد بن سعد الشويعر ، العدد ١٧ ، دار أولي النهى .

٧٤- مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - رحمه الله- راجعه وحققه لجنة من علماء العربية ، عني بترتيبه محمود خاطر ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، دار مكتبة الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا .

٧٥- مختصر منهاج القاصدين ، تأليف الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي علق عليه شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٩٨٢م ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م .

٧٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الإمام السلفي العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ٦٩١هـ-٧٥١هـ

- رحمه الله - تحقيق عماد عامر ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
٧٧- المستخلص في تزكية الأنفس ، نظرية متكاملة في تزكية النفوس ، تأليف سعيد حوى ، دار السلامة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٧٨- المستدرك على الصحيحين ، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
٧٩- مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية ، الدكتور عبد الرحمن واصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي .
٨٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفى ٧٧٠هـ ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف .
٨١- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٠هـ ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٨٢- معجزة القرآن ، الكتاب الأول ، محمد متولي الشعراوي ، مكتبة دار التراث الإسلامي القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي .
٨٤- معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى ٣٩٥هـ ، دار الفكر للطباعة .
٨٥- مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٣هـ ، ضبطه وحققه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٨٦- من علم النفس القرآني، الطبعة الأولى، تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٧م ، دار العلم للملايين ، د.عدنان الشريف.

٨٧- منهج التغيير الإسـلامي ، دراسة تطبيقية لمنهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز ، نافذ سليمان الجعب ، ماجستير أصول التربية ، تقديم الدكتور حمدان عبد الله الصوفي، الجامعة الإسلامية غزة، قسم أصول التربية ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
٨٨- منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، الدكتور محمد السيد يوسف المدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .
٨٩- الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور محمد حمدي زقزوق، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
٩٠- نحو علم نفس إسلامي، الدكتور حسن محمد الشرقاوي ، تقديم الإمام الأكبر ، د. عبد الحليم محمود ، الكاتب الكبير د. مصطفى محمود ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م .
٩١- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الإمام الحافظ الفقيه محيي الدين يحيى النووي ٦٧٦هـ ، الدكتور مصطفى سعيد الخن ومعه آخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة عشرة ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
٩٢- نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ، تأليف عز الدين إسماعيل ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
٩٣- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ،تأليف د. راجح الكردي ، الكتاب الثاني (طبيعة المعرفة) ربانية المعرفة وموقفها من المثالية والواقعية ، تأليف د. راجح عبد الحميد الكردي أستاذ العقيدة والفلسفة ، كلية الشريعة ، الجامعة الأردنية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، العبدلي ، عمارة جوهرة القدس ٢٠٠٤م .
٩٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى ٨٨٥هـ ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه ، عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
٩٥- النكت والعيون، تفسير الماوردي ، تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ٣٦٤هـ-٤٥٠هـ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

خامساً : فهرس الموضوعات